الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

دراسة و تحقيق قطعة من مخطوط جامع التواريخ

لمصنفه رشيد الدين الهمذاني

(٧١٨هـ/١٣١٨م)

الجزء الأول

السيرة النبوية الشريفة

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب:

عثمان جهاد المقلم

إشراف:

الأستاذ الدكتور: سهيل زكار

العام الدراسي

١٤٣٨- ١٤٣٩هـ/٢٠١٧- ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، و بعد .

إن مخطوط جامع التواريخ لمصنفه رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، يعد من أهم مخطوطات التراث الإسلامي ، ونظراً لأهمية كتاب جامع التواريخ ، فقد وقع الاختيار علي قطعة منه للقيام بتحقيقها كمشروع رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام .

و تتناول هذه القطعة بدء الخليقة ، وتاريخ الأنبياء ، وجزءً من المرحلة المدنية من السيرة النبوية العطرة

إن كتاب جامع التواريخ هو أهم ما ترك رشيد الدين الهمذاني من مصنفات وقد بدأ العمل فيه سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) ، ويتميز هذا الكتاب بقيمة فنية كبيرة جسده ازدهار فن التصوير، حيث يحتوي الكتاب على صور تمثل المعارك ، والقتال ، والشخصيات المشهورة من أنبياء ، وملوك ، وتكمن أهمية هذه القطعة من الكتاب كونها تسلط الضوء على مرحلة مفصلية في تاريخ الدعوة النبوية الشريفة ، وبالتالي فإن إظهار هذه المادة سيشكل إضافة قيمة ستغني المكتبة العربية الإسلامية .

تنويه

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين .

القائل في محكم التنزيل { وفوق كل ذي علم عليم } .

وقوله صلى الله عليه وسلم ((من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه)) .

وانطلاقاً من ذلك فإني أتوجه بجزيل الشكر لكل من ساعدني على إتمام هذه الرسالة ، وأخص بالذكر والدي الفاضلين و إخوتي الأعزاء.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان لأستاذي ومعلمي الذي لم يألوا جهداً في توجيهي ومساعدتي طيلة هذه الدراسة

شيخ المؤرخين العرب

البروفسور

سهيل زكار

فهرس المحتويات

تنويه ..... - ٣ -
دلالة الرموز المستخدمة في البحث ..... - ٩ -
مقدمة ..... - ٩ -
الفصل الأول ..... - ١٢ -
الدراسة ..... - ١٢ -
أولاً: التعريف بشخصية المؤلف: ..... - ١٢ -
أسمه ونسبه وأبنائه: ..... - ١٣ -
معتقداته: ..... - ١٥ -
مكانته العلمية ومؤلفاته: ..... - ١٧ -
ثانياً: عصره والوظائف التي شغلها: ..... - ٢٠ -
ثالثاً: وفاته وأقوال العلماء فيه: ..... - ٢٥ -
الفصل الثاني ..... - ٢٩ -
مخطوط جامع التواريخ ..... - ٢٩ -
أقسام كتاب جامع التواريخ: ..... - ٣٠ -
وصف المخطوط: ..... - ٣١ -
وصف القطعة موضوع الدراسة والتحقيق ..... - ٣٢ -
نسخ المخطوط في العالم ..... - ٣٤ -
أهمية المخطوط: ..... - ٣٦ -
أهمية القطعة موضوع التحقيق ..... - ٣٨ -
منهج رشيد الدين الهمذاني في المخطوط ..... - ٣٩ -
مصادر المؤلف في المخطوط ..... - ٤٣ -
القسم الثاني ..... - ٤٦ -
النص المحقق ..... - ٤٦ -
الفصل الأول ..... - ٤٧ -
ذكر بدء الخليقة ..... - ٤٧ -
ذكر أول شيء خلقه الله تعالى ..... - ٤٨ -
ذكر خلق آدم عليه السلام ..... - ٤٩ -
ذكر عمر البشرية ..... - ٥١ -
فصل في ضرورة معرفة المؤمن لدينه ..... - ٥٥ -
ذكر أبناء أدم عليه السلام ..... - ٥٧ -

ذكر نوح عليه السلام وأولاده من ابتداء عمر نوح عليه السلام إلى انتهاء عمره ...- ٥٩ -
ذكر إبراهيم عليه السلام .....- ٦٣ -
ذكر الأهوال التي عاينها إبراهيم عليه السلام .....- ٦٦ -
ذكر إسحاق و يعقوب عليهما السلام.....- ٧٣ -
ذكر يوسف عليه السلام .....- ٧٧ -
ذكر تاريخ بني إسرائيل .....- ٨٣ -
ذكر ولادة موسى عليه السلام .....- ٨٥ -
ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون .....- ٨٧ -
ذكر هلاك فرعون.....- ٩٠ -
ذكر حال بني إسرائيل بعد هلاك فرعون .....- ٩٢ -
ذكر عبادة بني إسرائيل للعجل.....- ٩٧ -
ذكر أول سنة حافظ عليها بنو إسرائيل .....- ٩٩ -
ذكر تابوت السكينة .....- ٩٩ -
ذكر يوم الفصح.....- ١٠٢ -
ذكر وصول شعيب إلى بني إسرائيل .....- ١٠٢ -
ذكر عتاب الله لهارون ومريم أخوة موسى.....- ١٠٣ -
ذكر قصة التيه.....- ١٠٤ -
ذكر قصة قارون .....- ١٠٥ -
ذكر المراحل التي قطعها بنو إسرائيل منذ خروجهم من مصر .....- ١٠٦ -
ذكر وفاة موسى عليه السلام ووصيته لبني إسرائيل.....- ١١٠ -
ذكر يوشع بن نون.....- ١١٢ -
ذكر حال بني إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون .....- ١١٥ -
ذكر قصة طالوت .....- ١١٨ -
ذكر داود عليه السلام .....- ١١٩ -
ذكر سليمان عليه السلام .....- ١٢٤ -
ذكر خلفاء سليمان عليه السلام.....- ١٢٧ -
ذكر الخضر وإليسع عليهما السلام .....- ١٢٩ -
ذكر معجزات إليسع .....- ١٣٢ -
ذكر يونس عليه السلام.....- ١٣٥ -
ذكر الملك فلنسر وسبيه لبني إسرائيل .....- ١٣٦ -
ذكر بختنصر وخراب بيت المقدس.....- ١٣٨ -
ذكر ذوالكفل عليه السلام.....- ١٣٩ -
في ذكر أنبياء بني إسرائيل .....- ١٤٠ -

ذكر دانيال عليه السلام ..... - ١٤١ -
ذكر أخبار بني إسرائيل في عهد خلفاء بختنصر ..... - ١٤٤ -
الفصل الثاني ..... - ١٤٦ -
ذكر أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم وعدد سراياه وغزواته ..... - ١٤٦ -
سرية حمزة بن عبد المطلب ..... - ١٤٦ -
سرية عبيدة بن الحارث ..... - ١٤٧ -
سرية سعد بن أبي وقاص ..... - ١٤٩ -
ذكر مبتدأ غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه وأحوال النبي ..... - ١٤٩ -
والحوادث التي حدثت بالمدينة إلى زمان وفاته عليه السلام ..... - ١٤٩ -
غزوة الأبواء ..... - ١٥٠ -
غزوة بواط ..... - ١٥٠ -
غزوة ذات العشيرة ..... - ١٥١ -
ذكر إغارة كرز الفهري على سرح المدينة ..... - ١٥٢ -
سرية بطن نخلة ..... - ١٥٣ -
غزوة بدر ..... - ١٥٦ -
ذكر سرية عمير بن عدي ..... - ١٧٣ -
ذكر سرية سالم بن عمير ..... - ١٧٣ -
ذكر غزوة بني قينقاع ..... - ١٧٤ -
ذكر غزوة السويق ..... - ١٧٥ -
ذكر غزوة قَرَارَةَ الْكُدْرِ ..... - ١٧٦ -
ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي ..... - ١٧٧ -
ذكر غزوة النبي صلى الله عليه وسلم غطفان بذي أمر ..... - ١٧٩ -
ذكر غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني سليم ..... - ١٨٠ -
ذكر غزوة أحد ..... - ١٨٠ -
ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمراء الأسد ..... - ١٨١ -
ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى جبل قطن ..... - ١٨٢ -
ذكر سرية عبدالله بن أنيس ..... - ١٨٣ -
ذكر سرية المنذر بن عمرو الساعدي ..... - ١٨٣ -
ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي ..... - ١٨٦ -
ذكر غزوة بني النضير ..... - ١٨٧ -
ذكر غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر الموعد ..... - ١٨٩ -
ذكر غزوة ذات الرقاع ..... - ١٩٠ -
ذكر غزوة دومة الجندل ..... - ١٩٠ -

ذكر غزوة المريسع ..... - ١٩١ -
ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب ..... - ١٩٢ -
المصادر والمراجع ..... - ١٩٤ -
الملاحق ..... - ٢٠٦ -

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

و	وجه الورقة
ظ	ظهر الورقة
( )	لحصر الورقة مع الوجه أو الظهر
ت	توفي
ج	جزء
د.ت	بدون تاريخ
د.م	بدون مكان نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
{ }	تم حصر الآيات القرآنية ضمنها
(())	تم حصر الأحاديث النبوية ضمنها

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد أذن الخير التي استمعت واستقبلت أخر إرسال السماء لهدي الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق هداية الخلق، وبعد:

فإن حملات المغول على مراكز الحضارة الإسلامية، ونشوء الإمبراطورية المغولية الكبرى التي ضمت كل من الصين، وإيران، والعراق والشام واسيا الصغرى، وشرقي أوربا تعد أحد أهم الحوادث التي عرفها التاريخ الإنساني في القرنين السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، ومع أن غارات الشعوب البدوية على البلاد المتحضرة هي أمر مألوف، إلا أن التاريخ لم يعرف قوما آخرين غير المغول استطاعوا أن يجتاحوا خلال مدة قصيرة مثل هذه الأقطار التي كانت قد قطعت شوطا بعيدا في الحضارة، والمدنية ، ولا شك أن استيلائهم على هذه الرقعة الفسيحة من العالم، وما رافق ذلك من ضروب القسوة، والدمار التي أدت إلى انقراض دول بأكملها، ومقتل الألوف، وتخريب أمهات المدن والبلاد، وما تبعها من عملية انصهار وذوبان، وتمازج حضاري وديني لهذا العنصر الوافد لتلك البلاد مما يجذب أنظار المؤرخين، ويحذو بهم لتأريخ تلك المرحلة المفصلية، حيث ظهر في هذا العصر مؤرخين كبار صنفوا العديد من الكتب والمؤلفات الموسوعية، وخير مثال على ذلك المؤرخ الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني المتوفى سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م) صاحب كتاب جامع التواريخ، الذي يعدّ بحق موسوعة شاملة، و تاريخ عالمي بالمعنى الصحيح، وشمل الكتاب تأريخ معظم شعوب العالم المعروفة في عصره، كما انه أرخ حسب الموضوعات وليس حسب النظام الحولي فتناول تاريخ كل دولة وفقا لترتيبها التاريخي.

وأما القطعة التي تم تحقيقها من هذا المخطوط القيم فهي قطعة مدشوتة، وهي تتناول بدء الخليقة ونشأة الكون، وخلق آدم عليه السلام ومن تبعه من الأنبياء، كنوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وصولا إلي موسى، وتاريخ بني إسرائيل، ويلي ذلك قطعة أخرى تتحدث عن المرحلة المدنية من السيرة النبوية الشريفة ، وتنتهي أحداثها بغزوة الخندق.

إن مخطوط جامع التواريخ هو واحد من ألوف المخطوطات الإسلامية التي تحتاج إلى جهود كبيرة في سبيل إخراجها، وتحقيقها وتقديمها إلى القارئ العربي،وهذا ما دأب عليه الأستاذ الدكتور سهيل زكار من خلال الإشراف على العشرات من أطروحات الدكتوراه، ورسائل الماجستير، التي تناولت تحقيق العديد من المخطوطات التاريخية ، ومنها هذه القطعة القيمة التي أشرف بنفسه على تحقيقها، حيث تابع هذا العمل بكافة تفاصيله وقام بتأمين العديد من المراجع والمصادر الهامة التي تزخر بها مكتبته القيمة، وشكلت ملاحظاته وتوجيهاتها الدقيقة المنارة التي أنارت الطريق أمام أتمام تحقيق هذه القطعة.

وقد تم العمل من خلال تقسيم البحث إلى قسمين:

- ***القسم الأول:*** ويتضمن الدراسة:

أولاً: التعريف بشخصية المؤلف: تناول التعريف بالمؤلف رشيد الدين الهمذاني، ونسبته وأبنائه، ومكانته العلمية، وأهم المؤلفات المنسوبة إليه، وبعد ذلك تم التطرق إلى مسألة مهمة ألا وهي عقيدة رشيد الدين الدينية، وما قيل عن ذلك،و نسبته إلى اليهودية.

ثانياً: عصر المؤلف: ويتضمن التعريف بعصر المؤلف، وهو عصر الدولة الإيلخانية، ثم ذكر أهم الوظائف التي تقلدها رشيد الدين.

ثالثاً: وفاته وأقوال العلماء فيه.

- ***القسم الثاني:*** وهو عبارة عن تحقيق لهذه القطعة من المخطوط وما تضمنته من ذكر لبدء الخليقة، وقصص الأنبياء، وتاريخ بني إسرائيل، وجزء من السيرة النبوية الشريفة،وقد تم تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم، وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية فقد تم تخريجها من كتب الصحاح والأحاديث، كما تم تخريج الأمثال من كتب الأمثال، وتم أيضا تخريج الروايات من المصادر التي ذكرت في النص وذكر إذا ما كانت الروايات موجودة في هذه المصادر،أو غير موجودة، وذكر إذا ما كانت موجودة في مصادر أخرى أو غير موجودة، وفي هذه الحالة تم تخريجها من مصادر أخرى قدر المستطاع، مع ذكر الاختلافات في الروايات إذا ما وجدت، كما تم تخريج أسماء الأعلام من كتب التراجم والطبقات، وتخريج أسماء البلدان من كتب معاجم البلدان والأماكن.

عثمان جهاد المقلم

دمشق ٢٠١٨/٢/١م.

الفصل الأول

الدراسة

أولاً: التعريف بشخصية المؤلف

١- أسمه ونسبه وأبنائه وشيوخه وتلاميذه

٢- معتقداته

٣- مكانته العلمية ومؤلفاته

ثانياً: عصره والوظائف التي شغلها

ثالثاً: وفاته وأقوال العلماء فيه

أولاً: التعريف بشخصية المؤلف:

١ – أسمه ونسبه وأبنائه:

هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة عالي الهمذاني، واشتهر برشيد الدين، وبعض المصادر تكنيه أبا الفضل، و كان جده موفق الدولة يعيش مع الخواجة نصير الدين الطوسي[١] في قلاع الإسماعيلية بقهستان[٢]، ثم التحق بخدمة هولاكو اثر استيلائه على تلك القلاع[٣].

ولد رشيد الدين فضل الله كما قيل سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م)،لأن هناك اختلاف في تاريخ ميلاده، فقيل انه ولد سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م،لأنه قتل عن عمر يناهز الثمانين عام سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م)، وبالعودة إلى كتاب رشيد الدين (المجموعة الرشيدية) ورد أنه في سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) كان قد بلغ الستين من عمره ، وبناء على ذلك فيكون قد قتل وهو في عمر ٧٣ فيكون مولده (٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، وفى موضع آخر ذكر رشيد الدين في كتابه (بيان الحقائق) أنه بلغ ٦٢ من العمر في سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م) فيكون ولد سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ،والأرجح أنه ولد سنة (٦٤٥هـ) وربما مرد الاختلاف في كتبه من النساخ .

كان مولد رشيد الدين في مدينة همذان[٤] ،ونسب إليها ،وقد كان حريصا على تكرار نسبته إلى تلك المدينة ،وقد قيل انه ولد في مدينة تبريز[٥] ،ولعل بعضهم ذكر ذلك لأن رشيد الدين قضى فيها مدة طويلة ومارس فيها نشاطه السياسي، والعلمي لذلك نسبوه إليها ، وقيل أيضا أنه ولد في مدينة

---

[١]- هو نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف والفلكي المشهور كان له باع كبير في الرياضيات والأرصاد وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه، وابتنى بمراغة قبة ومرصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وكان حسن الصورة سمحاً كريماً ومولده بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد. ابن شاكر الكتبي(محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون،ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات ،تحقيق حسان عباس،دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٧٤م،ج٣،ص٢٤٦.

[٢]- هي سلسلة جبلية ممتدة بين هرة ونيسابور فتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٩هـ. الحموي(ياقوت بن عبدالله،ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر،بيروت،د.ط، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٤،ص٤١٦.

[٣]- الصياد(فؤاد عبد المعطي): المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية،بيروت،ط١، ١٩٨٠م،ج١،ص٢٤١-٢٤٥.

[٤]- مدينة في خراسان يقال بأنها سمية بذلك نسبة لهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح ، وكان فتحها في شهر جماد الأول على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب سنة ٢٤هـ على يد المغيرة بن شعبة وهي أكبر مدن الجبال في تلك الناحية و تقع حاليا في إيران. انظر. الحموي: معجم البلدان، مج٥،ص٤١٠.

[٥]- أشهر مدن إقليم أذربيجان القديمة وهي مدينة عامرة تتخللها الأنهار والبساتين تقع حاليا في إيران . انظر. الحموي: معجم البلدان، مج٢،ص١٣.

قزوين[١]، والرأي الراجح أنه ولد في همذان لأنه كان يكرر نسبه إليها وامضي فيها مراحل شبابه في تحصيل العلوم والمعارف المختلفة ولاسيما ما تعلق منها بالطب، حيث كان رشيد الدين نابغاً، ويتمتع بالذكاء والإخلاص والوفاء[٢] .

وفي الواقع لا تتوفر في المصادر معلومات عن تاريخ، وحياة رشيد الدين قبل دخوله في خدمة البلاط الإيلخاني إلا القدر القليل من المعلومات، وقد كان لرشيد الدين من الأبناء ثلاثة عشر ولدا أبرزهم.

١- **غياث الدين محمد**[٣]: كان على شاكلة أبيه رجلا صارماً، عاقلاً، عالماً، أديباً، شغل منصب الوزارة للسلطان أبى سعيد بهادر خان فيما بعد.

٢- **جلال الدين:** تولى إدارة الديوان في أصفهان ثم أرسل إلى أسيا الصغرى ليعاون الأمير تيمورتاش بن جوبان في إدارة بلاد الروم حينما ولي عليها من قبل السلطان أبى سعيد.

٣- **عز الدين إبراهيم :** وكان قد اتخذه السلطان ساقيا له.

٤- **ببر سلطان :**عين حاكما على كرجستان[٤] وكان الساعد الأيمن لأخيه غياث الدين محمد.

٥- **عبد الطيف:** عين بمرتبة وزير لولي العهد أبي سعيد في أيام أبيه اولجاتيو.

٦- **شرف الدين احمد:** عين حاكماً على اردبيل[٥] ونواحيها [١].

---

[١]- مدينة مشهورة في خراسان تقع بالقرب من مدينة الري وقيل بأن سابور ذو الأكتاف هو من استحدثها وقد أفتتحها البراء بن عازب صلحا في خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٤هـ . الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص٣٤٢.

[٢]- انظر.الهمذاني(رشيد الدين فضل الله،ت٧١٨هـ/١٣١٧م):جامع التواريخ تاريخ غازان،تحقيق فؤاد الصياد،منشورات جامعة عين شمس،مصر،ط١، ١٩٩٨م،ص٢٠.كاترمير مارك: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، طبعت مقدمة في الجزء الأول من جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت- محمد موسى هنداوى- فؤاد عبد المعطي الصياد،دار أحياء الكتب العربية،القاهرة، ط١، ١٩٦٠م،ص٥-٧. العزاوي(عباس،ت١٣٩١هـ/١٩٨٠):التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،شركة التجارة والطباعة المحدودة،ط١، ١٩٥٧م،ص١٣٨-١٣٩.

[٣]- انظر ترجمته في . الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله،ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):الوافي بالوفيات،تحقيق أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ،بيروت ،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، ج٤، ص ٢٣٤.

[٤]- كرجستان هي من بلاد جورجيا ومدينتها تفليس.انظر. العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ،ت ٧٤٩هـ/١٣٠١م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٤، ص٢٢٤.

[٥]- اردبيل وهي أول مدن أذربيجان. اليعقوبي(أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ،ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): البلدان،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ،ج٢،ص٧٩.

٣- معتقداته:

هناك شبهات كثيرة تحوم حول المعتقد الديني الحقيقي لرشيد الدين ويمكن تقسيم الآراء حول ذلك إلى قسمين:

- أصحاب الرأي الأول: يرون أن نسبته إلى اليهودية اتهام له من أعدائه، وافتراء عليه، و منهم المستشرق الفرنسي كاترمير[٢]، حيث قال: " انه من المحال كما يبدو لي أن يكون رشيد الدين قد اعتنق اليهودية أو حتى أنه كان يهوديا ثم اسلم" . وأدلته على ذلك كانت بالاستناد على عبارات رشيد الدين نفسه في كتبه مثل قوله: " إنني عرفت جيدا من عظماء الرجال الذين هم الآن أركان الدين والدولة ، أن أبى كان مشتهرا حقا بصفاء خلقه، وإخلاصه، وحماسه للإسلام، وانه استمر عدة سنوات يغشى مجالس العلماء ، ويتردد على جماعة المتصوفين الطاعنين في السن يأخذ عنهم المعارف المفيدة ".

وفى موضع أخر يذكر رشيد الدين اقتدائه بوالده في تعلم أصول الإسلام، وعقائده ويبحث في القرآن الكريم ، كما انه ينفى اليهودية عن جده موفق الدولة، الذي كان يقيم عند الإسماعيلية في قلعة أَلَموت[٣] عندما سيطر عليها هولاكو.

- أصحاب الرأي الثاني: وهم الذين يعتقدون أن رشيد الدين كان يهوديا، ثم اسلم أو كان من أصل يهودي، ومنهم من حاول إثبات هذا الرأي بالرجوع إلى المصادر العربية والفارسية ومنها :

---

[١]- كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته،ص٦٧-٧٣.

[٢]- انظر ترجمته في. الزركلي(خير الدين،ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م):الأعلام،دار العلم للملايين،بيروت،ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٢،ص٨٣.

[٣]- قلعة حصينة من قلاع الإسماعيلية ،قيل بأن أحد ملوك الديلم قام ببنائها على قمة جبلية حصينة، وسماها (أله موت) والتي تعني (عش العقاب)،و تقع في الجبال القريبة من مدينة قزوين بإيران. استولى عليها الحسن الصباح ، ولبثت مائة وإحدى وسبعين سنة أمنع حصون الإسماعيلية، ثم استولى عليها هولاكو وأمر بتجريدها من آلاتها الحربية سنة ٦٥٤ هـ /١٢٥٦م.انظر المزيد . الغزي (كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي ،ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م): نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم، حلب، ط٢ ،١٤١٩ هـ ، ج٢، ص١٧٠. برنارد لويس،الحشيشية الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية، ترجمه وقدم له أ.د.سهيل زكار،دار قتيبة للطباعة والنشر،بيروت،ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،ص٢٠٢.

رواية في كتاب تالي وفيات الأعيان للصقاعي " عندما كان يدافع عن نفسه أثناء اتهامه بدس السم قيل له قتلت الملك ؟ فقال : كيف افعل هذا وأنا كنت رجلا يهوديا عطارا طبيبا ضعيفا فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفا في المملكة وأموالها[١] ".

وقيل أيضا بأن رشيد كان يدين باليهودية حتى اعتلى السلطان اولجاتيو عرش المغول الإيلخانيين سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) فاعتنق الإسلام .

وفي كتاب الرحالة ابن بطوطة ، عندما نزل بغداد وتحدث عن مقابلته للخواجة غياث الدين محمد بن رشيد الدين وزير السلطان أبى سعيد يقول: " كان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزره والد أبى سعيد "[٢]، وغيرها من المصادر التي تؤكد انه يهوديا مثل ابن كثير في كتابه البداية والنهاية حيث قال: " كان أصله يهوديا عطارا متقدماً بالطب وشملته السعادة وتولى مناصب الوزراء وحصل له من الأموال والأملاك والسعادة مالا يحد ولا يوصف"[٣]،وهناك دلائل أخرى تؤكد صحة هذا الرأي ومنها :

كانت مهنة الطب في ذلك الوقت تكاد تكون وقفاً على اليهود، كما أن دخول رشيد الدين في خدمة المغول حدث في وقت كان فيه التعصب على أشده ضد المسلمين في عهد السلطان أرغون وعلى يد وزيره سعد الدولة اليهودي الذي كان متعصباً بشدة لليهود، ومعادياً للمسلمين .

لقد كان رشيد الدين على علم جيد باللغة العبرية، وكان يقتبس من التوراة بأصلها العبري، وكان يوضح بعض ما أشكل من كلماتها، وبالإضافة لذلك فقد منح عناية فائقة لتاريخ بني إسرائيل، والذي يتبين من خلاله إلمامه الكبير واطلاعه الواسع على سيرهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وعلى الرغم من أن الكثير من المؤرخين استفاضوا في تاريخ اليهود مثل البيروني، وابن خلدون، والمقريزي، فإنهم لم يبلغ تلك الدرجة التي وصل إليها رشيد الدين، كما ويتضح إلمامه بالعقيدة اليهودية استنادا لما حصل سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) حينما أسلم بعض الأطباء اليهود كنجيب الدولة، حيث اقترح رشيد الدين على السلطان اولجاتيو أن يختبر إيمانهم بتقديم طعام لهم على أن يكون من لحم الجمال المطبوخ باللبن، وهو ما كان محرما على اليهود بمقتضى ما جاء في سفر الخروج، فمن العسير أن

---

[١]- الصقاعي(فضل الله بن أبي فخر،ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م):تالي وفيات الأعيان،تحقيق جاكلين سوبلة،منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية،دمشق،١٩٧٤د.ط،م،ص١٨٣.

[٢]- ابن بطوطة(محمد بن عبدالله الطنجي،ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار،تحقيق محمد عبد المنعم العريان،دار إحياء العلوم،بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،ص٢٣٧.

[٣]- ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل،ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م):البداية والنهاية،تحقيق محي الدين ديب مستو،دار ابن كثير، دمشق،ط٢، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م،ج١٦،ص١٣٢-١٣٣.

تكون هذه الإحاطة الدقيقة بقانون عقدي يهودي معروف لدى مسلم من سلالة إسلاميه خالصة مهما كانت إحاطته بتواريخ القرون الماضية، وبأديان العالم .

كما شكك بعض المؤرخين حتى في لقب رشيد الدين، حيث كان البعض منهم يلقبه برشيد الدولة لأنه في نظرهم لم يكن مسلماً ، ولقد انتشر الاعتقاد بيهوديته انتشارا واسعا إلى درجة أنه وبعد وفاته بقرن قام الأمير ميرانشاه حاكم تبريز، بنبش عظامه من مقبرة المسلمين في تبريز من أجل دفنها في مقبرة اليهود، وفي ضوء ذلك تعد مسألة اتهام رشيد الدين باليهودية شبه ثابتة وأقرب إلى الواقعية ولكن على الرغم من ذلك فلا أحد ينكر بأن رشيد الدين كان يسير في حياته الرسمية سيرة المسلم المخلص الكامل[1].

٣- مكانته العلمية ومؤلفاته:

لقد كان رشيد الدين مشهوراً بالمبادئ السامية، والأخلاق القويمة، وكان له دور كبير في إحداث العديد من الإصلاحات التي تمت في عهد السلطان غازان في شتى النواحي الدينية، والاجتماعية، والعمرانية، والثقافية، حيث كان رشيد الدين هو الذي اقترحها على السلطان، وكان هو دائما العامل الأول في تطبيقها على أرض الواقع،وبالإضافة إلى ذلك فقد رزقه الله عقليه جبارة ساعدته على التعمق في دراسة العلوم، والآداب، فهو إلى جانب مهنة الطب التي كرس لها نفسه في شبابه كان مطلعا على شتى أنواع العلوم والمعارف التي تتصل بها، وكان يحيط أحاطه كاملة بشئون الزراعة، وعلم الحياة ،والهندسة المعمارية، والميتافيزيقا إلى جانب التفقه في مسائل الدين الإسلامي فكان يستغل ساعات فراغه القليلة يعكف فيها على الدرس والبحث، وكان على دراية بالفنون، وعلى علم بالثقافات المتنوعة ومعرفه تامة باللغات المختلفة مثل الفارسية والعربية والعبرية والمغولية والتركية والصينية، فهو كان يجيد اللغة العربية بإتقان لدرجة أن السلطان غازان كان يصطحبه في حملاته على بلاد الشام ليحرر له المنشورات باللغة العربية،ومنها كتابته لمنشور إثناء حصار قلعة

[1]- انظر.ابن العماد(عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي،ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب،دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٩٨٦م،ج٩،ص٨١. كاترمير:تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص٨-١١. ولتر.فسشل:يهود في الحياة الاقتصادية و السياسية والإسلامية في العصور الوسطى،نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار،دار الفكر،بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،ص١٦٨-١٦٩ .العزاوي:التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،ص١٤١. الهمذاني:جامع التواريخ تاريخ غازان، ص٢١.

الرحبة[١] حير المدافعين وأعجزهم ببلاغة العبارات وسمو الأسلوب، وكان يؤلف باللغة العربية و يترجم إليها بعض مؤلفاته التي كتبها باللغة الفارسية.

أما بالنسبة للغة المغولية فقد كانت لغة التفاهم بين السلاطين والأمراء في ذلك العصر فلا يعقل بأن يكون رشيد الدين جاهلا بها، فكتب عدة مؤلفات باللغة المغولية ونقل مؤلفات أخرى من المغولية إلى العربية والفارسية[٢] .

و بالنسبة للغة العبرية فقد كان يلم بها الماما تاما، واستعمل ألفاظاً عبرية في مؤلفاته وذكر انه اطلع على كتب تواريخهم وسمع من علمائهم وقرأ أربعة وعشرين من كتب التوراة ،كما كان يعرف اللغة الصينية واعتمد على مصادر صينية في تأليف كتابه جامع التواريخ[٣].

لقد كان رشيد الدين جواداً كريما جمع ثرواته وأنفقها في سبيل الخير والعمل على نشر العلم وتشجيع العلماء، وتشييد المساجد والمدارس لإقامة الشعائر، وتدريس علوم الدين،ومن المؤسسات التي أنشأها ما عرف بالربع الرشيدي وذلك حينما قرر رشيد الدين المحافظة على تراثه عبر إنشاء مركز ثقافي يقع بالقرب من مدينة تبريز، والربع هو مجمع من الأبنية ضم عدداً من المدارس ومكتبة ومسجد ومستشفى وحمامات، بالإضافة إلي منازل لإقامة المدرسين والطلاب، وأقيم في الربع مصانع للنسيج والورق، وأمكنة لنسخ الكتب وتجليدها وتذهيبها، وكان يتسع للمئات من المدرسين وطلبة العلم من مختلف الأصقاع. إضافة إلى الفقهاء والقراء، وكان لكل فئة من سكان الربع حي خاص بها، وأوقف رشيد الدين عليه العديد من الأوقاف من أجل تأمين الأموال اللازمة لإطعام المقيمين فيه وكسوتهم[٤].

إن من الأنصاف القول بأن رشيد الدين كان يمتلك عقلية جبارة جعلته متعدد نواحي النبوغ، فترك تراثاً متنوعاً في والتاريخ، والإدارة، والدين، والطبيعة وما وراءها ، وكان يوصف بحسن استغلال وقته، ويسعى للاستفادة من أوقات الفراغ بالرغم من انشغاله بأعباء الوزارة، وقد تضمنت

---

[١] - كان يقال لها رحبة مالك بن طوق وتقع على نهر الفرات أسفل من قرقيسيا(البصيرة) بين الرقة وعانة، أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون، وتقع بقايا القلعة اليوم على الجبل المطل على مدينة الميادين في محافظة ديرالزور السورية. انظر المزيد. الحموي:معجم البلدان، مج٤،ص٣٤. ابن عبد الحق(صفيّ الدين عبد المؤمن القطيعي البغدادي، ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ،ج٣،ص٦٠٨.

[٢]- انظر.كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص١٧.

[٣]- انظر.كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص٧٥-٧٩. العزاوي:التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،ص١٤٢.

[٤]- انظر.كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص٢٣.

رسائله التي بعث بها إلى أولاده وأصدقائه نصائح إدارية في شؤون الحكم والإدارة، واستيفاء الضرائب،وتطرق فيها إلى بعض المسائل في الطب والفلسفة والأخلاق، وبالنسبة للمؤلفات والمصنفات فقد ألف منها العديد في مجالات مختلفة منها :

١- كتاب **طب أهل الخطا**[١]: وهو من الكتب الطبية والعلمية التي قام بترجمتها إلي اللغتين العربية والفارسية.

٢- كتاب **بيان الحقائق**.

٣- كتاب **الآثار والأحياء**: الذي يبحث الاقتصاد الزراعي.

٤- كتاب **التوضيحات**.

٥- كتاب **مفتاح التفاسير**: وينقسم قسمين: القسم الأول يتحدث عن فصاحة القرآن الكريم ومفسريه، والقسم الثاني يتناول عدة مسائل أهمها مسألة الخير والشر، والثواب والعقاب، والقضاء القدر، والبعث، والتناسخ.

٦- كتاب **السلطانية**:الذي كان رشيد الدين قد ألفه بعد اجتماع عقد مع السلطان أولجايتو، و يتناول فيه الحديث عن الوحي والمعجزات والرسالة الإسلامية ، والنبوة، وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

٧- كتاب **لطائف الحقائق**: ويقع في أربع عشرة رسالة, وقد أطلق رشيد الدين على هذه الكتب الدينية الأربعة اسم المجموعة الرشيدية وتوجد نسخة منها بالعربية في المكتبة الأهلية بباريس.

٨- كتاب **جامع التواريخ**: وهو أهم كتبه على الإطلاق.

٩- كتاب **أسئلة وأجوبة**: وكان رشيد الدين قد وضع جميع نسخ مؤلفاته العربية والفارسية في الربع الرشيدي وكانت وصيته بأن يؤخذ من حاصل أوقافه كل سنة ما يكفي لكتابة نسخة من مؤلفاته على قطع ورق بغدادي لترسل إلى إحدى المدن الإسلامية الرئيسية [٢].

---

[١]- هي المقاطعات الشمالية الغربة من الصين . الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب،ج٣، ص١٠٨.

[٢]- انظر. كاترومبير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته،ص١٤٣-١٧١. البغدادي(إسماعيل باشا، ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م):هدية العارفين أسماء المؤلفين و أثار المصنفين،مطبعة وكالة المعارف الجليلة،اسطنبول،د.ط،١٩٥١م،مج١،ص٨٢١. الزركلي:الأعلام، ج٥،ص١٥٢ .العزاوي:التعريف بالمؤرخين في

ثانياً: عصره والوظائف التي شغلها:

إن إلخانات فارس هم سلالة مغولية حكمت إيران والعراق والقفقاس وأجزاء من آسيا الصغرى التي كانت تحت حكم السلاجقة، إثر موجة الاكتساح المغولي بقيادة هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، وكان عبور الجيوش المغولية لنهر جيحون[1] إيذاناً بميلاد الدولة الإيلخانية. وبعدما أتمَّ هولاكو الاستيلاء على حصون الإسماعيلية في إيران ركز جهوده على احتلال العراق،وإسقاط مدينة بغداد التي لم تكن مجرد عاصمة للخلافة العباسية بل كانت مركزاً للنشاط السياسي لكافة أنحاء الشرق الإسلامي ، وكان اسمها ماثلاً في الأذهان بالنسبة لجميع المسلمين شعوباً وحكاماً، فنجح في تحقيق ذلك في سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ،وما أن تم له فتح بغداد وتحطيم الخلافة العباسية حتى رنا بصره صوب الغرب حيث بلاد الشام ومصر ، وفي شهر رمضان سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) بدأت جحافل المغول باجتياح مدن بلاد الشام لكن هولاكو اضطر إلى العودة إلى أذربيجان بعد أن أتته الأخبار بوفاة أخيه مونكوخان ، وعلى الرغم من ذلك فقد تابع جيشه التقدم في بلاد الشام، فسقطت في أيديهم كبرى مدنها بما في ذلك دمشق ، واستمر هذا النجاح المغولي إلى حين اصطدامهم بالمماليك في عين جالوت والتي شكلت نقطة النهاية لطموحات هولاكو في السيطرة على بلاد الشام.

وقد اتخذ هولاكو من مدينة مَراغَة[2] عاصمة له، وحكم الدولة من بعده أبناؤه وأحفاده، وحمل أكثرهم لقب (أيل خان) وهو تعبير تركي يتألف من كلمتي (أيل) بمعنى تابع و(خان) بمعنى ملك[3]، للدلالة على أن الدولة الإيلخانية كانت في الأصل جزءاً من إمبراطورية المغول في الكبرى، والتي يحكمها (الخاقان) أي الخان الأعظم، إلا أن هذه التبعية كانت تبعية اسمية فقط خاصة في أيام خلفاء هولاكو، ويمكن تقسيم تاريخ دولتهم إلي أربعة مراحل:

عهد المغول والتركمان،ص١٤٤. كحالة(عمر رضا،ت١٤٠٨هـ/١٩٨٧م):معجم المؤلفين،مكتبة المثنى،بيروت،د.ط،١٣٧٦هـ-١٩٥٧م،ج٨، ص٧٤.

[1]- يقع بآسيا الوسطى، ويصب في بحر آرال وقد دعاه العرب بنهر جيحون، ثم بطل استعمال هذه التسمية في العصر المغولي فأضحى يسمى نهر آمودايا حتى اليوم ويقع اليوم في دول أوزبكستان وتركمانستان . انظرا لمزيد ابن الوردي(عمر بن المظفر،ت٨٦١هـ/١٤٥٧م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي ،مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م،ج٢،ص٢٤٨.

[2]- مدينة من أكبر مدن بلاد أذربيجان القديمة، تقع جنوبي شرقي بحر قزوين، كانت من المراكز التجارية والعسكرية الهامة أيام الحكم العباسي. أضحت أيام المغول قاعدة أذربيجان، وفي ظاهرها المرصد العظيم الذي بناه الفلكي نصير الدين الطوسي بأمر هولاكو، وتعد حاليا من أهم مدن شمال غرب إيران. انظر. الحموي: معجم البلدان، مج٦،ص٩٣.

[3]- انظر: القلقشندى(شهاب الدين أحمد بن علي،ت٨٢١هـ/١٤١٨م):صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١،١٩٨٧م،ج٤،ص٤١٩.

١- **عصر الإيلخانات غير المسلمين** ويمتد من (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م -٦٨١هـ /١٢٨٢ م): ويشمل حكم هولاكو وحكم ابنه أباقا الذي تذكره المصادر العربية باسم أبغا والذي نقل العاصمة إلى تبريز، وجاءَت أبرز مشكلات هذا العصر من كون حكام الدولة كانوا يدينون بديانات تختلف عن الإسلام دين معظم رعاياهم،وفي عهد أباقا ازدادت العلاقات مع الغرب المسيحي التي كانت قد بدأت قبل عهد هولاكو، فوثق أباقا صلاته مع البابوية ،وملك فرنسا لويس التاسع، وما تبقى من الإمارات الصليبية في بلاد الشام لكونهم على عداء مع المماليك[١].

٢- **عهد الصراع بين الإسلام والعقائد الأخرى**، ويمتد حتى (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م): ويضم أربعة إلخانات هم: تاكودار بن هولاكو، الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه أحمد،وتميز عهده القصير بمحاولة التقارب مع سلاطين المماليك، ثم أرغون بن أباقا الذي ثار على عمه أحمد تاكودار وخلف أرغون شقيقه كِيخَاتو الذي أعاد الإدارة إلى أبناء البلاد، واقتبس نظام التعامل بالنقد الورقي، ولكنها لم تلق قبولاً من الناس فزادت المشكلة الاقتصادية سوءاً، واضطربت الحياة العامة في تبريز وبغداد وغيرهما، مما أجبر الدولة على التراجع عن هذه الخطوة ،وقد أثارت طبيعة كيخاتو وسياساته الأمراء الإيلخانيين عليه، فالتفوا حول الأمير بايدو بن طوغاي بن هولاكو، وساعدوه على الإطاحة بكيخاتو وقتله، وقد كان الإيلخان الجديد قليل الخبرة ضعيف الشخصية، ولم يمض بايدو في السلطة سوى تسعة أشهر حتى قامت عليه ثورة قادها الأمير غازان بن أرغون.

٣- **أيام الإيلخانات المسلمين** (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م): ويضم حكم الثلاثة الأخيرين من الإيلخانات الأقوياء، غازان ، وأخوه أولجايتو ، الذي دُعي أيضاً بخُدابندة أي عبد الله، ثم أبي سعيد بن أولجايتو ، ويمثل هذا العصر الحقبة الذهبية للدولة نتيجة للإصلاحات التي تمت في مجالات الإدارة والمال والاقتصاد والعمران، ويعود الفضل الأكبر فيها إلى غازان ووزيريه رشيد الدين فضل الله وعلي شاه، واعتنق غازان الإسلام على المذهب الشيعي، وجعله دين الدولة الرسمي[٢]، وقد كان غازان في بداية أمره بوذياً، و كان لهذه الديانة سيطرتها وسطوتها في إيران منذ قدوم المغول ، وقد ترتب على هذا التحول الديني نشوب صراعات وثورات داخلية في صفوف الأمراء المغول أنفسهم ، وعلى الرغم من اعتناق غازان

---

[١]- انظر.إقبال(عباس أشتياني،ت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م):تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،نقله عن الفارسية محمد علاء الدين منصور،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط١، ١٩٨٩م،ص١٥٤-١٥٥.

[٢]- انظر. الهمذاني:جامع التواريخ تاريخ غازان،ص١٢٠-١٩٤.

للإسلام إلا أن هذا القرار لم ينعكس بشكل إيجابي على علاقة مغول فارس بالمماليك في مصر والشام بل على العكس من ذلك فقد نشبت بين الطرفين حروب عديدة سعى غازان خلالها إلى إيجاد تحالف عسكري مع الدول الأوربية ضد المماليك ، فأجرى اتصالات مع الإمبراطور البيزنطي" اندرينيكوس الثاني"،وملك فرنسا "فيليب الرابع"، وملك إنكلترة "ادوارد الأول"، وكانت بينه وبينهم مراسلات وبعثات إلا أن جهوده في هذا المضمار لم تأت بنتائج إيجابية،وبالنسبة إلى إنجازات غازان الداخلية فقد شهد البلاد نهضة كبيرة في عهده خاصة كونه أول من خرج من إيلخانات فارس عن طاعة الخان الأعظم في "بكين" بعد أن تحول للإسلام حيث أفرد غازان نفسه بالذكر في الخطبة واتخذ لنفسه صفة الحاكم المستقل ولقب نفسه باسم " السلطان محمود غازان" ، كما أنه أدخل روحاً جديدة من الثقة في الميدان التجاري والاقتصادي بأن ألغى الأوراق المالية ذات القيمة التحكمية المتأرجحة والتي سبق لسلفه بايدو أن استحدثها على الطريقة الصينية ، وأحل محلها نقداً معدنياً صحيح الوزن والقيمة ، وكان لهذا التدبير أثره الواضح في زيادة موارد الدولة الرسمية ، كما أنه قام بتنظيم القضاء بعد أن عبث به العرف المغولي ، وقام بتجميل عاصمته تبريز بأبنية فخمة وأوقف الأموال الضخمة على المساجد ودور العلم ، وقام بتشيّد المراصد الفلكية، وبصفة عامة كان غازان مثقفاً ومحباً للعلم ومتقناً اللغتين المغولية والفارسية وهذه الصفات ساعدت على قيام نهضة فكرية في البلاد .

٤- **انحلال الدولة وسقوطها:**حيث وصل إلى سدة الحكم بعد وفاة السلطان أبي سعيد ثمانية من الحكام الضعفاء ، فكثرت في أيامهم دسائس الأمراء المغول الطامعين بالسلطة وعمت الفوضى والتفسخ أرجاء البلاد فكان أخر حكامها أنوشروان العادل(٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) الذي سقطت الدولة الإيلخانية في عهده وانقسمت إلى عدة دويلات[١].

لقد تميز عصر الدولة الإيلخانية بظهور أسر تولت وتوارثت منصب الوزارة عبر الأجيال بدئاً بأسرة الجويني التي سطع نجمها في أيام أباقا،و تاكودار، ومروراً بأسرة الزنجاني في أيام كيخاتو وجزء من عهد غازان ، وصولاً إلى أسرة رشيد الدين الهمذاني ، والمفارقة هي أن جميع

---

[١]- انظر.إقبال:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ص٤٤٣-٤٥٩.فهمي(عبد السلام عبد العزيز،ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥):تاريخ الدولة المغولية في إيران،دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١م،ص ١٥٣-٢٣١. شاكر(محمود،ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥م):التاريخ الإسلامي بلاد العراق،المكتب الإسلامي،بيروت،ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م،ص٩-١٠. الصياد:المغول في التاريخ ،ج١،ص٢٩٠-٣٢٥. النفيعي(رحمة بنت حمود بن فطيس):العلاقات السياسية لدولة إيلخانات المغول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م،ص٣٣-٦٢.

من تقلد منصب الوزارة الإيلخانية كان مصيره القتل ،والتصفية الجسدية على أيادي الإيلخانات أنفسهم، وذلك نتيجةً الدسائس ،والمؤامرات السياسية في البلاط .

وبالعودة إلى رشيد الدين والوظائف التي تقلدها في هذا العصر فقد التحق بخدمة المغول أثناء ممارسته مهنة الطب في عهد اباقاخان، لكن صعوده السياسي كان في عهد السلطان غازان، وخلال هذه المرحلة كان رشيد الدين يعمل في الديوان بخدمة الوزير صدر الدين أحمد الزنجاني المشهور بصدر جهان الذي بدأ غازان يتغير تجاهه بعدم ندم على قتل الأمير نوروز نتيجة لدسائس هذا الوزير، وبعد أن أتهمه عدد من عمال الديوان وأمراء غازان بالتصرف في أموال الدولة، وعلى الرغم من عدم اشترك رشيد الدين في هذه القضية إلى أن صدر جهان شكا رشيد الدين، وسعى به عند السلطان غازان متوهما اشتراكه في المؤامرة ضده ،فرد عليه غازان أن رشيد الدين لم يتفوه بكلمة ضده ، وفي هذه الأثناء قدم الأمير قتلغشاه الذي كان قد توجه في مهمة لضرب بعض المتمردين في بلاد الكرج/(جورجيا)، وسمع بأن صدر جهان قد تحدث إلى الإيلخان عنه وعن أتباعه بشر الحديث ، ونسب إليهم المبالغة بالشدة والقتل والنهب فعاتبه غازان في ذلك ، فاستفسر قتلغشاه من الوزير عن سبب غضب غازان ، وعمن ذكره بسوء أمام السلطان، فأظهر صدر جهان لقتلغشاه أن رشيد الدين هو وراء ذلك الاتهام، فغضب قتلغشاه من رشيد الدين وشكاه إلى غازان الذي علم بأن صدر جهان هو من اتهم رشيد الدين فحنق عليه وأمر بتقيده والقبض عليه في السابع عشر من رجب سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) وبعد محاكمته ترك أمر معاقبته للأمير قتلغشاه الذي قام بشطره على نصفين، وبذلك انتهت حياة صدر جهان، وفي أواخر هذه السنة أصدر غازان أوامره بتولي سعد الدين الساوجي، ورشيد الدين شؤون الوزارة والديوان، فأقبل كلهما على إدارة البلاد يعين أحدهما الأخر[1]، وقد جاء ذلك بعدما لمس غازان مزايا رشيد الدين ،ورجاحة عقله، وسعة اطلاعه أثناء جلسات المناقشة التي كان يعقدها معه في البلاط حول بعض المسائل الدينية، وتفسير بعض آيات القرآن منذ أن نبذ غازان البوذية واعتناقه للإسلام(٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، ونتيجة لذلك وصل رشيد الدين إلى مكانه كبيرة في عهده، و كان الساعد الأيمن له يشاركه في إصلاح المسائل المالية، وإنشاء الأبنية، والآثار الخيرية، وترتب على ذلك حدوث إصلاح ونهضة في شتى نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية في عهد غازان، وإلى جانب ملازمة رشيد الدين له في جميع أسفاره فقد كان يعهد إليه بمسألة الأشراف على جميع التكاليف المالية للحملات الحربية من الخزانة العامة، وفي أثناء ذلك عمل رشيد الدين على تشجيع العلم ورعاية الآداب ونتيجة لذلك اجتمع في بلاط السلطان غازان الكثير من الأدباء والمؤرخين.

[1]- انظر.إقبال:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،ص٤٦٠-٤٦٢.

وبعد وفاة السلطان غازان تولى أخوه اولجاتيو عرش المغول في إيران فكان أول ما فعله عندما باشر سلطته أن كلف الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين بأن يستمرا في تصريف شئون الدولة، وفي هذه المرحلة بدأ يسطع نجم شخصية جديدة على مسرح الأحداث السياسية، وهو علي شاه الجيلاني والذي كان رجلاً ذكياً طامح للمجد والسلطة، ونجح في نيل ثقة وإعجاب السلطان اولجاتيو،و قد أثار علو مكانة علي شاه الحسد والضغينة في نفس الوزير سعد الدين خاصة بعدما علم بالعلاقة الطيبة التي جمعت بين كل من رشيد الدين، وعلي شاه فأدى ذلك إلى حدوث الخلاف بين الوزيرين، فسعى رشيد الدين به عند السلطان واتهمه بالاختلاس ، وبعد التثبت من هذه التهمة تم قتل الوزير سعد الدولة بأمر من اولجاتيو، وعين في مكانه علي شاه الجيلاني على أن يكون مطيعاً لأمر رشيد الدين.

لم يكن رشيد الدين مجرد شخص عادي تقلد منصب الوزارة بل كان مؤسساً لأسرة سياسية امتلكت نفوذ واسع في إدارة الدولة الإيلخانية شأنه بذلك شان الوزير السلجوقي المشهور نظام الملك، حيث كان للقدرات الإدارية الفذة التي امتلكها رشيد الدين دوراً حاسماً في وصولها إلى أعلى المراتب، عمل على إصلاح ما خرب في أيام سعد الدين وأتباعه، فقام بوضع قوانين جديدة ، وأناب في كل ولاية حاكما أميناً،كما عين ابنه جلال الدين على رأس ديوان ولاية أصفهان ، وعين ابنه عبد الطيف بمرتبة وزير لولي العهد أبي سعيد[1]، وبذلك حصل رشيد الدين في عهد اولجاتيو على نفوذ كبير حتى أن اولجاتيو عندما أراد الخروج لفتح جيلان[2] أمر رشيد الدين أن يلازم زوجته المريضة ويشرف على علاجها بنفسه حتى تشفى، ثم يلحق بالجيش في أسرع وقت ،ولكن دوام الحال من المحال فمع تحول اولجاتيو من المذهب الحنفي الذي كان يدين به رشيد الدين إلى المذهب الشيعي تقلص نفوذ رشيد الدين وتعرض لخطر من قبل زميله الجديد علي شاه الذي أستغل الفرصة وأخذ يتقرب من أعيان وعلماء الشيعة الذين عملوا على مؤازراته ومساندته .

وبعد وفاة اولجاتيو تولى ابنه أبو سعيد سنة (٧١٧هـ /١٣١٧م) أقر أبو سعيد كلا من رشيد الدين وعلى شاه الجيلاني في منصب الوزارة، ولكنه عهد إلى على شاه بصلاحيات واسعة فخملت مكانة رشيد الدين لاسيما بعدما تقدم به السن، ولم يعد يمتلك من القوى ما يمكنه من الحفاظ على مكانته في البلاط ، ونتيجة لذلك فسرعان ما دب النزاع بين الوزيرين[3].

---

[1]- انظر.إقبال:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،ص٤٦٣-٤٨٢.

[2]- هي بلاد كثيرة وراء بلاد طبرستان، وهى قرى كلها في مروج، بين جبال، وتقع حاليا في شمال إيران وتطل على بحر قزوين . انظر.ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،ج٢،ص٣٦٨.

[3]- انظر.كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص١١-٤٩.

ثالثاً: وفاته وأقوال العلماء فيه:

لقد اعتمد مغول فارس شأنهم شأن غيرهم من الحكام الأجانب على مر التاريخ على الأقليات في إدارة شؤون البلاد ،وقاموا بتهميش السكان الأصلين و ذلك لسهولة التخلص منهم دون جرائر أو تبعات خاصةً وأن قصور المغول كانت مهبط الأطماع والمنافسات ومكمن الدسائس والمؤامرات ومحط أنظار المتغلبين في طلب الرئاسة والملك ، لذا دبرت العديد من المؤامرات ضد رشيد الدين بحكم مكانته الهامة في الدولة، حيث تعرض للعديد من المؤامرات منذ أيام غازان ومروراً بعهد اولجاتيو لكن الخطر الحقيقي على حياته كان في عهد أبى سعيد، حيث تابع علي شاه تلفيق التهم لرشيد الدين، ومنها ما حدث قبل وفاة اولجاتيو بعام واحد حيث احتاج أبو سعيد للمال لدفع رواتب جنده ،وأرسل مراراً وتكراراً إلى الخزانة بطلبه لعلي شاه ورشيد الدين، ونتيجة للمنافسة بين الوزيرين وطموحهم للاستقلال بأمور الوزارة فأخذ كل منهما يحيل دفع المال إلى الآخر واستقر رأي اولجاتيو في النهاية لحل هذا النزاع على تقسيم إدارة بلاده بينهما، فجعل عراق العجم[١] وخورستان[٢] وفارس وكرمان[٣] بعهدة رشيد الدين ، وعراق العرب[٤] وديار بكر وبلاد الروم تحت إدارة علي شاه إلا أن الأخير طلب من السلطان أن يشركهما معاً في الإدارة العامة للبلاد وان تمهر الأوامر والأحكام بخاتم كليهما، وبعد أن طبق هذا القرار اعتكف رشيد الدين في منزله طوال الشتاء بسبب إصابته بمرض النقرس[٥]، ولم يأت الديوان لمدة أربعة شهور كاملة ،وكان أبو سعيد خلال هذه المدة يعاود طلب المال وكان علي شاه يجيبه أن الخزانة خالية من المال وأن أموال الديوان كلها عند رشيد الدين الذي يتمارض حتى لا يدفع المال ولا يغادر منزله بهدف أن يظهره بمنزلة المقصر فيزيله من منصبه كما فعل بالوزير السابق سعد الدين، ونتيجة لذالك قام أبو سعيد بعد وفاة أبيه بتثبيت الوزيرين في مناصبهم لكنه جعل الأمور الأساسية في إدارة البلاد بيد على شاه الذي لم يكتفي بذلك

---

[١]- وهي إقليم خرسان وتضم أكثر من خمسمائة مدينة عدا القرى ومن مدنها همذان وششتر وزرنج ونيسابور وسرخس وقم وطوس وأصبهان. ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،ج٢،ص١٢١-١٢٢.

[٢]- هي الإقليم الجنوبي الغربي من إيران وما يعرف بإقليم الأحواز أو عربستان الممتد على طول الخليج العربي وجنوب العراق ومن مدنها المشهورة الأهواز. انظر. ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ج٢،ص١٢٥.

[٣]- ولاية مشهورة إلى الجنوب من خرسان تحدها سجستان من الشرق وفارس من الغرب وبحر العرب من الجنوب وهي بلاد كثيرة النخل و الزرع ومن مدنها المشهورة جيرفت وبمّ والسّيرجان وتقع حالياً في إيران. انظر.ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،ج٤،ص١٦١.

[٤]- يقصد بها أرض العراق الحالية . انظر. ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،ج٢،ص١١٤.

[٥]- هو مرض التهاب المفاصل المزمن.

بل استمر بالتحريض على رشيد الدين حتى أصدر السلطان أمره بعزله من منصبه أواخر سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)، فغادر رشيد الدين إلى تبريز للراحة وترك العاصمة. ولما ساءت أحوال الإدارة في الدولة بسبب غياب رشيد الدين، عمل قائد الجيش جوبان على إعادته بعد ممانعة شديدة من رشيد الدين[١]،وقد أقلق رجوع رشيد الدين للوزارة بدعم من الأمير جوبان القوي علي شاه وسائر أعداء رشيد الدين ودفعهم إلى بذل أقصى ما يمكن للتخلص منه بشكل نهائي ، فما كان من علي شاه وأتباعه إلى أن وجهوا لرشيد الدين تهمة دس السم للسلطان اولجاتيو والتسبب بموته وذكروا للسلطان أبي سعيد أن عز الدين إبراهيم بن رشيد الدين الذي كان يشتغل ساقيا للسلطان هو الذي قدم الشراب إليه بالاتفاق مع أبيه. وعندما سمع السلطان أبو سعيد ذلك ثار غضبه وأمر بالقبض علي رشيد الدين ومحاكمته، فأحضر بين يدي الأمير جوبان وقيل له:أنت قتلت الملك، فقال:"كيف أفعل هذا وأنا كنت رجلا يهوديا عطاراً طبيباً ضعيفاً بين الناس، فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرف في المملكة وأموالها ، ولا يصرف شيء إلا بأمري وحصلت في أيامهم من الأموال والجواهر والأملاك مالا يحصى". فطلبوا الطبيب الجلال بن الحران طبيب اولجاتيو، فسألوه عن موته وقالوا له: أنت قتلته، فقال:" إن الملك كانت أصابته هيضة قوية ، فأسهل ثلاثمائة مجلس ، وتقيأ قيئاً كثيراً، فطلبني وعرض عليّ هذا الحال، وأجمع الأطباء بحضور الوزير رشيد الدين ،واتفقوا على إعطائه أدوية قابضة مخشنة للمعدة والأمعاء ، فقال رشيد الدين: عنده امتلاء ،وهو محتاج إلى الإستفراغ بعد. فسقيناه برأيه دواء مسهلاً، فأسهل نحو سبعين مجلساً ومات". فصدقه رشيد الدين على ما قال ، فقال الأمير جوبان: أنت قتلته يا رشيد الدين، فأمر بقتله هو وابنه عز الدين إبراهيم. وقتل ابنه على مرأى من أبيه وكان شابا في السادسة عشرة من عمره، وأما رشيد الدين فقد قطعت أوصاله وطيف بها في البلاد و حمل رأسه إلى تبريز ونودي عليه :هذا رأس اليهودي الملحد الذي بدل كلام الله ،لعنه الله[٢]، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م)، ولم يلبث السلطان أبو سعيد أن ندم على ما فعله برشيد الدين فاستدعى ابنه غياث الدين عام (٧٢٧هـ/١٣٢٧م) لاستلام الوزارة، وجهد أبناء رشيد الدين في جمع أشلاء والدهم ودفنها في المقبرة التي كان قد أعدها رشيد الدين لنفسه بجوار تبريز،وعلى اثر مقتله نهبت جميع أمواله وممتلكاته وخربت محلة الربع الرشيدي لكنه عاد واستعاد شيئاً من نشاطه في أيام وزارة ابنه غياث الدين حتى مقتله أيضاً، فحلت بالربع كارثة أخرى،ويذكر المؤرخون بأن وفاة السلطان اولجاتيو كانت بسبب كثرة استعماله الأدوية القابضة[٣] .

---

[١]- انظر.إقبال:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،ص٤٨٣-٤٨٧.

[٢]- الصقاعي:تالي وفيات الأعيان،ص١٨٣- ١٨٤

[٣]- انظر. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٦،ص١٣٣. المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر،ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ١٤١٨هـ -

أقوال العلماء فيه:

جاء في كتب تاريخية عديدة نصوص كثيرة بمنزلة التقريظ لأثاره والنعوت له من محبين ومبغضين ، ومن أناس مختلفين في درجة اعتدادهم بما وصل إليه علمه، وفي هذا ما يدل على مكانة رشيد الدين وقدرته في العلوم والتاريخ والإدارة الحكيمة ومنهم :

الذهبي :" وكان يوصف بحلمٍ ولطفٍ وسخاءٍ ودهاء. فسر القرآن فشحنه بآراء الأوائل. وعاش نيفاً وسبعين سنة .وقيل بل كان جيد الإسلام وهو والد الوزير المعظم محمد بن الرشيد[1] ".

الصفدي صاحب الوفيات قال فيه :" هُوَ رشيد الدولة فَخر الوزراء، وَكَانَ فِيهِ حلم وتواضع وسخاء وبذل لْلعُلَمَاء والصلحاء وَكَانَ له رأَي ودهاء ومروءة وَفسّر الْقُرْآن وَأدْخل الفلسفة فِيهِ وَيُقَال إِنَّه كَانَ جيد الْإِسْلَام ".[2]

ابن كثير الذي قال فيه :" كَانَ أَصْلُهُ يَهُودِيًّا عَطَّارًا، فَتَقَدَّمَ بِالطِّبِّ وَشَمِلَتْهُ السعادة حتى كان عِنْدَ خَرْبَنْدَا الْجُزْءَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ، وَعَلَتْ رُتْبَتُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَتَوَلَّى مَنَاصِبَ الْوُزَرَاءِ، وَحَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلَاكِ وَالسَّعَادَةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ وَكَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ، وَقَدْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ وَصَنَّفَ كتباً كثيرة، وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ وَثَرْوَةٌ عَظِيمَةٌ، وَبَلَغَ الثَّمَانِينَ مِنَ الْعُمْرِ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ جَيِّدَةٌ يَوْمَ الرَّحْبَةِ، فَإِنَّهُ صَانَعَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَأَتْقَنَ الْقَضِيَّةَ في رجوع ملك التتار عَنِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَانَ يُنَاصِحُ الْإِسْلَامَ، وَلَكِنْ قَدْ نَالَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَاتَّهَمُوهُ عَلَى الدِّينِ وَتَكَلَّمُوا فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مُخَبِّطًا مُخَلِّطًا، وَلَيْسَ لَدَيْهِ عِلْمٌ نافع، ولا عمل صالح"[3].

١٩٩٧م، ج٣،ص١١. ابن حجر(أحمد بن علي العسقلاني،ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد/ الهند،د.ط ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م،ج٤،ص٢٧١. كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته،ص٥٠-٦٦. ولتر فشل:يهود في الحياة الاقتصادية و السياسية والإسلامية في العصور الوسطى،ص١٧٠. نويهض(عادل):معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية والتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ج٢،ص٤٢١-٤٢٢.

[1]- الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،ج٤،ص٤٧.

[2]- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٥٨.

[3]- ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٦،ص١٣٣.

وأما ابن حجر العسقلاني فقد أثنى عليه فقال : "وَكَانَ يناصح الْمُسلمين ويذب عَنْهُم وَيسْعَى فِي حقن دِمَائِهِمْ وَله فِي تبريز آثَار عَظِيمَة من الْبر، وَكَانَ شَدِيدا على من يعاديه أَو ينتقصه، يثابر على هَلَاكه وَكَانَ متواضعا سخيا كثير الْبَذْل للْعُلَمَاء والصلحاء وَله تَفْسِير على الْقُرْآن فسره على طَرِيقَة الفلاسفة فنسب إِلَى الْإِلْحَاد وَقد احترقت تواليفه بعد قَتله"[1].

كما ذكره **الداوودي** في كتابه طبقات المفسرين وعده منهم[2] .

وقال **ابن العماد الحنبلي** فيه:" كان جيد الإسلام،وهو والد الوزير المعظم محمد بن الرّشيد. وكان وزير التتار ومدبّر دولتهم"[3].

---

[1]- ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤،ص٢٧١.

[2]- انظر.الداوودي(محمد بن علي بن أحمد المالكي،ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط،١٩٨٣م،ج٣،ص٣٤.

[3]- ابن العماد:شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٩،ص٨١.

الفصل الثاني

مخطوط جامع التواريخ

١- أقسام كتاب جامع التواريخ

٢- وصف المخطوط

٣- وصف القطعة موضوع الدراسة والتحقيق

٤- نسخ المخطوط في العالم

٥- أهمية المخطوط

٦- أهمية القطعة موضوع التحقيق

٧- منهج رشيد الدين الهمذاني في المخطوط

٨-مقارنة قطعة المخطوط مع قطع أخرى من كتاب جامع التواريخ

٩- مصادر المؤلف في المخطوط

١- أقسام كتاب جامع التواريخ:

يقع هذا الكتاب في مجلدين :

- **المجلد الأول** : يشتمل على بابين:

الباب الأول : يحتوى على مقدمه وأربعة فصول في تاريخ القبائل التركية والمغولية وأصولها مع تفاصيل مسهبة عن فروع الأتراك والمغول وأنسابهم وأساطيرهم .

الباب الثاني : تاريخ جنكيز خان وأجداده وأبنائه وأحفاده إلى غازان خان .

- **المجلد الثاني** : يشتمل أيضا على بابين:

الباب الأول : يحتوى على تاريخ اولجاتيو ، وهو مفقود من جميع النسخ .

الباب الثاني : ويشمل التاريخ العام للعالم ويقع في مقدمة وقسمين:

القسم الأول : في ذكر ملوك الفرس ، وذلك منذ عصر كيومرث أول ملوك الفرس الأسطوريين حتى أخر عهد يزدجرد الثالث أخر ملوك الفرس الساسانيين .

وهذا القسم يقع في أربعة طبقات : آ- طبقة البيشداديين ب- طبقة الكيانيين

ج- طبقة الاشكالنيين د- طبقة الساسانيين

القسم الثاني : وينقسم بدوره إلى الأقسام الثلاثة الآتية:

- في ذكر تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسين حتى أخر عهد المستعصم .
- تاريخ الدويلات التي نشأت في إيران على اثر ضعف الخلافة العباسية وهذه الدويلات هي: (الغزنوية – السلجوقية – الخوارزمية – اتابكة فارس – الإسماعيلية)

- تاريخ الدول الأخرى مثل تاريخ " أغوز " جد الأتراك – تاريخ الخطا والصين – وتاريخ بني إسرائيل – تاريخ الإفرنج والقياصرة – تاريخ الهند .

وهذا القسم ينتهي بمقاله طويلة عن الديانة البوذية ومؤسسها ساكيمونى .

وكان من المفروض أن يكتب رشيد الدين مجلدا ثالثا في جغرافيا أقاليم العالم وقد أشار السلطان اولجاتيو على وزيره بتأليفه أيضا ، إلا انه لم يعثر عليه في جميع نسخ الكتاب ويبدو أن المؤلف لم يكتبه أو انه كتبه ولكنه فقد .

وفى العصر التيمورى ظهر مؤرخ أخر اسمه حافظ أبرو[١] كتب تكمله بالفارسية لكتاب جامع التواريخ أطلق عليه اسم " ذيل جامع التواريخ رشيدي [٢]" ويتناول شرح الوقائع والأحداث ابتداء من سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٢م) حتى (٧٨١هـ /١٣٧٩)[٣].

٣- وصف المخطوط :

يعد رشيد الدين اكبر المؤرخين الفرس في الدولة الإيلخانية، وكان ينظر إلى كتابه على أنه أحسن كتب التاريخ العام في الأدب الفارسي، وخير ممثل إلى التأليف في التاريخ العالمي الذي ساد العصر المغولي ، إذ كثرت فيه الموسوعات ، وتعدد المكثرون من درس الموضوعات التاريخية المختلفة حتى ليصح أن يطلق عليه بحق عصر الموسوعات .

وقد نهج رشيد في تأليف كتابه نهجا خاصا ولم يتبع نهج العرب والفرس الذين كانوا يعرفون أن التاريخ العام هو التأريخ للأمم الإسلامية فقط بل انه يرى بحق أن التاريخ العام يجب أن يشمل جميع أمم العالم مشتملا على تاريخ الشعوب ابتداء من الفرنجة في الغرب حتى الصين في

---

[١]- انظر ترجمته . حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني،ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):سلم الوصول إلى طبقات الفحول،تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول ط١،٢٠١٠م،ج٥،ص٣٤٠.

[٢]- انظر.حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،مكتبة المثنى - بغداد ،ط١، ١٩٤١م،ج١،ص٢٩١.

[٣]- انظر. ابن الفوطي(أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد،ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): مجمع الآداب في معجم الألقاب،تحقيق محمد الكاظم،مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي،إيران،ط١، ١٤١٦هـ،ج٢،ص٣٥. كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، ص٩٢-٩٣.العزاوي:التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،ص١٤٤-١٤٥.

الشرق،وذلك نتيجة إيمانه بالنظرة العالمية التي أعتنقها المغول والتي تتلخص بضرورة خضوع جميع شعوب العالم لسلطتهم ونفوذهم على اختلاف حضارتهم وصهرهم في بوتقة مغولية جامعة بما في ذلك حتى القوة الصليبية في أوربا والتي تحالفوا معها في سبيل محاولة قهر عدوهم المشترك المتمثل بالسلطنة المملوكية في مصر والشام، وفي سبيل ذلك تحرى رشيد الدين أن يكون كتابه جامعا بين البساطة وقوة التعبير وحسن الأداء والتناسق دون أن يقحم فيه أساليب البيان والصنائع البديعية تلك الآفة التي ابتلى بها التاريخ ،والقارئ لكتاب رشيد الدين يستطيع أن يتابع موضوعه في سهولة ويسر دون أن يعترض طريقه ما يشوش عليه بحثه ويدعوه إلى السأم والملل ويلاحظ أن أسلوبه يجرى على نسق واحد في معظم أجزائه .

ولكن إذا كان كتاب جامع التواريخ قد سلم من التكلف فقد طغى عليه بعض الاستخدام لألفاظ بالتركية والمغولية شأنه في ذلك شأن غيره من الكتب التاريخية التي الفت في هذا العصر وأكثرها فيما يتعلق بشئون الإدارة والحكم وآداب المغول وتقاليدهم ويتميز بسهولة الأسلوب.

كما انه أرخ حسب الموضوعات وليس حسب النظام الحولي فتناول تاريخ كل دولة وفقاً لترتيبها التاريخي وهى طريقة اقرب إلى الدقة وحسن التنسيق وتساعد الباحث في الحصول على المعلومات التي يريدها بسهوله ويسر. كما انه يمتاز بالوضوح والدقة في تبويب الموضوعات ووضع الفهارس وإدراك الجزيئات والتوفيق في ربط الحوادث وتنسيق الوقائع التاريخية.

٣- وصف القطعة موضوع الدراسة والتحقيق:

تقع حوادث هذه القطعة في القسم الثاني من المجلد الثاني من مخطوط "جامع التواريخ" ومن غير المؤكد بأنها النسخة الأصلية لاسيما بأن كتاب التاريخ الغازاني الذي أشتهر بجامع التواريخ قد كتب في الأصل باللغة الفارسية ويعتقد بأن النسخة العربية إما كتبت بالتوازي مع النسخة الفارسية أو بعدها بمدة قصيرة أثناء حياة رشيد الدين المأخوذة، وكما تقدم فهي مصورة عن النسخة المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن، وتتناول هذه القطعة المدشوتة ذكر تاريخ بدء الخليقة، وتاريخ الأنبياء، وتاريخ بني إسرائيل من الورقة ١ إلى الورقة ٣٦ ، بالإضافة إلى المرحلة المدنية من تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم بين سنة (١- ٥هـ/٦٢٢-٦٢٦م) من الورقة ١ إلى الورقة ١٤ ، وتم الحصول عليها من مكتبة الأستاذ الدكتور سهيل زكار.

وقد كتبت هذه الأوراق بخط جيد مقروء، ولكنها تحتوي على بعض الأخطاء اللغوية والنحوية،وعدد أسطر الورقة ٣٥ سطرا، وتراوح عدد الكلمات في السطر بين ٢٤ و٣٠ كلمة،وكتبت العناوين الرئيسية والفرعية بخط ذي حجم أكبر وغامق، وتحتوي القطعة على تصاوير فنية على الطريقة المغولية تجسد بعض الأحداث كوقوف الفرسان في غزوة بدر ونزول الملائكة لزلزلة يهود بني قينقاع وحصار بني النضير وتصاوير أخرى لسفينة نوح ولعرس يعقوب وليوسف وأخوته ولعقاب موسى لبني إسرائيل يوم عبدوا العجل ولوفاة موسى وموت طالوت ولإتقام الحوت ليونس عليه السلام، وعدد الصور في القطعة أحدى عشر صورة،وقد كتبت أوراق المخطوط على الوجه دون الظهر وهي مراجعة من قبل النساخ لكنها غير مرقمة.

ويحمل هذا المخطوط السمات العامة لرسوم الكتابة العربية في العصر الإيلخاني السائدة آنذاك مثل:

١- حذفت الألف من وسط الكلمة أحياناً مثل كلمة "الثلثاء" بدالً من "الثلاثاء."

٢- تم إهمال الهمزة في بعض مواقع الكلمة فأهملت في أولها: ابي بدلاً من أبي، الاحد بدالاً من الأحد، وأهملها أحيانا في وسطها مثل الملايكة بدالاً من الملائكة ، وثبتها في آخرها مثل:الماء ولواء.

٣- أبدل الهمزة ياء في كثير من المواقع مثل: ماية بدالاً من مائة.

٤- إهمال الألف المتوسطة من الأسماء ذات الرسم القرآني مثل:ابرهيم بدلاً من إبراهيم واسمعيل بدالاً من إسماعيل، واسحق بدالاً من إسحاق كما تم إهمالها في مواضع أخرى مثل: عليه السلم بدلاً من عليه السلام .

٥- وصل بعض الكلمات التي تحتاج إلى فصل مثل: الثلماية بدالاً من الثلاثمائة.

٦- قام باستدارتك بعض العبارات فكتبها في الهامش الأيسر، لكن بشكل محدود جدا لا يتجاوز الحالتين.

٧- كتب لفظ الجلالة الله مشددة في جميع المواضع.

٨- عدم التحري التام في مسألة تذكير العدد وتأنيثه،و إهمال تنقيط بعض الكلمات والحروف أو وضع النقاط في غير أمكنتها الصحيحة[١].

٤- نسخ المخطوط في العالم :

كانت تأليف هذه الموسوعة في مدة حكم السلطان غازان، والواقع إن حكم غازان مثل اللحظة التي تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئا فشيئا إلى الحياة المستقرة في إيران فقد حاول هذا السلطان خلال عهده القصير أن يعوض البلاد بعض ما خسرته بسبب الجرائم التي اقترافها أسلافه ، حيث كان إسلامه واختياره الإسلام دينا رسميا للدولة إيذانا ببدء عصر جديد كان يختلف بروحه ومميزاته عن السابق، فكان عصراً تطورت فيه مظاهر الحياة عند المغول وارتقت نظمهم الاجتماعية فنبذوا عاداتهم الوثنية واقبلوا يساهمون بنصيبهم في إنهاض الحضارة الإسلامية في شتى مظاهرها .

وبالنسبة لنسخ جامع التواريخ هناك عدة نسخ لكتاب جامع التواريخ بعضها كتب بالعربية والبعض الأخر بالفارسية وهي عبارة عن أجزاء من الكتاب موزعة على الشكل التالي :

- قطعة باللغة العربية محفوظة في المتحف البريطاني في لندن ومنها هذا الجزء الذي تم تحقيقه .
- قطعة باللغة الفارسية محفوظة بمكتبة دار الفنون بأدنبرة باسكتلندا وتحريرها من سنة ٧١٧هـ.
- قطعة باللغة الفارسية محفوظة في مكتبة الجمعية الأسيوية الملكية وتحريرها إلى سنة ٧١٤هـ أي بعد أربعة سنوات من أتمام المؤلف الأصلي وهذه النسخة تمت على يد المؤلف أو تحت إشرافه ثم أودعت مع النسخة الأصلية في الربع الرشيدي .
- قطعة قديمة باللغة الفارسية من كتاب جامع التواريخ محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس .

[١]- تعذر إجراء مقارنة من حيث المادة واللغة والمعالجة والصور بسبب عدم وجود النسخة الفارسية من هذه القطعة.

- قطعة باللغة العربية محفوظة بمتحف طوب قابوسراى ومدرجة ضمن مكتبة بيلديز تحت رقم ١٦٥٤.
- قطعة باللغة الفارسية محفوظة في المتحف نفسه تحت رقم ١٦٥٣ .
- قطعة رائعة باللغة الفارسية تقع في مجلد واحد في القصر الإمبراطوري القاجاري خارج مدينة طهران ومزينة بالصور قام الأستاذ الدكتور سهيل زكار بالإطلاع عليها بنفسه.
- وفى سنة ١٩٨٠ بيعت مخطوطة كتاب جامع التواريخ باللغة العربية في صالة مزادات سوئب في لندن لجامع التحف الإيراني ناصر داوود خليل بمبلغ ٨٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى ونشرها في كتاب قيم.

وبالنسبة للأجزاء المطبوعة والمحققة من كتاب جامع التواريخ فهي قليلا جداً وتقتصر على قطعتين من نسخة كتبت بالفارسية من الجزء الأول وهي :

- قطعة باللغة العربية في أياصوفيا عن جنكيز خان قام بتحقيقها ونشرها أ.د. سهيل زكار في الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية.
- قطعة باللغة الفارسية من المجلد الأول في باريس عام ١٨٣٦م ويتضمن مقدمة تفصيلية ومهمة عن الكتاب.
- قطعة باللغة الفارسية تتضمن تاريخ خلفاء جنكيز خان في ليدن عام ١٩١١م قام بتصحيحها المستشرق الفرنسي بلوشيه في مطبعة بريل في هولندة، وطبع ثانية في مطبعة طلوع في طهران ١٩٣٥م
- قطعة باللغة الفارسية تتضمن تاريخ أبناء هولاكو قام بترجمته محمد صادق نشأت وسبق أن نشرها بالفارسية المستشرق التشيكوسلوفاكي كارل يان في براغ عام ١٩٤١وقد صدرت الترجمة في القاهرة عام ١٩٦٠م
- قطعة باللغة الفارسية تتضمن تاريخ هولاكو قام بتحقيقه وترجمته إلى العربية كل من محمد صادق نشأت،محمد موسى هنداوى،فؤاد عبد المعطي الصياد في عام ١٩٦٠م، وقد سبق لكاترمير أن حقق هذا الجزء عام ١٨٣٦م.

- قطعة باللغة الفارسية تتضمن تاريخ غازان خان قام بتحقيقه وترجمته إلى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد في عام ١٩٩٨م كم سبق له أن نشر تاريخ خلفاء جنكيز خان عام ١٩٨٣م وذلك نقلا عن طبعة بلوشيه السابقة الذكر[١].

وفي المحصلة فإن القطع المدونة باللغة العربية و المنتشرة في متاحف العالم تعود إلى الكتاب نفسه وهي تحتوي على بعض القطع المفقودة في النسخة الفارسية ومن بينها القطعة التي تتناولها هذه الرسالة ونفس الشيء ينطبق على القطع الفارسية ، إلى أن القطع العربية لم تلق ذات الاهتمام من الباحثين من حيث النشر والتحقيق مقارنة مع القطع الفارسية باستثناء ما قام و يقوم به الأستاذ الدكتور سهيل زكار من جهود جبارة في هذا المجال.

٥- أهمية المخطوط:

إن كتاب جامع التواريخ هو بحق أهم ما ترك رشيد الدين من تصانيف ، وقد بدأ العمل فيه سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) بأمر من السلطان غازان، وأتمه في عهد اولجاتيو عام (٧١٠هـ/١٣١٠م)، وعلى الرغم من كون رشيد الدين من مؤرخي البلاط الذين عرف عنهم السعي الدائم لإرضاء السلاطين فيظهر في تواريخهم التحيز والتملق وإخفاء الحقائق، فإن رشيد الدين التزم الحياد بقدر المستطاع فهو كان معجباً بالمغول و يشيد بأعمالهم ولكن بدون مبالغة وكان يتكلم عن قسوتهم الفظيعة وإسرافهم في القتل .

وعندما أرخ للأمم غير الإسلامية كان يعرض تقاليد كل قوم حسب الصورة التي يحفظ بها الناس هذه التقاليد، وبذلك لم يعرف رشيد الدين النقد التاريخي، ولم ينتقد ما يعتريه من المغالط والأوهام ، حيث سجل رشيد الدين الروايات التاريخية كما سمعها من مصادرها بدون تغيير ، فليس كتابه من هذه الواجهة تاريخيا علميا بالمعنى المفهوم اليوم ، ولكن يكفي هذا الكتاب أنه لم ير قبله اجتماع لعدد كبير من علماء الأمم المختلفة في تلك الأيام، وجمعهم للروايات التاريخية المتصلة بالتاريخ العام في كتاب واحد لا قبل ذلك الزمان ولا بعده،حيث أتيح لرشيد الدين بحكم منصبه فرصة

[١]- انظر.الهمذاني:جامع التواريخ تاريخ غازان،ص١١.كاترمير: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته،ص٩-١٠. العزاوي:التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،ص١٤٦.

الاطلاع على الوثائق المغولية المكتوبة في ذلك العصر، فقام باستخدامها على نطاق واسع عند جمعه للمادة العلمية لتأليف كتابه بعد أن وضع السلطان غازان تحت تصرفه خيرة المصادر وأندرها في الإمبراطورية المغولية كالوثائق والسجلات التي كان على رأسها " التون دبتر[1] " أي الكتاب الذهبي الذي يشتمل على التاريخ الرسمي للمغول، وكذلك استطاع أن يحصل على كثير من الروايات الشفوية التي كان يدور معظمها على لسان السلطان غازان و سفير الخاقان في بلاط السلطان غازان، وكان يستقى معلوماته من أفواه الثقات والمتخصصين في تاريخ كل أمة، وترد في الكتاب إشارات جغرافية هامة عن مناطق كثير كانت مجهولة وهى المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى الأطراف الشرقية لحدود الصين ووصفها وصفاً دقيقاً لأنها جزء من الإمبراطورية المغولية فذكر مواقع المدن وطبيعة الجو وحاصلات الأرض والعادات والتقاليد الخاصة ، وقدم معلومات لا تتوافر في مصادر أخرى، فأفاض الحديث عن طائفة الإسماعيلية وإقليم التبت[2] وتحدث عن الهند وشرح جغرافية هذه البلاد والعادات والتقاليد والأديان التي تسودها.

كما لكتاب جامع التواريخ قيمه فنية كبيرة ، تظهر مدى ازدهار فن التصوير في ذلك العصر فأكثر صور المدرسة المغولية توجد ممثلة في مخطوط جامع التواريخ الذي يعد من أقدم المخطوطات التي تشتمل على صور دينية، و مناظر القتال والمعارك، والمناظر التي تمثل حكام المغول بين أفراد أسراتهم وحاشيتهم ،وتجدر الإشارة هنا بأن رشيد الدين هو من قام بجمع مادة كتابه ولكنه لم يدونه بنفسه نظراً لانشغاله في إدارة شؤون البلاد حيث دون كتابه في جامعة الربع الرشيدي من قبل مجموعة كبيرة من الكتاب، والنساخ ،وتم كل ذلك بإشراف ومتابعة من رشيد الدين، ويمكن القول بأن كتاب جامع التواريخ هو أول تاريخ عالمي معروف بالمعنى الصحيح وأول مجموع منتظمة للتطور التاريخي لذلك اهتم به المؤرخين، والمستشرقين ،والدارسين في كل العالم وترجم إلى لغات كثيرة لأنه مصدر أساسي عن تاريخ المغول وجغرافيا المنطقة التي توسعوا فيها، وحروبهم ضد السلطنة المملوكية ، وبذلك كان مصنف رشيد الدين صورة لموسوعة تاريخية ضخمة لم يوجد لها مثيل عند شعب من شعوب القرون الوسطى، فهو نتاج لمشروع ضخم استند على مجهود علماء من مختلف الشعوب ليقف مثالاً حيا للنتائج الايجابية التي تمخض عنها الانصهار الحضاري للعنصر المغولي الذي نجح في الربط بين شعوب باعدت بينها الشقة واختلاف الثقافات.

---

[1]- انظر. الهمذاني:جامع التواريخ تاريخ غازان،ص٢٢. الصياد: المغول في التاريخ ،ج١،ص٣٣٨-٣٤٢.

[2]- هو إقليم شاسع يقع جنوب غرب الصين ويمتد على طول الحدود مع الهند حالياً.انظر المزيد . الشريف الإدريسي(محمد بن عبد الله بن الحسني،ت٥٦٠هـ/١١٦٤م):نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،عالم الكتب، بيروت،ط١، ١٤٠٩هـ،ج٢،ص٥١٠.ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،ج٢،ص١٢٦.

٦- أهمية القطعة موضوع التحقيق:

إن القسم الأول من القطعة المتعلق ببدء الخليقة، وتاريخ الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ بني إسرائيل، فقد ذكر رشيد الدين بكل وضوح أنه استقاها وأوردها نقلاً عن نص التوراة،ونوه بأنه أجتهد في تحري وجمع روايته من جماعة من البشر كانوا على اطلاع بأحوال تلك الأمة و استخرجوه من التوراة ومن كتب تواريخهم المتفرقة وأقر بأن هذا التاريخ يتضمن بعض الروايات التي تتنافى مع العقل البشري، والواقع،وأن عهدتها على الرواة والنقلة فلا يكون هو مؤاخذاً بها، وأنه كان كتب تاريخ كل قوم أو طائفة حسب زعمهم وبموجب قولهم وبأنه لم يتصرف فيه برأيه زيادة أو نقصان سواء إذا كان قالوه حقا أو باطلاً وأن عهدة صدقه أو بطلانه تقع على تلك الطائفة لا عليه .

وتتضح القيمة العلمية لهذا القسم في كون رشيد الدين قد تفرد في بعض رواياته عن جميع المصادر الموجودة بما في ذلك التوراة مثل:قصة الطائر الذي احتمى بنوح عليه السلام وقصة أنبات الله تعالى للحية يوسف عليه السلام، وقصة قطع رأس أبشالوم بن داود عليه السلام ، كما تفرد بذكر بعض المواضع الجغرافية مثل: الموضع المسماة بعين الشمس ، و موضع فوهة الحيرة، وغير ذلك من الأماكن التي مر بها موسى عليه السلام عند خروجه من مصر، وبالإضافة إلى ذلك فقد تفرد أيضاً في ذكر بعض الأنساب، كنسب طالوت وغير ذلك من الأمور وقد تم الإشارة إلي كل ذلك في الحواشي ولعل هذا التفرد والاختلاف في بعض روايات رشيد الدين يرجع إلى الرواية الشفوية والمصادر التي نقل عنها ولاسيما أنه أعتمد في ذلك على التوراة العبرانية[١] القديمة وهي تختلف في كثير من رواياتها عن التوراة اليونانية المتوفرة حاليا للدارسين .

أما بالنسبة للقسم الثاني من المخطوط فترجع أهميته هذه القطعة في كونها تسلط الضوء على مرحلة مفصلية في تاريخ الدعوة النبوية الإسلامية ألا وهي المرحلة المدنية من الدعوة وعلى الرغم من أن رشيد الدين لم يأتِ بشيء جديد أو رواية مغايرة عما أورده من جاء قبله من مؤرخين ومحدثين وعلماء صنفوا حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لكن إظهار هذه المادة العلمية الموجودة في المخطوط وما تشكله من إضافة إلى المكتبة العربية الإسلامية هو بحد ذاته أمر يستحق

[١]- انظر مسألة الاختلاف بين نسخ التوراة. أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل بن علي،ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):المختصر في أخبار البشر،تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار المعارف،القاهرة،ط١،د.ت،ج١،ص١٣-١٧.

الوقوف عليه وفي الواقع فإن القيمة الحقيقية لهذه القطعة تكمن في معرفة وإظهار كيف تعامل مصنفها رشيد الدين المتهم أصلاً في صحة إسلامه وميوله وأصوله اليهودية مع السيرة النبوية الشريفة وهل التزم الحياد والدقة في نقل وذكر رواياتها دونما تحريف أو تدليس قد يحصل تحت تأثير النزعات العقدية المحتملة للمصنف؟ وفي الإجابة عن هذه التساؤلات يمكن القول بواقعية و تجرد بأن رشيد الدين عمل جاهداً على تحري الدقة في نقل وإيراد الروايات المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه، ووضعها ضمن الإطار الزمني الصحيح عبر ذكر الشهر والسنة الهجرية لكل حدث وعلى الرغم من ذلك فيمكن تلمس ميول وشخصية المؤلف في تفصيل صغير قد لا يلتفت إليه البعض ومنها أن رشيد الدين كان يقوم بلعن المشركين من سادة قريش كأبي جهل بينما لا يشاهد ذات الشيء عند ذكره وتعامله مع أحداث يهود المدينة كبني النضير وهذا الأمر ينم على نزعات وتعاطف غير مباشر مع جذوره اليهودية القديمة بأقل تقدير، ورغم ذلك ومن باب الإنصاف فيحسب لرشيد الدين عدم تأثره بتشيع اولجاتيو فهو كان يترضى عن أبي بكر وعمر، وجميع الصحابة ،والنقد الوحيد لروايته في هذا المجال هو ذكره للأحاديث النبوية دونما الإشارة إلا أنها أحاديث نبوية أو ذكر سندها ورواتها، كما أنه لم يصرح بالمصادر التي نقل عنها أحداث السيرة النبوية باستثناء لذكره محمد بن إسحاق و الواقدي في بداية حديثه عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم .

٧- منهج رشيد الدين الهمذاني في المخطوط:

إن الهدف من دارسة وتحقيق المخطوطات هو الوصول بالنص المخطوط إلى الصيغة التي أراد المؤلف إيصالها إلى القارئ، وليست الصيغة التي وضعها النساخ وما وقعوا به من تصحيفات وتحريفات خلال عملية النسخ خاصة بأن الكتاب والنساخ في الربع الرشيدي لم يكونوا على تلك الدرجة العالية من المهارة في إتقان اللغة العربية مقارنة بلغتهم الفارسية وبالتالي فإن كل ما ورد في القطعة من تصحيفات هي من هذا الباب، وذلك مع توخي الحذر في الحفاظ على المادة العلمية دون أي نقص أو إضافات على النص فيما يتمم المعنى الذي أرده المؤلف، فالخطوات التي اتبعت في تحقيق المخطوط ودراسته هي :

١- استنساخ المخطوط ، وإعادة إخراج النص،وتنظيم فقراته،وضبطه بالرسم المتعارف عليه في الوقت الحالي بما لا يغير مضمون النص .

٢- تم كتابة النص وفق الرسم الكتابي الحديث، وتم وضع علامات الترقيم المناسبة، وكما تم تدارك الأخطاء اللغوية وذلك بوضع الهمزة، واثبات الألف المتوسطة في الأسماء، وحذف ألف مائة، والفصل بينها وبين العدد، وتم ضبط التذكير والتأنيث، والمطابقة ما بين العدد ومعدوده، دون التوقف عندها أو الإشارة إليها في الهامش .

٣- تمت مقارنة الحوادث والأخبار الواردة في المخطوط بما ورد بشأنها في المصادر التاريخية،وتمت الإشارة إلى ما بين رواية المؤلف والمصادر من فروق واختلافات .

٤- تم نقل الحواشي إلى مواضعها المشار إليها في المتن ووضعها بين حاصرتين [ ] .

٥- استكمال النقص من الكلمات التي سقطت عن طريق السهو من المؤلف أو الناسخ،وكذلك الكلمات المطموسة قدر ما أمكن، وحذف التكرار، وذلك عن طريق المقارنة مع المصادر الأخرى،و وضع تلك الكلمات بين حاصرتين[ ] والإشارة إلى ذلك في الحواشي . و كذلك الإشارة إلى ما تما العجز عن استدراكه بوضعه بين حاصرتين في المتن على هذه الصورة [-- --]

٦- تم ترقيم المخطوط لعدم وجود الترقيم الأصلي وتخصيص قوسين [ ] داخل المتن لحصر وجه الورقة وظهرها .

٧- تصويب الأخطاء النحوية التي لا يخفى صوابها على أحد، والتي يمكن أن تقرأ بغير الوجه المقصود، دون لإشارة إلى ذلك في الحواشي.

٨- الإشارة إلى كل إضافة على النص ووضعها بين قوسين[ ] والإشارة إلى ذلك في الهامش والى مصدر الزيادة أو ضبط بالشكل ما قد يبهم على القارئ من الأسماء والألفاظ العربية والأعجمية.

٩- ردت النصوص المنقولة إلى مصادرها الأصلية سواء التي ذكر فيها اسم المؤلف أو التي لم يذكر فيها اسم المؤلف، وتم التنبيه إلى طريقة المؤلف في استخدامها.

١٠- تخريج الآيات القرآنية الكريمة من القرآن الكريم، ووضعها بين قوسين { } .

١١- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الحديث المتعارف عليها، ووضعها بين قوسين صغيرين (( )).

١٢- تخريج الأبيات الشعرية من دواوينها إن وجدت، وضبطها بالشكل.

١٣- تم تعريف أسماء الأعلام، والقبائل والشعوب والجماعات والأماكن، بالإضافة إلى الألفاظ والمصطلحات والألقاب وغيرها، وأشير في الحواشي إلى الأسماء التي لم يتم الحصول على تعريفها.

١٤- توضيح بعض الأحداث غير الواضحة في النص في الهامش وموازنتها بالمصادر الأخرى.

١٥- التنبيه إلى بعض الأوهام التي وقع فيها المؤلف، وتم الإشارة لها في النص.

١٦- توخي الأمانة العلمية ما أمكن، فلم يتم تغيير أي شيء في النص دون الدلالة عليه في الحواشي.

٨- مقارنة قطعة المخطوط مع قطع أخرى من كتاب جامع التواريخ:

إن كتاب جامع التواريخ بوصفه تاريخاً عالمياً هو أمر في غاية الأهمية ، حيث شكل ظهور هذا الكتاب تعبيراً واضحاً عن مدى التقدم الحضاري ، والسياسي لذلك العصر لاسيما أن هذا العمل الفذ صدر باللغتين العربية والفارسية ، وبما أن عملية تحقيق أي مخطوط تستوجب على من أخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة ولا تستقيم إلا بالقيام بإجراء مقابلة للقطعة التي يقوم بتحقيقها مع نسخ أخرى للمخطوط نفسه وهذا ما تعذر القيام به في تحقيق هذه القطعة من مخطوط جامع التواريخ بسبب ضياع هذه القطعة من النسخة الفارسية وصعوبة الحصول على أي قطعة أخرى من النسخة الفارسية نتيجة للظروف الحالية ، وندرة القطع العربية المبعثرة في متاحف العالم ، فقد تم وبتوجيه من الأستاذ الدكتور سهيل زكار العمل على إجراء مقارنة بين قطعة هذه الرسالة مع بضع أوراق من النسخة العربية من كتاب جامع التواريخ تم الحصول عليها من مكتبة الأستاذ الدكتور سهيل زكار والذي قام بتصويرها بنفسها من قطعة مانشستر في إنكلترة ، وقطعة أياصوفيا في تركيا .

١- **قطعة مانشستر:** وتم الحصول على الورقة رقم ثلاثة من هذه القطعة ، وهي تتحدث عن السلطان السلجوقي ألب أرسلان ووزيره المشهور نظام الملك والسلطان ملك شاه بن ألب أرسلان ،واحتوت هذه الورقة على خمسة عشر سطراً ، وتراوح عدد الكلمات في السطر بين ٢٤ و٣٠، وتحمل هذه الورقة السمات العامة لرسوم الكتابة العربية المطابقة لقطعة هذه الرسالة، كما احتوت على صورة تمثل السلطان ملك شاه وهو جالس على عرشه وحوله حاشيته وأتباعه.

وبالنسبة لمضمون هذه الورقة فإن معالجة رشيد الدين لمعلوماتها لا تختلف عن مضمون قطعة هذه الرسالة من حيث التزام الحياد والإنصاف وتجنب المصنف إبداء أية أراء، أو أهواء شخصية، وكذلك الأمر فقد كان ناقلاً للخبر لا أكثر. ولا تحتوي هذه الورقة على أية حواشي جانبية، أو أختام

،ويمكن القول بكل ثقة بعد دراسة هذه الورقة أن قطعة مانشستر مطابقة من حيث الخط، واللغة ،والأسلوب،والمعالجة ، والشكل الخارجي والأسلوب للقطعة التي تتناولها هذه الرسالة .

١- **قطعة أياصوفيا:** وهي ذات القطعة التي قام الأستاذ الدكتور سهيل زكار بتحقيقها من قبل،وتم الحصول على ثلاثة أوراق وهي ورقة الغلاف،والورقة الأولى،و الأخيرة من هذه القطعة، وتحتوي ورقة الغلاف على العنوان وهو تاريخ جنكيز خان،و حاشية جاء فيها "وقف بأمر سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان ، السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً مرعياً " وتحتوي أيضاً على ثلاثة أختام غير واضحة وتحمل الورقة الرقم ٢٠٢٤.

وبشكل عام فإن كل ورقة من هذه الأوراق الثلاث مقسمة عمودين إلى ورقتين ، وجاء في بداية الورقة الأولى عبارة بسم الله الرحمن الرحيم، وقد كتبت بخط واضح وكبير وتم إحاطتها بزخارف بسيطة ، ويلي ذلك ديباجة من الحمد والثناء لله تعالى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،أم القسم الثاني من الورقة فيحتوي على صورة مطموسة.

وبالنسبة للورقة الأخيرة فتحتوي صورة مطموسة للسلطان الإيلخاني اولجاتيو ، وتضمن القسم الثاني من الورقة الحديث عن مولد السلطان اولجاتيو .

إن هذه القطعة تختلف تماما من حيث الشكل والموضوع عن القطعة التيتم تحقيقها في هذه الرسالة ومن أهم الفوارق :

١- تحتوي هذه النسخة على ثلاثة أختام
٢- الورقة مقسمة فيها إلى قسمين متساويين بشكل عامودي خصص قسم لصور وقسم للكتابة على العكس من مخطوط هذه الرسالة الذي جاءت فيه الصور والنصوص مجتمعة بدون فواصل .
٣- عدد السطور في الورقة ثلاثة عشر سطراً، وعدد الكلمات في السطر الواحد يتراوح بين ثمانية إلى خمسة عشر كلمة .
٤- من حيث موضوع القطعة فهو يتناول تاريخ المغول وهنا كان رشيد الدين شاهداً ومعاصراً على الكثير من أحداثه خاصة ما تعلق منه بتاريخ غازان، و اولجاتيو. بينما كان في القطعة المحققة في هذه الرسالة ناقلاً ومصنفاً أكثر منه مؤرخاً.

وفي نهاية هذه المقارنة يمكن الوصول إلى استنتاج أن النسخة العربية هي معاصرة لمصنفها رشيد الدين، ولكن في ضل غياب النسخة الفارسية من هذه القطعة وعدم القدرة على الاطلاع على أي قطعة منشورة منها وبعد الاطلاع على بعض الأوراق من النسخة العربية وتعذر الاطلاع على نسخة عربية كاملة فبالتالي فإن نتائج المقارنة غير مؤكدة أو قطعية حتى بالنسبة لمحتوى النسختين وبذلك تبقى هذه القضية مفتوحة للمستقبل عندما يتمكن أي باحث من الاطلاع على كل المواد المطلوبة لإنجاز مثل هذه المهمة الكبيرة .

٩- مصادر المؤلف في المخطوط:

إن لدراسة الكتب التاريخية أهمية كبيرة في دعم مناهج البحث العلمي ، وقد اعتمد رشيد الدين الهمذاني في هذه القطعة على العديد من المصادر التي تعود للرواة الأوائل سواءً ضاعت مصنفاتهم أم مازالت متوفرة إلى الآن والتي وبالرغم من عدم تصريحه بها باستثناء التوراة فقد أمكن التعرف عليها من خلال سياق الروايات ، وأبرز المصادر التي أعتمد عليها الهمذاني :

١- العهد القديم:

هو الكتاب المعروف بالتوراة الذي يعزى إلى موسى عليه السلام وما بعده من الأنبياء المتبعين لموسى حتى قدوم عيسى بن مريم عليه السلام[١] ، وهو يتكون من ٣٩ سفراً ينقسم كل منها إلى ٩٢٩ إصحاحاً.

وقد اعتمد الهمذاني على العهد القديم بشكل مطلق عندما تحدث عن بدء الخليقة وتاريخ بني إسرائيل فنقل عنه جميع روايات القسم الثاني من القطعة باستثناء ما كان قد تفرد بنقله من روايات التوراة المشرقية القديمة التي نقل عنها والمغايرة في بعض رواياتها للتوراة اليونانية المتداولة ، وهذه هي الأسفار التي نقل عنها:

[١]- انظر . ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم الحراني،ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م): النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض،ط١،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م،ج٢،ص٥٢.

١- التكوين ٢- يشوع ٣- أستير ٤- أخبار الأيام الأول ٥- أخبار الأيام الثاني ٦- الخروج ٧- العدد ٨- اللاويين ٩- التثنية ١٠- القضاء ١١- صموئيل الأول ١٢- صموئيل الثاني ١٣- الملول الأول ١٤- الملوك الثاني ١٥- يونان ١٦- حزقيال ١٧- دانيال ١٨- عزرا [١].

٢- ابن إسحاق[٢]:

أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي، كان جده يسار من سبي عين التمر وهي بلدة غرب الكوفة في العراق وذلك في عهد أبي بكر الصديق ، وكان مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ولد ابن إسحاق سنة ثمانين للهجرة، ورأي أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وحدث عن أبيه وعمه موسى بن يسار وأبان بن عثمان وغيرهم،وهو أول من دون علم المغازي بالمدينة وكان واسع العلم،ونقل عن الأمام الشافعي قوله:" من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق.وقد جمع سير ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم بطلب من أبي جعفر المنصور ليطلع عليها أبنه المهدي ، وتوفي سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م).

وقد اعتمد رشيد الدين الهمذاني في هذه القطعة المحققة عليه في روايتين وكان جل هذه الروايات في المغازي النبوية الشريفة حيث نقلها رشيد الدين الهمذاني من المجلد الأول بتصرف وتمت الإشارة إلى جميع تلك الروايات في موضعها بالاعتماد على رواية ابن هشام الذي نقل عن ابن إسحاق .

٣- الواقدي[٣]:

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، كان جده واقد مولى لبني سهم من أسلم. ولد في المدينة سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)، ثم تحول منها فنزل بغداد، سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م)، في دَيْنٍ لحقه وولي القضاء للخليفة لمأمون أربع سنين وكان عالما بالمغازي والسيرة والفتوح والأحكام واختلاف الناس،

---

[١]- انظر . الفيومي(سعديا بن جاؤون بن يوسف):تفسير التوراة بالعربية، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م،ص٧- ٨.

[٢]- انظر ترجمته: الخطيب البغدادي(أحمد بن علي بن ثابت،ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م):تاريخ بغداد،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٤١٧هـ،ج٢،ص٢٣٦-٢٣٧. .الذهبي:سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،ج٨،ص٣٣-٥٥.

[٣]- انظر ترجمته: ابن سعد(محمد بن منيع الزهري،ت٢٣٠هـ/٨٤٦م):الطبقات الكبير،تحقيق علي عمر،الشركة الدولية للطباعة،مصر مدينة ٦ أكتوبر،ط١، ١٤٢١-٢٠٠١،ج٦،ص٤٩٣. الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،ج٥،ص٥-٦. الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،تحقيق إحسان عباس الناشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م،ج٦،ص٥٩٠.

وقد فسر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحدّث بها وكان من أوعية العلم وتوفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٣م) في بغداد.

وقد اعتمد رشيد الدين الهمذاني في هذه القطعة المحققة عليه في ست روايات وكان جل هذه الروايات في المغازي النبوية الشريفة ، حيث نقلها رشيد الدين الهمذاني من المجلد الأول بتصرف وتمت الإشارة إلى جميع تلك الروايات في موضعها .

٤- ابن سعد[١]:

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع مولى بني زهرة، مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة، وسكن بغداد، وصحب الواقدي المؤرخ، زمانا، فكتب له وروى عنه، وعرف بكاتب الواقدي كان كثير العلم كثير الحديث والرواية كثير الكتب،وأهم مؤلفاته الطبقات الكبرى الذي نال ثناء العلماء، لشموله وحسن تصنيفه وهو كتاب في طبقات الصحابة والتابعين،توفي ابن سعد في ببغداد يوم الأحد (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، ودفن في مقبرة باب الشام وهو ابن اثنتين وستين سنة.

وقد اعتمد رشيد الدين الهمذاني في هذه القطعة المحققة عليه في أربعة روايات وكان جل هذه الروايات في المغازي النبوية الشريفة ، حيث نقلها رشيد الدين الهمذاني من المجلد الأول نقلاً بتصرف وتمت الإشارة إلى جميع تلك الروايات في موضعها.

[١]- انظر ترجمته : ابن خلكان(أحمد بن محمد بن إبراهيم،ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت ،ط١، ١٩٩٤م ،ج٤،ص٣٥١. الحضرمي(أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي،ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،تحقيق جمعة مكري - خالد زواري، دار المنهاج ،جدة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨ م،ج٣،ص٤٧٧. الزركلي:الأعلام، ج٧،ص١٣٧.

القسم الثاني

النص المحقق

الفصل الأول

ذكر بدء الخليقة

- القسم الأول:

من ابتداء خلق آدم عليه السلام (١- و) إلى وقت خروج بني إسرائيل من مصر ويسمون هذا التاريخ بالعبرانية تاريخ التصيره[١]، ومعناه الخليقة يعني به آدم .

- القسم الثاني:

من ابتداء هذه السنة المذكورة إلى حين خروج الإسكندر بن فليقوس اليوناني[٢] والروم اليهود يضع تاريخ باسمه ويسمون هذا التاريخ البيصاى[٣]،ويعني الخروج من مصر.

- القسم الثالث:

تاريخ الإسكندر الذي وضعه في السنة السادسة من زمان سلطنته وهي السنة الأربعين من عمارة بيت المقدس الثانية [٤].

وهذا التاريخ هو الذي يبنى عليه حساب اليهود ، وعبر من هذا التاريخ على زعمهم ألف وستمائة وسبع وعشرين سنة ، وفي هذه السنة توفي عزرا[٥] متولي عمارة بيت المقدس ، وفي هذه

---

[١]- ويعرف حالياً بالتكوين.

[٢]- على هذه الصورة ذكر نسب الإسكندر المقدوني في المصادر العربية والإسلامية. انظر . الطبري(محمد بن جرير،ت٣١٠هـ/٩٢٣م):تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية - بيروت ،ط١،١٤٠٧هـ ،مج١،ص٥٧٧.

[٣]- كلمة عبرية تعني العائدون. قاموس الكتاب المقدس ، تأليف نخبة من الأساتذة واللاهوتيين،هيئة التحرير بطرس عبد الملك - جون ألكسندر طمسن - إبراهيم مطر ،دار الثقافة،مصر،د.ط،د.ت ،ص١٤٣.

[٤]- انظر. الأصفهاني(حمزة بن الحسن،ت٣٢٦هـ/٩٣٨م):تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار مكتبة الحياة،بيروت،د.ط،١٩٦١م،ص٦٤-٦٥ .

[٥]- اسم عبري معناه (عون الله) وهو أحد أنبياء بني إسرائيل وهو الذي قادهم في رحلة العودة من بابل إلى أرض كنعان بعد نهاية مرحلة السبي البابلي ويعرف أيضاً بعزرا الكاتب. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٢٦.

المدة كانت الأنبياء والأحبار يلازمون صحبته إلى أن مات ، ولم تزل النبوة فيهم إلى تاريخ البيصاى، فلما وضع هذا التاريخ انقطعت النبوة من بينهم، ونزل مكان النبوة الوحي النبوية، وصورة هذا الحال هو أن الجماعة الذين كانوا في بيت المقدس من الكهان الهاروني كان بعضهم يسمع صوتا يشتمل على حكم من أحكام الشرع، فكانوا يتابعون قوله، واليهود تسمي هذه الحالة والنص بقول معناه نوع من الوحي، ومن ابتداء خلق آدم عليه السلام إلى تاريخ الإسكندر كانت ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة وثمان وأربعون سنة ، واليهود يقولون أن هذا التاريخ تاريخ اليونان ، وكل واحد من هذه التواريخ هو منسوب إلى زمان معلوم ، وقوم مخصوصين من جملة مشاهيرهم ورؤسائهم ، كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود و الإسكندر .

وأما تفاصيل السنين من آدم إلى نوح عليهما السلام ، فإن ما بينهما ألف سنة وست وخمسون سنة[1]، وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام ثمانمائة سنة واثنتان وتسعون سنة، وبين إبراهيم وموسى أربعمائة وعشرون سنة ، وبين موسى وداود عليهما السلام أربعمائة وست وثمانون سنة ، وبين داود و الإسكندر خمسمائة وأربع وتسعون سنة، وفي هذه السنة توفي عزرا ،والسلام [2].

ذكر أول شيء خلقه الله تعالى

اعلم أن التاريخ الذي يتعلق بخلق آدم عليه السلام، ومدته ألف سنة وست وخمسون سنة، نقلوا فيها أن أول ما خلق الله في يوم الأحد[3] هو النور، والظلمة، فأعطى النور للسموات، وخصص الظلمة بالعالم الاستقصائي ، وفي هذا اليوم انقسم الزمان على الليل والنهار، وخلق أيضا في هذا اليوم الملائكة الروحانيون ، وفي يوم الاثنين خلق العناصر الأربعة التي هي سبب التركيب وركبها

---

[1]- كان عمر آدم عليه السلام تسع مائة وثلاثين سنة وكان مولد نوح بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين سنة وذلك لألف وست وخمسون سنة مضت من يوم خلق آدم عليه السلام وذلك بمقتضى قول بني إسرائيل. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص١٠٠. الأصفهاني:تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ص٦٨.

[2]- انظر. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر، ط١،ج١،ص١٥-١٦-١٧.

[3]- انظر. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،ج١٢، ص٤٨٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١،ص٣١ .السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال،ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): الدر المنثور، دار الفكر ،بيروت،د.ط، ١٩٩٣م،ج٣،ص٤٧٢.القرماني(أحمد بن يوسف،ت١٠١٩هـ/١٦١٠م):أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،تحقيق فهمي سعد- أحمد حطيط ،عالم الكتب،بيروت،ط١،١٤١٢هـ-١٩٩٢،مج١،ص٩.

وحصل لها مزاج[١] ، وخلق الجحيم في هذا اليوم ، وفي اليوم الثالث خلق النباتات مع سائر أنواعها واختلاف ألوانها ، وجعلها على ثلاثة أجناس وهي : الكلأ، والعشب، والشجر، وخلق الجنة في هذا اليوم ، وكان هذا الخلق بعد أن جمع الله الماء زجراً[٢] في موضع واحد على وجه الأرض وسماه بحراً، وأجرى بعضها في مجاري الأنهار بحيث ظهر سطح الأرض، ونبتت أجزاؤها وقبلت الزراعة، ويوم الأربعاء خلق فيه الشمس،والقمر،وسائر الكواكب، وخصهم بالنور والضياء وجعل الشمس فاعل النهار، وقاهر الغسق ، وجعل القمر فاعل الليل ، وخص كل واحد منها خواص مختلفة في عالم الكون والفساد ، ويوم الخميس خلق فيه من جنس الحيوانات نوعين الطيور، والحيتان ، ومعناه أنه خلق الحيوانات المائية ،والهوائية وغيرها من الحيوانات، ويوم الجمعة خلق في أول ساعة من النهار الحيوانات الموجودة على وجه الأرض [٣].

ذكر خلق آدم عليه السلام

وفي الساعة الثانية خلق آدم عليه السلام إنسانا كامل في الصورة والمعنى متميزا عن سائر الحيوانات بالخَلق، والخُلق، والفهم، والعقل، والحكمة،والرشد والفكر، والتدبير، والتصور للماهيات على ما هي، على سبيل الإلهام الرباني [٤].

---

[١]- هي الماء، والهواء ،والتراب ،والنار التي ركب منها العالم بأسره نباته وحيوانه ومعدنه. ابن حجر الهيتمي(أحمد شهاب الدين المكي،ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م): الفتاوى الحديثية ، دار المعرفة،بيروت-لبنان،د.ط،د.ت،ص٩١.

[٢]- زجر يزجر، زجراً،فهو زاجر والمفعول مَزْجور،وزجر البحر أي أمره، وجمعه. عبد الحميد(أحمد مختار،ت١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م): معجم اللغة العربية المعاصرة،عالم الكتب ،القاهرة،ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م،ج٣،ص٩٧٣.

[٣]- نقل بتصرف العهد القديم (التوراة):ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر،المكتبة البولسية ،جونية لبنان،ط١، ٢٠٠٧م،سفر التكوين،ص٣.

[٤]- انظر . البخاري(محمد بن إسماعيل،ت٢٥٦هـ/٨٧٠م):صحيح البخاري،دار ابن كثير،دمشق،ط٢،٢٠٠٢م،باب أحاديث الأنبياء، ص٨١٧. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٦٢.ابن عطية الأندلسي(عبد الحق بن غالب،ت٥٤١هـ/١١٤٦م):المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية، لبنان ،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج٣،ص١٦٨.الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم،ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت،د.ط ، ١٤٠٤هـ،ج١،ص٢٠٩.ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي،ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م):بدائع الزهور في وقائع الدهور،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر،د.ط،د.ت،ص٣٤.الشنقيطي (محمد بن عبد القادر الجنكي، ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م):أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر التوزيع ، بيروت - لبنان،ط١، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م،ج٨،ص٣٨٠.

ونقل أنه في ساعة خلق آدم نزل طير كبير من السماء، وقعد على ساحل البحر،و نادى بلسان فصيح: يا أيها الطيور، والحيتان،اعلموا أن الله تعالى خلق في هذه الساعة حيوان غريب عجيب، وله قوة وشوكة،وأتمه وسماه إنسانا، فكونوا منه على حذر،فإن الله تعالى أودع فيه قوة قاهرة، وحكمة باهرة، بحيث يصرع الطير من الهواء ويستخرج الحيتان من قعر الماء،وبارك فيه وفي أولاده، وركب فيهم قوة التوالد والتناسل ليزدادوا، وجعل وجودهم سببا لعمارة الأرض ودوامها[1].

ثم لما خلق آدم عليه السلام أسكنه في الجنة،وأجرى من أجله في الجنة أنهاراً منبعها من عدن، وقسمها أربعة أقسام: نيل مصر، والفرات ،وجيحون، ودجلة[2]، وجعل آدم عليه السلام في الجنة خليفته وأمينه، وأجاز له في سائر التصرفات،وأباح له أكل جميع الأشجار والثمار إلا شجرة العقل، ووصاه بأنه لا يأكل من هذه الشجرة ولا يقربها،فإنك إذا أكلت من هذه الشجرة يدركك الفناء، وعرض عليه جميع الحيوانات، وسمى كل واحد منها اسما ،وعلمه أسماء جميع الحيوانات،ثم خلق الله تعالى حواء من آدم عليهما السلام، وجعلها زوجة آدم عليه السلام ،وكان آدم وحواء عليهما السلام عريانين،وكانا لا يشعران بالعري،وكانت الحية من الحيوانات مشهورة بالدهاء والضرر،فحرضت حواء بخبثها ومكرها على أكل الشجرة فسألتها وقالت: لم لا تأكلي من هذه الشجرة ؟ فأجابتها حواء وقالت : إن الله سبحانه وتعالى نهانا عن أكل ثمرة هذه الشجرة،والتقرب إليها فقال الثعبان :إذا كان الله تعالى قد نهاكما عن الأكل والتقرب فقد تقربت وما أصابك شيء،فكذلك إذا أكلت لا يصيبك الموت أبدا وتكوني من الخالدين، وغلب الثعبان عليها بالحجة، فانخدعت حواء بهذه الأقاويل المموهة، والأباطيل المزخرفة،وأقدمت على أكل الشجرة وأطعمت آدم أيضا، ولما أكلا الشجرة ووصلت إلى جوفهما استعرت بصيرتهما الباطنة وبدت لهما عوراتهما ، فلما ظهرت عوراتهما استحيا وغطياها بورق التين، والله سبحانه وتعالى أنكر على آدم هذه الفعلة فاستذنب آدم، وحواء ،واستذنبت حواء الثعبان،فلهذا السبب لعن الله الثعبان ومسخ صورته وأخذ منه يديه ورجليه ليدوم سعيه على صدره وجعل عقوبته أن يكون قوته مدة عمره التراب، وعاقب حواء بمشقة الولادة، وأن تكون تحت حكم الزوج مدة حياتها ،ووعدها على عصيان الزوج العذاب الأليم ، وعاقب آدم بسلب الراحة ،ودوام التعب، وتحمل المشاق الكثيرة في الدنيا ،وجعل مأكوله،وملبوسه في الدنيا حاصلاً بالكد والسعي،والحرث،والزرع وعرق الجبين،وأجرى عليه حكم المنية بعد أن كان آمنا في

---

[1]- نقل بتصرف العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٤.

[2]- انظر .ابن حنبل (أبو عبدالله أحمد الشيباني،ت٢٤١هـ/٨٥٥): مسند الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة ،القاهرة،د.ط،د.ت،ج١٢،ص٥٠٦. الطبراني(سليمان بن أحمد بن أيوب،ت ٣٦٠هـ/٩٧١م): المعجم الكبير ،تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل،ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م ،ج٩،ص٢٧٥.

الجنة، ولعن الله الأرض بسبب ذنب آدم ،وزجر مرعها من النشوء والنماء بحيث صارت أكثر نباتها الشوك[١].

(٢- ظ) وأخرج الله في الساعة الثامنة من يوم الجمعة آدم من الجنة وكان إخراجه في اليوم الذي خلقه فيه، وحرم عليه نعيم الجنة ولذاتها ومجاورتها في الدنيا إلا أن في الآخرة، يعود إليها هو والمتقين من أولاده.

وكانت مدة إقامة آدم في الجنة سبع ساعات،وكان آدم منتهى الخلق وخاتم المخلوقات،وكانت المخلوقات بأسرها سابقة عليه بمقدار ستة أيام ،وخلق الله تعالى في يوم السبت:السكون، والراحة، لأجل الفراغ فظهرت مزيته على سائر الأيام [٢].

ذكر عمر البشرية

رجعنا إلى جادة التاريخ فنقول قد ذكرنا أن مابين آدم ونوح عليهما السلام كان ألف وست وخمسون سنة ،وهذه المدة كانت موزعة على عشرة أشخاص،وكان نوح عليه السلام عاشرهم، ومابين نوح وإبراهيم كان ثماني مائة واثنتان وتسعون سنة وهذه المدة موزعة على عشرة أشخاص، كان إبراهيم عليه السلام عاشرهم ومابين إبراهيم وموسى كان أربعمائة وعشرون سنة ،وهذه المدة كانت موزعة على ستة أشخاص،وكان موسى عليه السلام سابعهم،فعلى هذا مجموع هذه السنين المذكورة التي إذا جمعناها صارت ألفي سنة وأربعمائة وثمانية وثمانون سنة تكون موزعة على ستة وعشرون شخصاً، من آدم إلى موسى، وهذه المدة قريبة من نصف عمر العالم[٣]،فإن اقتصرنا على ذكر أعمار هؤلاء الجماعة في التاريخ لعري التاريخ من المعاني المطلوبة منه، كمثل البيت الذي يخلو من الأواني والآلات التي يزدان فيها،وإن استقصينا في ذكر الحكايات والأخبار، والآثار، والوقائع، والحوادث، لطال الكتاب ولم يحصل المطلوب،ولا يورث إلا الكلل، ولا يحدث منه إلا

---

[١]- انظر. سورة البقرة الآية ٣٠-٣٩. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٦٢-٦٨. ابن الأثير(علي بن محمد الجزري،ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):الكامل في التاريخ،تحقيق عبدالله القاضي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،مج١،ص٢٦-٣٠. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢١-٢٢.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص١٠٩-١١٠-١١٢. ابن إياس:بدائع الزهور في وقائع الدهور،ص٣٥-٤٠.

[٢]- نقل بتصرف العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٥-٦-٧.

[٣]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص ٨-٩.

الملل ، لكنا نقتصر في هذا التاريخ على ماوجدنا منصوصاً في ظاهر التوراة ولا نتعداها، والنصوص المذكورة أربعة :

- **الأول: معجزات مشهورة.**
- **الثاني: خوارق العادات.**
- **الثالث:الحوادث.**
- **الرابع:العجائب.**

وكل واحد من هذه الأربعة له مرتبة معينة بحيث تفارق الآخر،أما الإعجاز فإنه إظهار شيء يعجز عن الإتيان به جماعة العقلاء، والعلماء،أما خرق العادات فإنه إظهار شيء في الوجود على خلاف العادة وخلاف الطبيعة،أما الحوادث فهي الأمور التي تحدث ويمكن وقوعها ،وأما العجائب، فهي الأمور التي تظهر على خلاف المستمر ، وسنمثل كل واحد منها لأجل الوضوح والبيان .

وأما المعجزات فهي كشق القمر[١]،وشق البحر[٢]،ووقوف الشمس عن المسير عدة ساعات، ونزول المن[٣] عليهم مدة أربعين سنة غير يوم السبت، فأولها كان للإعلام والإفهام، وأخرها كان يوم وفاة موسى عليه السلام ،وكمثل عمل موسى ثعبانا من ذهب[٤]،ونصبه بوادي الحيات، فكلمن كانت

---

[١]- كان انشقاق القمر من أعظم المعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام لما سأله المشركون أن يريهم آية، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر، فانشق فلقتين وكان ذلك سنة خمسة قبل الهجرة. أنظر سورة القمر الآية: ١-٢. مسلم (أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري ،ت٢٦١هـ/٨٧٥م): الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،د.ت ،باب انشقاق القمر ،ج٤،ص٢١٥٧.ابن أبي الدنيا(عبد الله بن محمد بن سفيان ،ت٢٨١هـ/٨٩٤م): الهواتف، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت،ط١، ١٤١٣هـ،ص٧١. البقاعي(برهان الدين إبراهيم بن عمر،ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط ،١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م،ج٧،ص٣٤٦.

[٢]- انظر . سورة الشعراء الآية :٦١-٦٣.

[٣]- ورد المن في قول الله تعالى في سورة البقرة مخاطبن بني إسرائيل{وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ}.وقد أختلف في تفسير المن فقيل وهو عسل كان ينزل على الشجر من الفجر إلى الطلوع ، فيغرفون منه ما شاءوا ، وقيل بل هو الترنجبين أي الكماء . الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن ،ج٢،ص٩١.الغزالي(أبو حامد محمد بن محمد الطوسي،ت٥٠٥هـ/١١١١م): إحياء علوم الدين،دار المعرفة،بيروت،د.ط،د.ت،ج٢،ص١٦. ابن عادل (أبو حفص عمر بن علي الحنبلي الدمشقي،ت٧٧٥هـ/١٣٧٤م): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود -علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت،د.ط ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م،ط١،ج٢،ص٨٨. ابن عجيبة(أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي،ت ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٨م):البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ،دار الكتب العلمية، بيروت،ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م، ج١،ص٩٤.

[٤]- ورد ذكرها في التوراة أن موسى صنعها من نحاس. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٤١.

الأفعى تلدغه ينظر إلى تلك الحية المعمولة من ذهب كان يبرأ، وكانت تلك المعجزة باقية إلى أن أبطلها الملك حزقيا الداوودي[١] بعد سبعمائة سنة , وكمثل بقاء المن في برنية[٢] مدة ألف سنة على حاله و لم يتغير، ولا حصل له خلل، لا في كميته، ولا في كيفيته، وكان مقدار ذلك المن سبعمائة درهم ، وكمثل النور اللامع الذي كان على وجه موسى عليه السلام بحيث لم يكن لأحد طاقة النظر إليه إلا من وراء برقع ، وكمثل نزول النار من السماء لأجل إحراق القريتين، وكمثل إغراق سور أريحا[٣] بحيث تساوى مع الأرض ولا انخسف منها موضع النهر لا خلفها ولا أمامها [٤]،وكمثل قلب العصا حية[٥] وانقلاب ماء السيل دما، وكمثل الآيات الصادرة من قبيل المعجزات .

وأما الخوارق،فكمثل الطوفان الواقع في زمن نوح عليه السلام، وكمثل طوفان الهواء في عهد هود عليه السلام ،وكان ذلك سببا لخراب عاد، وموجباً لشتات أهلها،وكطوفان النار التي ظهرت في ديار سدوم، وعمورا، وادما، وصبوا، ولاسع [٦]، فإنها أحرقت هذه البلاد وخسفت بها ،وإلى الآن هي خراب لا تقبل العمارة ،وكمثل عقوبات أهل مصر وفرعون وأعوانه وابتلاؤهم بها [٧].

وأما الحوادث فإنها مثل شق الأرض، والخسف الذي كان معروفا بقارون، وظهور الخسف في تلك الساعة[٨]، وعروض مثل هذا الخسف في بعض الأراضي عند حدوث الزلازل ،ووقوع الصواعق، وظهور المياه، وأنواع الهلاك وغيرها، وبين هذه الحوادث تفاوت كثير، كالتفاوت بين فعل وفعل ،وكالتفاوت بين مكان ومكان،وكالتفاوت بين زمان، وزمان ،وكظهور قوس قزح في الجو

---

[١]- انظر ترجمته في . أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٦-٤٨.

[٢]- البرنية :إناء من خزف. الجوهري(إسماعيل بن حماد،ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،دار العلم للملاين،بيروت،ط٤، ١٩٩٠م،ج ٦، ص٢٧٨.

[٣]-أريحا: بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة والحاء مهملة والقصر وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة لغة عبرانية وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم وتقع في جبال صعبة المسلك سميت فيما قيل نسبة لأريحا بن مالك بن أرفخشاد بن سام بن نوح عليه السلام. الحموي: معجم البلدان، مج١،ص١٦٥.

[٤]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع،ص٣٣٤. الأصفهاني:تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،ص٧٠

[٥]- انظر. سورة طه الآية ٢.

[٦]- يعتقد اليهود أن سدوم ،وعمورا،وادما،وصبوا،ولاسع ،هي مدائن قوم لوط عليه السلام وسدوم، وعمورا هما أعظم قراهم أهلكهما الله فيما أهلك منها، وقيل كان سدوم ملكاً وبه سميت المدينة. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين ،ص٢٤-٢٨. أبو الحسن (مقاتل بن سليمان الأزدي ،ت ١٥٠هـ/٧٦٧م): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،ج١،ص١١١.البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج٢،ص٦٠٤.الحِميري(محمد بن عبد المنعم،ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس، دار السراج ،بيروت ،ط ٢، ١٩٨٠م،ص٣٠٨.

[٧]- وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . أنظر سورة الأعراف الآية:١٣٠-١٣٦.

[٨]- انظر .سورة القصص الآية:٧٦-٧٩.

فإنه يتفاوت بحسب الزمان والمكان، وكجريان الكلام على اللسان ،فإنه يختلف بالنسبة إلى كل شخص وزمان ومكان، وكظهور ملة إبراهيم عليه السلام من جهة فداء إسحاق عليه السلام[١] ، وكالحوادث الحادثة في زمن فرعون عليه وعلى أشياعه،وعلى أبي مالخ[٢]، وآله ،والمرض الذي ابتلاهم الله به بسبب تعرضهم لسارة،وزوال ذلك المرض عنهم في الحال عند رجوعهم وردهم سارة إلى إبراهيم عليه السلام، وأمثال هذه الحوادث في كل وقت ،وكل مكان من الحوادث التي تطرأ على الوجود كظهور المياه من العيون، وسيلان المياه من رؤوس الجبال، وظهور الماء الصافي، والنفط الأسود، والملح الأبيض من منبع واحد، وكمثل حمل تلك المرأة التي أتت بخمسة أولاد من بطن واحد، وأتت امرأة أخرى بسبعة بنين من حمل واحد، وغشاوة واحدة ،ونقل عن ارسطاطاليس[٣] أنه قال ولدت امرأة في الشهر السابع ولدا ،وولدت في الشهر التاسع ولدا آخر، وعاشا وكبرا.

وبنو إسرائيل لما كانوا بمصر كانت نسائهم كثيرا يلدن التوائم ،وينقل عنهم أن نسائهم كن ولودا حتى ولدت بعضهن أحد عشر ولدا دفعة واحدة ولأجل ذلك قيل ((حدث عن بني إسرائيل ولا حرج))[٤]. ولا شك في أن هذا الأصل له فروع تحدث تلك الفروع عن الآراء والمذاهب والاعتقادات،ولذلك تشعبت عن هذه الفروع فروع أخرى تفضي إلى ظهور الخلاف بين الناس،وحدوث الفتن والوقائع والحيل والمكر وإذا استقصينا بإمعان النظر في هذه (٣- و) الأحوال والمعارف وجدنا فروع هذه الأصول كلها مردودة إلى الحوادث.

وأما العجائب فمثل طول الأعمار لأشخاص معينة ،وكمثل الصور الباهرة، والصنائع الماهرة في البعض، وكالقوة القاهرة في جماعة أو قبيلة،وكمثل طول الجثة وعظمها في بعض الناس،

---

[١]- قال بذلك بعض المفسرين من المسلمين لكن السواد الأعظم أجمعوا بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام واحتجُّوا بأن البشارة بإسحاق متأخرة عن قصة الذبح التي ذكرها الله تعالى في سورة الصافات. وبقول النبي عليه الصلاة و السلام : ((أنا ابن الذبيحين)) فأحدهما : جده إسماعيل ، والآخر : أبوه عبدالله حينما نذر عبد المطلب أن يذبح ولداً إن سَهُل له حفر زمزم ، أو بلغ بنوه عشراً. الحاكم(محمد بن عبدالله النيسابوري،ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١ ، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م،ج٢،ص٦٠٤.السيوطي: الدر المنثور،ج٧،ص١٠٦ . المناوي(عبد الرؤوف ابن علي ،ت١٠٣١هـ/١٦٢١م): فيض القدير شرح الجامع الصغير،المكتبة التجارية الكبرى، مصر،ط١، ١٣٥٦هـ،ج٣، ص٥٦٩.ابن عجيبة:البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج٦،ص٢٧٧.

[٢]- ورد اسمه في التوراة أبيمالك وهو ملك مدينة جرار . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٨-٢٩.

[٣]- هو ذاته أرسطو الفيلسوف اليوناني المشهور .

[٤]- أخرجه الأمام أحمد والترمذي والدارمي برواية عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)).ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج٢،ص١٥٩ . الترمذي (محمد بن عيسى،ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م):الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ط،د.ت،ج٥،ص٤٠. الدارمي (أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن،ت٢٨٠هـ /٨٩٤ م): سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي - خالد السبع ،دار الكتاب العربي ،بيروت،ط١، ١٤٠٧ هـ، ج١، ص١٤٥.

وكالفطنة والذكاء في البعض، وكزيادة الأعضاء في بعض الناس، والذي يظهر من الأسرار، وأنواع الكرامات كلها من هذا القبيل ،ومن توابع هذا الباب مثل قصة يوسف، وقصة أيوب عليهما السلام، وواقعة مردخاي وهامان[١]، ومثل واقعة أرغون خان أفاض الله عليه سجال رحمته مع السلطان أحمد، فإن حالهما تغيرت في لحظة واحدة[٢] .

ووقوع مثل هذه العجائب والغرائب إنما كان ليعتبر بها أُلو الألباب ،ومن جملة العجائب أن ما نقل أن في ظاهر دامغان[٣] عين ماء إذا وقع فيها شيء من النجاسات تهب رياح عواصف ويثور في الجو غبار عظيم وظلمة، وتسمع أصوات هائلة، وكذلك من جملة العجائب مما نقل أن في بعض البلاد عينا إذا وضع القطن المنفوش على الماء يجذبه الماء إلى الأسفل بقوة أن يبتل بحيث يحسبه الناظر كأن يدا من داخل الماء تجذبه إلى نفسها، وأمثال هذه العجائب في البلاد كثيرة وحسبنا ذكر هذا القدر من آيات الأنبياء، وبراهين الرسل، وأكثر هذه الآيات مذكورة في الكتب إلا أن الناس لم يفرقوا بينهما، والسلام .

فصل في ضرورة معرفة المؤمن لدينه

اعلم أنه لابد لكل أحد أن يفحص ويفتش عن دينه وملته، كما قيل المؤمن فتش على دينه[٤]،ومأخذ الإيمان هو التقليد المحض،والواسطة هو إدراك الأمور الإيمانية، والنقلة الأنبياء، والمخبرون الأتقياء هم الذين أقاموا قواعد الدين وأحكام الإسلام بموجب ما شاهدوه وسمعوه من

---

[١]- انظر .العهد القديم (التوراة)،سفر أستير ،ص٧٥٤-٧٥٥.

[٢]- هما أرغون خان بن أبقا خان بن هولاكو وعمه أحمد تاكودار بن هولاكو من إلخانات فارس وكان السلطان أحمد تاكودار قد تسلطن بعد وفاة أخيه أبقا خان وأعتنق الإسلام مما أثار غضب أمراء مغول فارس وفي مقدمتهم ابن أخيه أرغون والذي حاول مرارا الاستيلاء على الحكم لكن عمه أحمد تاكودار كان يتغاضى وفي النهاية نجح أرغون خان في قتل عمه والجلوس على عرش الدولة الإيلخانية سنة ٦٨٣هـ .إقبال:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ص٤٤٩-٤٥٢.

[٣]- مدينة كبيرة بين الري ونيسابور وهي قصبة قومس وبينها وبين بسطام مرحلتين . الحموي: معجم البلدان، مج٢،ص٤٣٣.

[٤]- المؤمن عن دينه فتاش ، والأحمق يسعى في لاش .من أقول إبراهيم الآجري في فضل من رضي بالفقر. الخطيب البغدادي : المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق عامر حسن صبري،دار البشائر الإسلامية،بيروت،ط١،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،ص٨٥.

النبي صلى الله عليه وسلم، ووصل إليهم منه وأوصلوها إلى غيرهم،ولم تحملهم داعية الأهواء، وباعثة الهوس على تبديل شيء منها وتغيرها، ولما كانت الأمور الشرعية أموراً خفية لا يجوز أن ينظر فيها بنظر العقول، فالواجب علينا أننا إذا رأينا شيئا، أو سمعناه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو أفعاله ننقله من غير زيادة و نقصان .

وقد قلنا فيما سبق أن المؤمن فتّاش على دينه، يجب عليه التفحص والتفتيش، فالمراد من هذا الكلام أن المؤمن ينبغي أولا أن ينظر في كلام النبي صلى الله عليه وسلم إن كان مشتملا على ثلاثة معاني، يعرف أنه كلام النبي عليه السلام، وأنه حق، ووحي، وأنه قد نزل عليه من الله سبحانه وتعالى، ويكون كلام الله بلا شبهة والسلام.

- **الأول:** هو أن يكون المراد منه التشريع .
- **الثاني:** أن يكون إخبارا عن الأمور السالفة و الآنفة.
- **الثالث:** أن يكون إخبارا عن الأمور المستقبلية كما أنه يخبر عن الأمور الماضية، فكذلك ينبغي أن يخبر عن الأمور المستقبلية ويظهر آثار الصدق في كلامه.

واعلم أن فيض الله تعالى وارد على الناس، وإنما يكتسب الناس منه بحسب الاستعداد، والقبول، واستعداد مشاهدة عالم الغيب ،لم يوجد إلا في فطرة الأنبياء عليهم السلام ، واطلاع الأنبياء على الأمور الغيبية إنما هو بسبب مشاهدتهم عالم الغيب،وعالم الغيوب الماضي فيه سواء، وكذلك يحتاج كل شيء في دعوته وتصديقه إلى معجزة تكون علامة لصدق دعواه، وإنما يكون هذا إذا حدث في ذاته أمر يوجب دواعي حدوث المعجزة وانبعاثها ، وإذا لم يكن للنبي داعية لا يلزم أن تكون المعجزة لازمة للنبوة ويكفي في صدق دعواه المعاني الثلاثة المذكورة قبل هذا، ويكون ظهور المعجزات مقوية ومعاضدة له ، وإذا احتاج النبي في إظهار الحجة واشتهار الدعوة وكان في مظهر إظهار الدعوة ،والتفحص،والتفتيش والمعارضات والمناظرات ليظهر الحق هناك يظهر فائدة المعجزة ،ويستغل في دفع المعارضين ،وإبطال دعوى المدعين عن بصيرة وبعد ذلك يشتغل بإشاعة أحكام الله تعالى وأحكام النبوة في الناس، ومع أن ذكر هذه المعاني خارج عن مقصود التاريخ، فإنه لما كان التاريخ منحصرا في الزمان ، والزمان له بداية،وبداية العالم مبني على الحدوث ،والحدوث قاعدته مأخوذة من كلام الأنبياء عليهم السلام ، ذكرنا النبوة وما يتبعها وقدمنا ذكرها على المقصود .

ذكر أبناء أدم عليه السلام

اعلم أن أول التاريخ هو يوم السبت بواسطة وجود آدم فيه، وكان ما بين وجود آدم وولادة نوح عليهما السلام آلف سنة وست وخمسون سنة ، تفصيل ذلك ما بين آدم وشيث عليهما السلام مائة وثلاثين سنة، وأول أولاده كان قابيل ،ثم بعده ولد هابيل ، ونقل أن آدم جعل هابيل خليفته فحسده قابيل، وغار منه ،ولم يبرح حتى قتل هابيل، وتعطل أمر الخلافة إلى حين ولادة شيث وقبوله الخلافة، فلما صلح لقبول الخلافة جعله آدم خليفته وأوصي إليه ، وولد لآدم أولاد كثيرة فلم يحصل لخلافته سوى شيث عليه السلام ، وما بين شيث وأنوش مائة وخمس سنين، وفي هذه السنين كان الناس يشتغلون في عمارة البلدان واقتناء الأملاك، والدواب ،وإنشاء الصنائع، واستنباط العلوم، والرياضيات، واستخراج آلات الصنائع، فأول من بنا البلدة كان قابيل وسماها باسم ابنه حنوك، وولد لحنوك أولاد كثيرة، فالولد الخامس من نسل حنوك كان لامك ، ثم ولد لحنوك ثلاثة بنين أسماهم: يابال، يوبال، توبال، فأما يابال فإنه استنبط الرياضيات العملية، واستخرج الضروب المناسبة في الإيقاعات والألحان،وأما يوبال فإنه استخرج ألآت الصنايع،وأما توبال فإنه هو الذي استخرج الزرع[1].

(٤- ظ) ومن عهد آدم إلى عهد أنوش كان مائتين وثمان وثلاثون سنة ،ففي هذه السنين كلها كانت غير موافقة لأمر الله عز وجل،وظهر في أول عهد أنوش الكفر، والعصيان ،والتفرق ،واختلاف المذاهب بين الناس، فكفر بعضهم وعبد الصور، وبعضهم اشتغلوا بعبادة الله تعالى، وثبتوا على مذهب آدم عليه السلام ،ومذهب شيث وأنوش، ومن عهد ولادة أنوش إلى حين ولادة قينان كان تسعون سنة ،ومن ولادة قينان إلى ولادة مهلائيل كان سبعين سنة ،ومن ولادة مهلائيل إلى ولادة يارد كان خمس وستون سنة ،ومن ولادة يارد إلى حين ولادة أخنوخ[2] كان مائة وستون سنة ومن ولادة أخنوخ إلى ولادة متوشالخ كان خمس وستون سنة ،ومن ولادة متوشالخ إلى ولادة لامك كان مئة وسبع وثمانون سنة ،ومن ولادة لامك إلى ولادة نوح عليه السلام كان مئة واثنتان وثمانون سنة، وهذا هو مفصل المجمل الذي ذكرناه قبل هذا.

---

[1]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص.٨. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص٩٦.

[2]- هو إدريس عليه السلام . الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٠٨. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٥١. القرماني:أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،مج١،ص٥٥.

وإن المدة ما بين آدم إلى نوح عليهما السلام كانت ألف وست وخمسون سنة ،وإن هذه المدة كانت منحصرة في تسعة أشخاص، أولهم آدم ،و آخرهم لامك، وعاشرهم نوح عليه السلام، وهذه خاتمة الدائرة الأولى، وأول الدائرة الثانية كان إبراهيم ،وباقي أعمار هذه التسعة داخل تحت هذه المدة المذكورة ،وهي ألف وست وخمسون سنة ، وأما المدة التي كانت عمر نوح عليه السلام فإنها تسعمائة سنة ،وهي أيضا داخلة تحت المدة لأن متوشالخ عاش إلى وقت الطوفان، وقيل أنه مات قبل الطوفان بسبعة أيام، وعاش لامك بعد وفاة أبيه خمس سنين ،ثم توفي هو أيضاً وكان عمر متوشالخ أطول الأعمار، وكان أخنوخ أقصرهم عمراً ولم ير آدم من هذه الأشخاص أحدا، لأنه رأى من أعقابه على الولاء ثمانية أنفر، وختم الله عاقبته بالخير والسلام .

وكانت وفاته بالسهولة، والرضا بعد ثمانمائة سنة من عمر شيث عليه السلام .

وولد شيث وعمر آدم مئة وثلاثون سنة ، وعاش شيث بعد آدم عليهما السلام مئة واثنتي عشر سنة.

وأدرك أنوش شيث في سنة مائتين وخمس وثلاثين سنة ،ومات شيث في سنة ستمائة وخمس وتسعين سنة من عمر أنوش .

وعاش أنوش بعد وفاة آدم عليه السلام مائتين وعشر سنين ،وكذلك رأى قينان آدم في سنة ثلاثمائة وخمس وثلاثين سنة،ومات أنوش في سنة ستمائة وخمس سنين من عمر قينان ،وعاش قينان بعد وفاة آدم ثلاثمائة وخمس سنين[1].

وأدرك قينان مهلائيل في سنة ثلاثمائة وخمس وتسعين سنة من عمره،وتوفي في سنة خمسمائة وخمس وثلاثين سنة من عمر مهلائيل ،وعاش مهلائيل بعد وفاة آدم عليه السلام ثلاثمائة وستين سنة، وأدرك أيضا يارد في سنة أربعمائة وستين من عمره، وكانت وفاة آدم عليه السلام في سنة أربعمائة وسبعون من عمر يارد ،وعاش يارد بعد وفاة آدم عليه السلام أربعمائة واثنتين وتسعين سنة، و مات في سنة مائتين وثلاثة وأربعين سنة من عمر متوشالخ ، وعاش متوشالخ بعد وفاة آدم عليه السلام سبعمائة وست و عشرين سنة ، وأدرك أيضا لامك في سنة ستمائة وأربع وسبعين سنة من عمره،ومات في سنة ست وخمسين سنة من عمر لامك.

---

[1]- الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٠٤- ١٠٦. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٤٤-٤٦. ابن العبري(جريجوريوس بن هارون المالطى،ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):تاريخ مختصر الدول،تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي،دار الشرق بيروت،ط٣، ١٩٩٢م،ص٨-١٠.

وعاش لامك بعد وفاة آدم عليه السلام سبعمائة وإحدى وعشرين سنة ،ومات آدم قبل ولادة نوح عليهما السلام بمائة وست وعشرين سنة ،ومات شيث قبل ولادة نوح عليهما السلام بأربع عشرة سنة، وهذه السنة كان قد مضى من عمر لامك مائة وثمانية وستين سنة ،وهذه الطائفة المقدم ذكرها كلهم أدرك نوح عليه السلام إلا أخنوخ ، وأول هذه الطائفة أنوش لأنه عاش إلى سنة أربع وثمانون من عمر نوح عليه السلام ،وعاش قينان إلى سنة تسع وسبعين سنة من عمر نوح عليه السلام، وعاش مهلائيل إلى سنة مائتين وأربع وثلاثين من عمر نوح عليه السلام،وعاش يارد إلى سنة ثلاثمائة وست وستون من عمر نوح عليه السلام ،وعاش أخنوخ إلى سنة مائة وثلاث عشرة سنة من عمر نوح وكان مقدما على ولادة نوح عليه السلام بتسع وستين سنة ،وعاش متوشالخ إلى سنة ستمائة من عمر نوح ،وعاش لامك إلى سنة خمسمائة وخمس وأربعون سنة من عمر نوح عليه السلام، وكان موته قبل موت أبيه متوشالخ بخمس سنين وأشخاص هذا العصر لم يعمروا عمراً طويلاً والسلام [1].

ذكر نوح عليه السلام وأولاده من ابتداء عمر نوح عليه السلام إلى انتهاء عمره

وهو أول الأنبياء عليهم السلام، ومدته ثمانمائة وست و تسعون سنة[2] على هذا التفصيل،قيل أن مابين ولادة نوح عليه السلام إلى أن وعده الله بالطوفان أربعمائة وثمانون سنة [3]،ثم بعد عشرين سنة ولد لنوح عليه السلام ثلاثة بنين: سام، وحام و يافث، ولما ولد له هؤلاء البنين الثلاثة كان عمره خمسمائة سنة، وكان يافث أكبر أولاده ، وكان تقدم سام عليه بالشرف،لا في الزمان .

---

[1]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٧-.٨-٩. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٠٧- ١٠٨. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٤٧-٥٢. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص١١-١٣ .أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢٢-٢٣. القرماني :أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،١٩٩٢،مج١،ص٥٣-٥٥ .

[2]- هذا القول يخالف صريح القرآن الكريم فكيف يصح أن عمر نوح عليه السلام ثمانمائة وستة وتسعون سنة على الرغم من أنه بقي يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة قال تعالى في سورة العنكبوت : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فأَنْجَيْنَاهُ وأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}.

[3]- ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص١٥٨.

وأما سبب التقديم فإنه كانت عدة أشياء الأول: أنه كان وصي أبيه وخليفته، والثانية: أنه كان أبو الأنبياء، أولهم هود عليه السلام، وبعده إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام وغيرهم، فلأجل هذا الشرف استحق التقدم[١].

وأما الناس في ذلك العصر كانوا يسرفون في الظلم والتعدي , فأمهلهم الله تعالى بسبب التوبة والإنابة مدة مائة وعشرين سنة ، وأمر نوح أن يعمل السفينة في هذه المدة من الخشب، لكي لا يترشح منها الماء ، وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا ، وعمقها ثلاثون ذراعا ، وطبقاتها ثلاث طبقات، وإنما أمهلهم هذه المدة بسبب التوبة، فإذا لم يتوبوا يهلكهم بالطوفان[٢].

فلما فرغ نوح عليه السلام من عمل السفينة , وانقضت مدة المهلة، ولم يصدر منهم توبة ، أوحى الله إلى نوح عليه السلام أنه قد قرب هلاك الناس،فاستعد أنت وأولادك ونسائك ، وخذ من كل حيوان زوج من الذكر والأنثى ، فالحيوان الذي يكون مأكول اللحم خذ منه سبعة أزواج ، ومن غير مأكول اللحم خذ زوجين، ومن الأغذية والأطعمة خذ ما يؤمن المزاج ،والأزواج التي أخذت ادخرها معك في السفينة لكي لا يفنى كل نوع بفناء شخصه، فامتثل نوح عليه السلام لأمر ربه من غير زيادة ولا نقصان [٣].

(٥- و) ثم أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن المدة قد انقضت ،وبعد سبعة أيام أخرى يأتي الماء جاريا على وجه الأرض لهلاك قومك كافة ،فادخل أنت وأهلك السفينة فلما صار اليوم السابع دخل نوح عليه السلام السفينة، والتصق الهواء في السطح الخارج من السفينة، وكان الماء يدور حولهم ،والجماعة الذين دخلوا مع نوح عليه السلام السفينة كانوا ثمانية أنفر: نوح وبنوه الثلاثة وزوجته، وكناته، ومن سائر الحيوانات الموجودة أخذ معه زوجا بحيث لم يبق نوع من الحيوانات إلا وأخذ منه زوج، وأول ظهر الطوفان فيه كان السابع عشر من شهر مرحشوان [٤]من سنة ألف وستمائة وخمسين من ابتداء الخليقة، وكان الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح عليه السلام،

---

[١]- انظر. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١١٢. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٥٤-٥٥-٥٦. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢٤-٢٥ .

[٢]- اختلف العلماء والمفسرون حول صفات سفينة نوح انظر. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١١٣-١١٤. الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن،ج١٥،ص٣١١.السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد،ت٣٧٣هـ/٩٨٣م): بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر،بيروت،د.ط،د.ت،ج٢،ص ١٤٩. ابن الوردي:خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٠٨.السيوطي: الدر المنثور،ج٤،ص٤١٩.

[٣]- انظر القرآن الكريم المؤمنون الآية ٢٧.

[٤]- هو الشهر الثاني في التقويم العبري. البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد،ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):الآثار الباقية عن القرون الخالية ،تحقيق أحمد الدمرداش –على الشحات،دار بيبليون،باريس،د.ط،د.ت،ص٥٢.

ثم وقعت الأمطار وجاءت السيول من الأعلى والأسفل وجرت المياه وتفجرت العيون بحيث تلاقى ماء السماء وماء الأرض وكثرت البروق والرعود، وتراكمت الغيوم ،وتلاطمت الأمواج،وإلى مدة أربعين يوما كان فوران الماء وغليانه يزداد بحيث استوعب الماء جميع البقاع وكل الجبال والتلال واستترت رؤوس الجبال ،ثم بعد أربعين يوما سكنت الأمطار، وتراخى فوران العيون ووقف الماء لا يزيد، وهلكت جميع الحيوانات التي على وجه الأرض ولم يبق سوى سكان السفينة [١].

وفي السابع والعشرين من شهر كسليو[٢] نقصت المياه من وجه الأرض ، وحد زيادة الماء كان حين علو رؤوس الجبال بحيث تساوى سير السفينة فيما بين السهل والجبل مساويا ،أما زمان مكثه في الأرض فإنه كان خمسة أشهر أولها السابع والعشرين من شهر كسليو[٣] وآخرها السابع والعشرين من شهر آذار[٤] ، فلما نقصت المياه واستقرت السفينة على جبل عال اسمه قرد[٥]،وكان استقرار السفينة على الجبل بعد نقصان الماء بعد عشرين يوما وكان ذلك اليوم السابع عشر من شهر سيوان[٦] بعد أن نزلت المياه من الأعالي مقدار خمس عشر ذراعا ،وظهرت رؤوس الجبال واستقرت السفينة على الجبل مدة أربعين يوما ،وكان هذا في أول شهر آب[٧] ثم إلى أن استقر الماء ونضب وانكشف وجه الأرض مضت مدة أربعين يوما ، وفي عاشر شهر أيلول[٨] تحقق نوح عليه السلام أن غضب الله قد سكن عن وجه الأرض، ففتح باب السفينة وبعث الغراب ليعلم حال الأرض وينهيه إليه، فرأى الغراب جيفة في الطريق فوقع عليها واشتغل بأكلها ولم يعد، فلعنه نوح عليه السلام ثم بعد سبعة أيام بعث حمامة لما رأى فيها آثار الأمانة ،فلم تتمكن الحمامة من السير فرجعت إلى خدمة نوح عليه السلام خائفة جزعة.

ثم مكث نوح عليه السلام سبعة أيام أخرى، وبعث الحمامة ثانية فلم تبطئ في العودة وجاءت بورقة من شجر الزيتون وبشرت بها نوحا ،فدعا لها نوح وقال: خصك الله برسالة الملوك وأسرار السلاطين، فتيقن نوح عليه السلام أن الحال قد تغير .

---

[١]- نقل بتصرف العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١١-١٢.

[٢]- هو الشهر الثالث في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[٣]- سها الناسخ فكما تقدم أن الشهر الذي بدء فيه الطوفان هو مرحشوان وليس كسليو.

[٤]- هو الشهر الخامس في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[٥]- هو جبل الجودي بناحية قردى بأرض الجزيرة إلى الشرق من مدينة الموصل . القرآن الكريم سورة هود الآية: ٤٤. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١١٨. الحموي: معجم البلدان،مج٤،ص٣٢٢ .ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٥٨.ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص١٤. ابن الوردي:خريدة العجائب وفريدة الغرائب،ص٧٢. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،ص١٨١.

[٦]- هو الشهر التاسع في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[٧]- هو الشهر الحادي عشرا في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[٨]- هو الشهر الثاني عشرا في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

ثم بعد سبعة أيام أخر بعث الحمامة مرة ثالثة في مدة عشرين يوما الباقي من شهر أيلول وكان آخر السنة التي ظهر فيها الطوفان، وفي صبيحة يوم هذه السنة وهي السنة الثانية من الطوفان، وهذه السنة كانت إحدى وستمائة من عمر نوح عليه السلام .

فلما عرف نوح أن الأرض قد انكشف عن وجهها الماء ، واستوثق منه كشف غطاء السفينة وشاهد الحال معاينة وبعد مدة أربعين يوما من هذا التاريخ يبس وجه الأرض بحيث تمكن الناس من التردد فيها ، فأوحى الله إلى نوح عليه السلام للخروج من السفينة، وكان خروجه في اليوم السابع عشر من شهر مرحشوان، وكان أول الطوفان أيضا في السابع عشر من هذا الشهر فثبت بهذه التواريخ أن مدة مكث نوح عليه السلام كانت خمسة أشهر .

فلما خرج نوح عليه السلام من السفينة فرح بذلك فرحا عظيما وشكر الله سبحانه وتعالى، ونذر النذور، والقرابين على سلامته ،وحسن عاقبته ،فتقبل الله منه (٦- ظ) قربانه وبشره بقبول قربانه و دخول الجنة، وذكر القسم باسم الله الأعظم الذي له عز وجل، أنه لا يعيد الطوفان على وجه الأرض ، وأظهر لنوح عليه السلام علامة في السحاب وهو قوس قزح [1].

ووقعت لنوح عليه السلام في هذه الحالة نكبة عجيبة وهو أنه لما خرج من السفينة، وشرع في صنعة الزراعة ،والفلاحة ،واجتهد فيها وبالغ , فكان يوما جالسا في منصبته بين أولاده وأصحابه وبعض الناس بين يديه مشغول بأمور الزراعة وهو يعلمهم ويقول:أفعلوا كذا وكذا،ويبين لهم كيفية استعمال الآلات وكيفيتها، ويطلعهم على خاصية الأشياء، فبينما هم في ذلك إذ هبط عليهم طير عظيم وأخذ يتمرغ بين يدي نوح عليه السلام في التراب ،ويقبل قدمه ويرفرف حوله ، ثم نزل طير آخر أكبر منه، وقصد الطير الأول وأراد قتله، فنهض الطير الأول ورمى بنفسه في حجر النبي نوح عليه السلام واستجار به ، فلما عرف نوح عليه السلام حالهما ، ظهرت له شفقة وغيرة في حق الطير الأول، فلم يزل بهما حتى صالح بينهما وأخذ العهد من الطير الجبار القوي أن لا يؤذي الطير الضعيف، فلما وقعت المصالحة بينهما رجعا شاكرين من عند نوح عليه السلام ، ثم بعد أربعة أيام بكرة جاء الطير الضعيف ورمى بنفسه الأرض بين يدي نوح عليه السلام ، فأمر بالقبض على الطير فلما شرعوا في قبضه ارتفع عن الأرض وأخذ يرفرف فوق رأس نوح عليه السلام ، ثم نفض أجنحته ومنقاره ورمى بعدة حبات في حجر نوح عليه السلام، فالتقط نوح تلك الحبات وجعل يتفكر فيها فلم ينكشف عليه سرها ثم دفع الحبات إلى ولده ليدفنها في التراب وأمر بتربيتها وسقيها، فلما مضت عليها مدة من الزمن نبت منها الكرم، فلما أثمرت ونضجت ثمرته تناول نوح عليه السلام منها

[1]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٢-١٣- ١٤ .ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص١٤-١٥.

فلم ير خاصية زائدة فيها ،فقال في نفسه لو لم يكن في هذه الحبات خاصية ومزية لم يكن هذا الطير يأت بها لنا هدية ، فأخذ نوح عليه السلام العنب وعصره وخلى عصيره حتى غلى وصفا،ثم تناوله فسكر وتخبط وتغيرت أحواله، فرآه حام في تلك الحالة متخبط العقل مكشوف العورة ،فتركه على حاله ولم يواره ولا ستر عورته ومضى وأخبر إخوته، فلما جاءوا إليه وجدوه مكشوف العورة ستروه فلما صحي أخبروه بالحال وما فعل به حام ، فغضب عليه ونظر إليه بعين الغضب فاسود وجهه وتغيرت عيناه ودعا عليه بسواد الوجه له ولأولاده، ودعا لسام، و يافث، وأكرمهما ودعا أيضا لعقبهما ونسلهما [1].

وفي هذا الوقت جعل نوح عليه السلام سام وصيه وخليفته ،وأودعه سره، فلما مضى من الطوفان عدة سنين ولد أرفخشاد، فوصى سام إليه وجعله خليفته مع أنه كان لسام أربعة بنين، إلا أن أرفخشاد كان له صلاحية الخلافة دون إخوته ، وبعد خمس وثلاثين سنة ولد لأرفخشاد ولد سماه شالخ ، وبين ولادة عابر- وهو هود عليه السلام- كان ثلاثين سنة، فكان بين ولادة نوح وبين هود ستمائة وسبع وستون سنة[2].

ذكر إبراهيم عليه السلام

وكان بين ولادة هود، وبين ولادة فالغ الذي كان يسمى قاسم أربعة وثلاثون سنة[3]،وإنما سمي قاسم لأن في زمانه قسمت الأرض بين أهلها ، وسبب قسمة الأرض في زمانه كان منازعة الناس ومشاجرتهم التي لم تكن قبل هذا، وتفرق الناس من أوطانهم لحادثة حدثت، وبلاء عمهم ،وأهلك منهم خلقا كثيراً، وشتت الباقين ففارقوا أوطانهم المعهودة ومساكنهم المألوفة، فوقع بعضهم إلى العراق،

---

[1]- تفرد الهمذاني بقصة الطائر انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٤- ١٥. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص١٥.

[2]- انظر. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١ ،ص٢٦.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٢٥ - ١٢٦.المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين،ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران،دار الأندلس للطباعة والنشر،بيروت،ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،ص٨٣-٨٥. ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن،ت٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ دمشق، دار الفكر ،بيروت،ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م،ج٦٢،ص٢٧٧. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٦١. القرماني :أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،مج١،ص٦٥.
الألوسي(محمود بن عبدالله،ت١٢٧٠هـ/١٨٠٢م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ط،د.ت،ج١٦،ص٣٦.

[3]- ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ،ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي –القاهرة،د.ط،د.ت،ج١،ص٩٧.

وأقاموا هناك مدة فظهرت فيهم المخالفة، والشرك، والكفر، واختلاف الآراء، والاعتقاد، و مع هذا فإنهم اتفقوا على بناء مدينة، وعمارة عظيمة،فبنوا بلدة رفيعة البنيان، وسيعة الأفنية، وبنوا في وسط المدينة برجاً[1] عالياً بحيث لم يمكن أن يعمل مثله، فهذه الطائفة هم أول من ضرب اللبن وأحرق الآجر وكان الحاكم فيهم نمرود[2]، وكان في الشرك والكفر والجبروت بحيث ادعى الإلوهية،وغرضهم من بناء ذلك البرج كان أن يجعلوه حصنا حصينا، ويجتمعون فيه بحيث إذا هبت عليهم ريح عاصفة ،لا يتشتتون من تلك البقعة، والغرض الثاني أن بعضهم إذا ضل في تلك البراري يهتدي بتلك البنية .

وأما النمرود فإنه لم يكتف بالكفر فقط ، وكان يتعرض لهلاك المؤمنين ،وكان يدعو إبراهيم إلى عبادة الأصنام، وألزمه على ذلك ، فأبى إبراهيم عليه السلام عن ذلك فأمر بحبسه، فبقي في الحبس ثلاث عشر سنة مقيدا بالحديد وكان في كل يوم يطالبه ويؤاخذه، فلم يقبل إبراهيم عليه السلام منه، ولم يلتفت إلى قوله، فأمر نمرود بأن تشعل ناراً عظيمة ويلقى إبراهيم فيها فأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة المقربين بإنجاء إبراهيم عليه السلام من تلك النار، فبادرت الملائكة وأخرجوا إبراهيم عليه السلام من النار، ونصره الله عاقبة الأمر على النمرود[3].

وكلما كان النمرود يريد معاقبة إبراهيم عليه السلام كان الله عز وجل يعكس عليه الأمر ويعاقبه بعقوبة مثلها، أو أقوى منها ،وفرق الله شمل تلك الطائفة وشتتهم،وبدل عزهم بالذل ،وعيرهم بالإهانة، وسلط الله عليهم النسيان والغفلة حتى أن اللغة التي كانوا يتكلمون بها نسوها ، وكانوا إذا خاطب بعضهم البعض لا يفهم المخاطب ما يقال له، فلأجل هذا وقعت العداوة فيما بينهم وقامت

---

[1]- قيل أول ما بني على وجه الأرض الصرح ويسمى المجدل بناه النمرود ، بكوثي من أرض بابل وقيل بقرية الرس وكان طوله في الهواء خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع ، وكان مبينا بالحجارة والرصاص والكلس والشمع واللبان . بناه ليمنعه وقومه من بأس الله عز وجل ، وكان قد كفر وطغى وادعى الألوهية . النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج١،ص٣٤٥. ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب،ج١١،ص ٤١١.الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٥٠٣.

[2]-هو المقصود في قوله تعالى{والذي حاج إبراهيم في ربه} و هو النمرود بن كوش بن حام وقيل النمرود بن كنعان وقيل هو الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج هو ملك بابل وقيل أنه أحد الأربعة الذين ملكوا المعمورة وهم مسلمان، وكافران، فالمسلمان: سليمان، وذو القرنين . والكافران: النمرود، و بختنصر . انظر سورة البقرة،الآية ٢٥٨. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١،ص٢٧. ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي،ت ٢٣٥م/٨٤٩م): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ،ج٦،ص٣٤٦ .الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٤٢ -١٤٣. المسعودي:أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران،ص١٠٧. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢١٩.

[3]- انظر . سورة الأنبياء،الآية ٦٨-٧٠. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١ ،ص٣٠.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص١٤٧. السمرقندي: بحر العلوم ،ج٢،ص٤٣١. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص ٧٦.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص ٢١٧.

الحروب وسفكت الدماء، وتفرقوا فرقا، فرقا، وجوقة ،جوقة وسلكت كل طائفة منهم مسلكا في البلاد،وتعلموا من تلك الأرض التي كانوا قد انتهوا إليها، ونزلوا على أهلها، فظهر بهذا السبب اختلاف اللغات، وأرسل الله ريحا عاصفة فهدمت برج النمرود، ثم أرادوا عمارته فبث الله الريح فهدمته أصلا ورأساً فتفرقت الطائفة الذين كانوا ساكنين هناك، ولم يبلغهم الله ما كانوا يعملون من الظلم والعدوان [١].

عدنا إلى ذكر تارح[٢] فنقول:كان ما بين فالغ، ورعوء، وسروع مدة اثنتين وثلاثين سنة، ومن زمن سروع إلى وقت ناحور ثلاثين سنة ، ومن زمان ناحور إلى زمان تارح كان مدة تسع وعشرين سنة ،ومن تارح إلى ولادة إبراهيم عليه السلام سبعون سنة فقد ثبت (٧- و) على هذا الحساب أن المدة التي كانت مابين ولادة نوح عليه السلام إلى ولادة إبراهيم عليه السلام هي ستمائة واثنتان وتسعون سنة، فعاش نوح بعد ولادة إبراهيم عليهما السلام ثمانية وخمسين سنة لأن نوحا عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فعلم أن الزمان المتخلل بين نوح وإبراهيم عليهما السلام كان ستمائة واثنتان وتسعون سنة، فعاش قبل الطوفان ستمائة سنة وعاش بعد الطوفان مائتين واثنتان وتسعون سنة ،وعاش بعد ولادة إبراهيم عليه السلام ثمان وخمسين سنة .

وعاش سام بعد الطوفان خمسمائة سنة وسنتين,وعاش أرفخشاد بعد الطوفان أربعمائة وثلاث سنين، وعاش شالخ بعد الطوفان أربعمائة وثلاث سنين، وعاش هود بعد الطوفان أربعمائة وثلاثين سنة، وعاش فالغ بعد الطوفان مائتين وتسع سنين وعاش رعوء بعد الطوفان مائتين وسبع سنين، وعاش سروع بعد الطوفان مائتي سنة ،وعاش ناحور بعد الطوفان مائة وتسعة عشر سنة [٣]،وعاش تارح بعد الطوفان مائة وخمس وثلاثين سنة، وعاش سام بعد ولادة يعقوب عليه السلام ثمان وأربعين سنة وكذلك عاش أرفخشاد إلى مضي خمس وأربعين سنة من عمر إسحاق عليه السلام ، وعاش شالخ إلى أن مضى من عمر يعقوب ثمان عشرة سنة ،وعاش عابر إلى مضى تسع وسبعين سنة من

---

[١]- انظر .العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٦. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٢٠. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢٥-٢٦.

[٢]- هو والد إبراهيم عليه السلام وكان هذا الاسم هو أسمه الذي سماه أبوه فلما صار مع النمرود قيما على خزائن آلهته سماه آزر وهكذا ورد أسمه في القرآن الكريموقيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام بل كان عمه واحتجوا على ذلك بوجوه منها أن آباء الأنبياء عليهم السلام ما كانوا كفارا وقيل أن تارح مات بمدينة حران.سورة الأنعام الآية ٧٤. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص١٣٠. الشهرستاني: الملل والنحل،ج١،ص٢٨٨. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٢١.

[٣]- انظر .العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٧.ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١ ،ص٢٩ .ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء،ج٢،ص٧. ابن حزم:رسالة الرد على ابن النغريلة،تحقيق إحسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١، ١٩٨١،ص٥٨.ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب،ج١،ص٣٧٣. السيوطي: الدر المنثور،ج٢،ص٧٤٨.

عمر يعقوب عليه السلام، وعاش فالغ إلى أن مضى ثمان وأربعين سنة من عمر إبراهيم عليه السلام، فهذه السنين المتفرقة التي كانت بعد مفارقتهم وعودتهم إلى عمارة البرج .

وفي هذه السنين انتقل تارح مع أولاده إبراهيم عليه السلام و هاران[١] من مساكنهم المألوفة إلى كوثة[٢] وأقاموا هناك مدة ،وكانت هذه الانتقالات في سنة مائة وتسعة عشر من عمر تارح، وعاش رعوء إلى حين ولادة إسحاق عليه السلام، وكان ذلك في سنة مائة من عمر إبراهيم وعاش سروع إلى أن مضى من عمر إبراهيم إحدى وسبعين سنة،وعاش ناحور إلى مضى عشرين سنة من عمر إبراهيم عليه السلام،و تارح عاش إلى مضى خمس وثلاثين سنة من عمر إسحاق عليه السلام .

فلما مضى من عمر إبراهيم خمس وسبعين سنة، تجلى عليه الرب تعالى وأمره بخروجه عن الوطن وجلاء المسكن، ومقام الأهل والآباء ،والمفارقة عن المقام الذي كانت نشأته فيه ووعده بنجاح المراد، والوصول إلى حضرته في الدنيا والآخرة، وبشره بذلك،وأن لا يضيع سعيه ،وتعبه[٣]، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا[٤].

ذكر الأهوال التي عاينها إبراهيم عليه السلام

وهذا الفصل يشمل على أهوال إبراهيم عليه السلام ومدة عمره،فمن زمن إبراهيم عليه السلام إلى زمن ظهور موسى عليه السلام قيل كان أربعمائة وعشرون سنة،وانتقل إبراهيم عليه السلام وسارة زوجته ،وابن أخيه لوط عليه السلام، بعد أن وافاه أبواه هاران، و تارح من كوثة إلى أرض

---

[١]- قيل كان أخا إبراهيم عليه السلام وقيل عمه وهو والد لوط عليه السلام ومات هاران قبل أبيه تارح في أور الكلدانيين . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٧.ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١ ،ص٣٧ .الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن ،ج١٥،ص ٣٨٩. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢٩ . ابن كثير:تفسير القرآن العظيم ،تحقيق محمود حسن ،دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م،ج٢،ص٢٨١. المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٤، ص ٢٠.ابن عجيبة:البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج٢،ص٥١٤.

[٢]- الصحيح كوثى وهي قرية في سواد الكوفة ولد فيها إبراهيم عليه السلام. الزمخشري(محمود بن عمر،ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): الفائق في غريب الحديث،تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ، لبنان،ط٢، د.ت،ج٣،ص٢٨٥.الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص٤٨٧.ابن منظور ابن منظور(محمد بن مكرم،ت٧١١هـ/١٣١١م):لسان العرب،بيروت ،دار صادر،د.ط،د.ت، مج٢،ص١٨١.الزبيدي(أبو الفيض مرتضى محمد بن أحمد الحسيني،ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):تاج العروس،تحقيق مجموعة من المحققين،دار الهداية،د.ط،د.ت ،ج٥،ص٣٣٦.

[٣]- انظر.العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٧.

[٤]- قال تعالى في سورة الكهف الآية ٣٠{إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا}.

حران[١]،وأقاموا هناك مدة خمس سنين، ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالهجرة[٢] من وطنه المألوف ومسكنه المعروف، فامتثل إبراهيم عليه السلام أمر ربه، وسافر من غير أن يقصد موضعا معينا،وكان هذا من جملة تجارب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ومن جملة الابتلاء الذي ابتلاه الله تعالى، فأطاع إبراهيم عليه السلام وانقاد لأوامره فتوجه نحو البرية منفردا عن أهله وماله، مفارقا وطنه بموجب ما أمر الله تعالى، ولم يأخذ معه سوى زوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام ، فلما سافر، كان عمر إبراهيم سبعين سنة، فلما وصل إلى أرض حران كان في غاية الفقر، والحالة السيئة من القلة فلم يتمكن من الإقامة هناك ، ثم انتقل إلى نابلس[٣] وهي سرة الأرض، وقيل سرة أرض الشام، فناجاه الله تعالى، وبشره بالسعادة الأبدية، وتمليك أرض الشام بعده لأولاده، ووعده بولد ذكر يكون خليفته ووصيه بعده، ففرح إبراهيم عليه السلام وشكر الله تعالى على تلك النعمة، وقرب القرابين، وسافر من نابلس إلى جهة الجنوب حتى وصل أرض مصر وكان في تلك السنة جذب وقحط عظيم[٤] .

فلما نزل إبراهيم عليه السلام بأرض مصر أتاه المنهيون[٥] وسألوه عن حاله ومقصده وحال من معه، وقالوا: من هذه الجارية التي معك؟ قال إبراهيم عليه السلام : هي أختي[٦]،خوفا من تعدى فرعون وجوره, وفي هذا القول رمز من جهة الإيمان،فلما أنهى حال سارة إلى فرعون[٧] أمر بأخذها

---

[١]- بلد بالجزيرة وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم قيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان وكانت منازل الصابئة. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، ص١٩٠. الحموي: معجم البلدان، مج٢،ص ٢٣٥.الزبيدي:تاج العروس من جوهر القاموس،ج١٠،ص٥٨٤.

[٢]- انظر سورة العنكبوت الآية: ٢٦-٢٧، سورة الأنبياء الآية: ٧١.

[٣]- مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل أرضها حجر بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ولها كورة واسعة ،وقيل سميت بذلك لوجود واد بقربها فيه حية قد امتنعت فيه وكانت عظيمة جدا وكانوا يسمونها بلغتهم لس فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانتزعوا نابها و جاؤوا بها فعلقوها على باب المدينة فقيل هذا ناب لس أي ناب الحية ثم كثر استعمالها حتى كتبوها متصلة نابلس هكذا وغلب هذا الاسم عليها. الحموي: معجم البلدان، مج٥،ص٢٤٨.

[٤]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص١٨.

[٥]- المقصود بهم أتباع فرعون مصر الذين ينهون الأخبار إلى مسامعه.

[٦]- اخرج في الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتان في ذات الله عز و جل قوله { فعله كبيرهم هذا } و { فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم } ومر بجبار وكانت معه امرأته فقال قولي إنه أخي فإني أنا أخوك وأنت أختي ليس في الأرض مؤمن غيرنا خشي أن يقتله ويغلبه عليها إن قال إنها امرأتي)) .ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج١٥،ص١٣١.

[٧]- ذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر كان أخا للضاحك الملك المشهور وكان عاملا لأخيه على مصر وقيل كان أسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح وقيل بل هو عمرو بن امرؤ القيس بن مايلون بن سباء . ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٧٧ .ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٢٥ .

قهراً فابتلاه الله تعالى بالأمراض المختلفة، والبرص، والدمامل، والجذام، وعم البلاء له ولأهله، فلما شاهد فرعون في قدوم سارة أنواع هذه البليات ندم، وطلب إبراهيم عليه السلام، واعتذر إليه وأهدى له مالا، ورد عليه سارة[١]، وطيب خاطره ،وبعث معه الخفارة[٢]، فلما رد إبراهيم إلى قومه سالما غانما لم ير لدوابه مرعى في تلك الأرض ،ففرق أهله فرقتين ،فانطلق لوط عليه السلام وأهله في طريق، وإبراهيم عليه السلام، وأهله ساروا إلى طريق آخر، وكان بعض ملوك الشام قد وقع بينه وبين ملك آخر، وقد تحاربا[٣] فوصل لوط عليه السلام إليهم فأسروه وأهله وأتباعه ،ونهبوا ما كان معه من المال والدواب ، فوصل خبره إلى إبراهيم عليه السلام، فأمر بأن يجتمع من القبائل عدة رجال، فاجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ،فسار إبراهيم عليه السلام مع الرجال إلى قتال تلك الطائفة فوصل إليهم في أرض بانياس[٤]،وحمل عليهم وقاتلهم مقاتلة عظيمة وآخر الأمر نصره الله على خصمه،وأظفره عليهم ،فأسر منهم خلقا كثيرا، فجاء بعض تلك الملوك إلى إبراهيم النبي عليه السلام ،وسألوه على أن يأخذ مالا، ويرد الأسرى، فحلف لهم إبراهيم عليه السلام بالله العظيم أنه لا يستحل من أموالهم شيئا ولو كان بقدر مخيط ،غير الطعام الذي يأكله المقاتلة، وكانت هذه الوقعة في سنة ثمانين من عمره[٥].

ثم تجلى الله عليه مرة ثانية وآمنه من خوفه ،وبشره بالثواب الجزيل والأجر الجميل,ثم كان إبراهيم عليه السلام لم يزل يتضرع إلى الله تعالى ويسأله الولد الصالح، الذي كان الله قد وعده بأن يرزقه ولداً يكون وارث علمه ،وماله ،وجاهه وخليفته في قومه ويكون لذلك الولد الموعود أولاد و ذريات مثل نجوم السماء، ومثل عدد ذرات الأرض،والدليل على أن الولد الموعود يكون وارثا ، هو أن أرض الشام تدخل تحت ملكه،وأوحى إلى إبراهيم أن من نسل إبراهيم عليه السلام، ونسل ولده يقع في بلاد الغربة قوم مدة أربعمائة سنة في أرض بعيدة، ويصيرون أسرى في يد قوم آخرين ، ثم بعد ذلك يتخلصون من أيدي العدو ويظفرون به وينتصرون عليه، ثم يرجعون إلى أوطانهم القديمة،

---

[١]- انظر. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٤٩. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٧٨.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٢٢-٢٢٣.

[٢]- يقال تخفرت بفلان، إذا استجرت به وسألته أن يكون لك خفيرا. وأخفرته، إذا نقضت عهده وغدرت به. ويقال أيضا: أخفرته، إذا بعثت معه خفيرا، والاسم الخفرة بالضم، وهى الذمة. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، ص٢١٢.

[٣]- أنظر. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٠.

[٤]- مدينة قريبة من دمشق في الجولان كانت ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها نهر يفضي إلى أحد أبواب المدينة وكانت في ما سبق من جند دمشق وتعرف بمدينة الأسباط . اليعقوبي : البلدان،ج٢،ص١٦٤. ابن الأثير: للباب في تهذيب الأنساب،دار صادر،بيروت، د.ط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م،ص١١٥. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٧٤.

[٥]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٢٦.

ويصيرون أغنياء أرباب أموال وأملاك وجاهات في الجيل الرابع، والخبر عبارة عن مدة سنة ثم بعد ذلك ظهرت تلك العلامات في إسحاق عليه السلام من وجهين،الأول أن أولاد يعقوب لما أسروا في مصر فسماه الله تعالى إسرائيل، وكان يعقوب(٨- ظ) بن إسحاق بن إبراهيم ، الثاني أن سام لم يتصل ببني إسرائيل إلاّ بسبب أولاد إبراهيم عليه السلام[١] .

ثم بعد أن مضى من عمر إبراهيم عليه السلام خمس وثمانون سنة ،وآيست سارة من حصول الولد، أذنت لإبراهيم عليه السلام في مباشرة هاجر، فباشرها فحبلت منه،فأتت بعد تمام المدة ابنا سماه إسماعيل عليه السلام،ثم بعد عشر سنين من عمر إسماعيل عليه السلام تجلى الله مرة ثالثة على إبراهيم عليه السلام وزاد في اسمه حروفا[٢] وأمره بأن يختن نفسه، وولده، وأهله ومن كان معه من العبيد والمتعلقين به جميعا[٣] .

ولما ختن نفسه كان عمر إبراهيم عليه السلام تسع وتسعين سنة ، وبعد إبراهيم عليه السلام سار إسماعيل عليه السلام على تلك السنة والطريقة ، ثم بعد ذلك بشر الله إبراهيم عليه السلام بقدوم إسحاق عليه السلام, وثبات عهده واستحكام أمره، وعدم انصرام ذمامه وانقطاعه، وكذلك بشره بحسن عاقبة نسل إسحاق عليه السلام ورايته[٤]. ثم بعد مضي ثلاثة أيام من وقت الختان ، أرسل الله تعالى ثلاثة أنفر من الملائكة[٥]إلى إبراهيم عليه السلام وشبههم إبراهيم عليه السلام بالرجال , وكان إبراهيم جالسا في باب الخيمة ينتظر الضيوف، فلما رأى الملائكة بادر إليهم واستقبلهم بالإكرام والإعزاز، وأجلهم وأحضر الموائد فصارت هذه الخصلة سنة له،وهي إلى الآن باقية، فحسب إبراهيم عليه السلام أن الملائكة عليهم السلام يأكلون من ذلك الطعام، ثم بعد ذلك بشر واحد منهم إبراهيم عليه السلام وقال : إني سأعود إليك بعد انقضاء سنة كاملة وأبشرك بحصول ولد ذكر من سارة، وخرجوا من عنده فخرج إبراهيم في توديعهم وتشيعهم، فعرف في آخر الأمر أنهم كانوا ملائكة ،إلا

---

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٢.

[٢]- يعتقد اليهود أن أسم إبراهيم عليه السلام كان أبرام فتجلّ الله تعالى له وزاد على أسمه حرف الهاء والياء فصار يدعى إبراهيم وذلك تكريما له . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٣.

[٣]- كان إبراهيم عليه السلام أول من اختتن وأول من قرى الضيف وأول من قص الشارب وأول من قص الظفر وأول من شاب.البخاري:الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م،باب الختان للكبير،ص٤٢٨. ابن أبي عاصم(أحمد بن عمرو الشيباني، ت٢٨٧هـ/٩٠٠م): الأوائل،تحقيق محمد بن ناصر العجمي،،دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت،ط١، ٢٠٠٧م،ص٩٤. الصفوري(عبد الرحمن بن عبد السلام بن عثمان،ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م): نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق عبد الرحيم ماردينى،دار المحبة ، دمشق،د.ط ، ٢٠٠١ ،ج٢،ص٤٥١.

[٤]- انظر.سورة الصافات الآية : ١٠٩ – ١١٣.

[٥]- وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام . الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٥١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٣٨.

أنه لم يعرف أن سبب إرسالهم لأي شيء كان , وكان يفكر في ذلك إلى أن أوحى الله إليه أن إرسال الملائكة هو ظلم قوم سدوم، وكثرة فسقهم، وفجورهم، وقد بلغ فسادهم إلى حد استوجب الهلاك[1]، واستحقوا العذاب فتضرع إبراهيم عليه السلام إلى حضرة الباري تعالى، وابتهل إليه على وجه الشفاعة وقال: اللهم إنك أنت الحاكم العادل الذي لا جور في قضائك ولا ميل في حكمك ،ثم قال حاشاك، حاشاك أن تأخذ الصالح بالطالح ، ثم قال الله تعالى: يا إبراهيم لو أن فيهم خمسين نفرا من الصلحاء لشملهم الغفران وأستوعبهم العفو، وعمتهم الرحمة، فلم يزل إبراهيم عليه السلام يشفع لهم ويتضرع إلى الله تعالى حتى استنزله إلى عشرة فلم يوجد فيهم هذه العشرة، ثم نفذ فيهم حكم الله تعالى ونزل عليهم البلاء المبرم، وتصاعدت المادة الكبريتية من الأرض ،ونزلت النار من الفلك الأثير، فتلاقى الدخان والنار في كرة الهواء وامتلأ الجو من النار وتلاطمت أمواج النار، كتلاطم أمواج البحار، ونفذت في دورهم وقصورهم، حتى نزلت إلى السراديب المحفورة تحت الأرض،وكان لتلك الطائفة خمس مدن وهي: سدوم،وعمورا، وادما،وصبوا، ولاسع ، فاحترقت بلاده ومن كان فيها جميعا،وخربت تلك العمارات ،وتفتت تلك الأحجار، وانقلبت أرضهم ظهر البطن، ولم يخلص من تلك النازلة الهائلة غير لوط عليه السلام ،وزوجته وابنتيه، وقبل نزول الملائكة بالبلاء أعلموا لوطا بحلول البلاء،وقالوا:خذ زوجتك وأهلك، واخرج من بينهم، وأرشدوه إلى طريق النجاة واشترطوا عليه أن لا يلتفت منهم أحد ،فالتفتت زوجة لوط عليه السلام إلى خلفها، فأدركتها صاعقة العذاب فصارت تلا من الملح وإلى الآن باقية، وكلما أخذته من ذلك الملح وجدته باقيا بحاله لا يتغير بإذن الله تعالى[2].

فلما سكنت تلك النار، وهبطت تلك الصاعقة، وانقلبت الأرض، وهلكت تلك الأمم التي كانت فيها ،إلا لوط عليه السلام وأهله وبناته فكانوا في بعض كهوف الجبال يتقون به البرد والحر، فتوهم بناته أن هذا الطوفان عم جميع وجه الأرض ولم يبق عليها سواهم، وأبونا رجل شيخ فإن نراعى منه، ونحافظ على النسل ، ينقطع نوع الإنسان، والعهدة على الراوي ذكروا أن البنات سقين أباهن

---

[1]- انظر . سورة هود الآية:٦٩-٧٣. سورة الحجر الآية:٥١-٥٦. سورة الذاريات الآية:٢٤-٣٠.

[2]- انظر . سورة هود الآية:٧٤-٨٣. سورة الحجر الآية:٥٧-٧٧.سورة الشعراء الآية:١٦٠-١٧٥.سورة العنكبوت الآية :٢٨-٣٥. سورة النمل الآية:٥٤-٥٨. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٤-٢٧. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص١٧٩-١٨٣. البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسين ،ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م): الأسماء والصفات،تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي،مكتبة السوادي ،جدة،ط١،١٤١٠هـ،ج٢،ص٤٥٢.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٩١-٩٣.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٥٨-٢٦٩. السيوطي: الدر المنثور،ج٤،ص٤٤٧.

الخمر، وأسكرنه حتى تخبط عقله، فباشر بناته فحبلن منه وولدن له ابنين وإليهما قبائل عمّان[1]، ومآب[2]،وقيل أن الأكراد بأسرهم من نسل تلك الأولاد [3].

فلما بلغ سن إبراهيم عليه السلام إلى مئة، وسن سارة إلى تسعين بموجب ما كانت الملائكة قد بشرته ، وقد بشره الله تعالى أيضا بذلك حبلت سارة وأتت بابن، وسماه إسحاق، ففرح إبراهيم عليه السلام بمقدمه فرحاً تاماً ، وبعد ثمانية أيام طهره بالختان، وإسحاق عليه السلام هو أول مولود ختن في اليوم الثامن ، ثم بعد تمام السنتين فطمته سارة .

وفي ذلك اليوم ذكر أن إبراهيم عليه السلام جمع خلقا كثيرا وعمل وليمة عظيمة، وكان إسماعيل عليه السلام قد قوي في ذلك الوقت وكان يرمي بالنشابة، ويلعب بين الصبيان فغضبت سارة على إسماعيل وأمه هاجر، والتمست من إبراهيم عليه السلام أن يبعد عنها إسماعيل عليه السلام وأمه، ومع أن إبراهيم كان يصعب عليه مفارقة ولده إسماعيل عليه السلام إلاّ أن رضا سارة كان عنده أرجح، فهيأ لهاجر زادا، وراحلة ، وسلمها إسماعيل عليه السلام، وأبعدها من عنده فتوجهت هاجر، ومعها إسماعيل عليه السلام نحو براري العرب، فلم تزل سائرة إلى أن نفد زادها الذي كان معها، فأجلست إسماعيل تحت شجرة ودعت الله تعالى على وجه الإخلاص وتضرعت إليه ،والتمست رحمته الشاملة، وموهبته العامة،فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعائها,وأمر الملائكة برفع الحجاب عن بصر هاجر، فنظرت إلى البرية، فرأت ماء صافيا فشربت منه وسقت ولدها، وأخذته في حضنها، وبكت بكاء شديدا فسمعت صوتا من قبل السماء يناديها ويقول : يا هاجر لا تحزني واتركي أصحابك وموطنك، ومنزلك فإن هذه البرية التي أنت فيها أرض الحجاز، فاجعلي هذا المقام مسكنك ،ثم بعد

---

[1]- عمان بزيادة ألف ونون على الذي قبله على وزن فعلان قرية من عمل دمشق وهي قصبة أرض البلقاء وقيل أنه مدينة دقيانوس الملك الذي فر منه أصحاب الكهف وقيل أنها سميت بعمان بن لوط عليه السلام . البكري(الأندلسي عبد الله بن عبد العزيز،ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا،عالم الكتب ،بيروت،ط٣ ، ١٤٠٣هـ،ج٣،ص٩٧٠. الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص١٥١.

[2]- هو أسم بكر ابنة لوط الكبرى وإليه تنسب أرض مآب وهي ما يقع شرقي من البحر الميت .قاموس الكتاب المقدس،ص٦٣.

[3]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٨. ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج١،ص١٠٥. ابن القيم الجوزية(محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي،ت٧٥١هـ/١٣٤٩م): إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة ،بيروت،ط٢ ، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م،ج٢،ص٣٤٣.

ذلك لما أقامت هاجر هناك، وكبر إسماعيل عليه السلام فزوجته، وكان عمر إسماعيل عليه السلام ثمانية عشر سنة[١].

فلما بلغ سن إسحاق عليه السلام إلى سبعة وثلاثين سنة أمر الله (٩- و) وتعالى بذبح إسحاق عليه السلام وابتلاه، فعرف إبراهيم عليه السلام أن امتثال أمر الله تعالى واجب في ذبح ولده إسحاق عليه السلام ، فسارع إلى ذلك من غير فتور وتوان ، فتوجه هو وإسحاق عليه السلام إلى موضع خال ووضع خده الشريف على الأرض، وسل سكين كجمرة النار ليمتثل أمر ربه، فنادت الملائكة من السماء أن يا إبراهيم اكفف يدك عن إيلام إسحاق بالجراحة فإن قوة إيمانك قد ظهرت عند الله تعالى، وتبين إخلاصك في الانقياد لأوامر الله تعالى، فرفع إبراهيم عليه السلام رأسه إلى السماء، فرأى كبشا معلقا بقرنيه في شجرة ، فأنزل الكبش، وذبحه قربانا عوضا عن إسحاق عليه السلام، في سبيل الله [٢].

فلما انتهت هذه الحكاية إلى سارة على هذا الوجه , جعلت تبكي وتتحسر على ولدها، وشهقت شهقة فغشي عليها وماتت في تلك الغشية،وكان مدة عمرها مئة وسبع وعشرون سنة،ومدة عمر إبراهيم كانت مئة وسبع وثلاثين سنة ، وكان عمر إسماعيل عليه السلام في ذلك الوقت إحدى وخمسين سنة .

فلما ماتت سارة لم يكن إبراهيم عليه السلام حاضرا، فلما أعلموه بالحال حضر وأمر بأن يشترى ضيعة برسم الدفن ، واشتروا ضيعة حبرون[٣] ودفنوا سارة في غار من غارات تلك الضيعة،وبنو عليها طبقتان،طبقة من فوق والأخرى من تحت، ووضعوا في الضريح الأحجار المنقورة المحفورة المنقوشة بألوان الصور، والأشكال المنقوشة المرصعة وغيرها ،وتعرف تلك البقعة الآن بمقام الخليل .

---

[١]- انظر سورة إبراهيم الآية :٣٧. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٢٩-٣٠. الأزرقي(محمد بن عبد الله بن أحمد،ت٢٥٠هـ/٨٦٥م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،تحقيق: علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية، مصر،ط١،د.ت،ج١،ص٣٠. البيهقي: شعب الإيمان،تحقيق محمد زغلول،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٤١٠هـ،ج٣، ص٤٥٨.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٧٩ -٨٠. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٢٧ .ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٨٢-٢٣١.

[٢]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٣١-٣٢.

[٣]- حبرون بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون هو الاسم القديم لمدينة الخليل في جنوبي القدس و بها الحرم الخليلي قبر إبراهيم عليه السلام. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، ص٢١٢.الحموي: معجم البلدان، مج٢،ص٢١٢. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج١،ص٣٨٨. السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):البلدانيات،تحقيق حسام محمد القطان، دار العطاء، السعودية،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م،ص٦٩.

فلما توفي إبراهيم عليه السلام بعد سارة دفن هناك أيضا، وقيل أن إسحاق عليه السلام وزوجته رفقه ويعقوب وزوجته دفنوا هناك، وقيل أن آدم وحواء أيضا دفنا هناك، وبسبب دفن هذه الأزواج الأربعة سميت تلك البقعة قرية الأربع [1].

ذكر إسحاق و يعقوب عليهما السلام

فلما بلغ سن إسحاق عليه السلام أربعين سنة تزوج برفقه، وهي بنت بتؤيل بن ناحور خال إسحاق عليه السلام وبقيت في صحبة إسحاق عشرين سنة لم تلد لأنها كانت عاقر،فسأل الله تعالى إسحاق أن يرزقه ولدا فاستجاب له الله تعالى وحبلت زوجته واتت بابنين في دفعة واحدة فسمى الأكبر العيص والأصغر يعقوب، وحين ولادة يعقوب كان عمر إسحاق عليه السلام قد بلغ ستون سنة.

فلما عمّر إبراهيم عليه السلام مائة وأربعين سنة تزوج بامرأة اسمها قاطورا من العرب وولدت له ست بنين هذا تفصيل أسمائهم: زمران، يقشان، مدان، يشباق، شوج، مدين، وولد ليقشان ابنين اسمهما: شبا و ددان، وولد لددان ثلاثة بنين أسمائهم: أشوريم، أطوشيم، لأميم، فصارت هذه الجماعة ستة عشر نفرا[2]،ونقل بعضهم أن هذه قاطورا هي هاجر لأن إبراهيم عليه السلام لما ماتت سارة أمر باسترجاع هاجر، وولد لإسماعيل عليه السلام اثنا عشر ابنا هذا تفصيل أسمائهم: نبايوت، قيدار،أدبئيل،مبسام، مشماع، دوما، مسًا،حدار، تيماء، يطوار، ناقيش[3] .

وأدرك إبراهيم عليه السلام أولاد إسماعيل، و العيص، ويعقوب ولدي إسحاق عليه السلام، فلما بلغ سن يعقوب خمس عشر سنة انتقل إبراهيم عليه السلام من دار الدنيا إلى دار الآخرة،وإلى دار الكرامة وحضرة القدس،وكان قد سن للغاية ومل الحياة لأنه بلغ مائة وخمس وسبعين سنة من العمر،وكان عمر إسحاق خمس وسبعين سنة، وعمر إسماعيل عليه السلام تسع وثمانين سنة .

فلما قربت وفاة إبراهيم عليه السلام أحضر إسحاق،وإسماعيل عليهما السلام وقسم ما كان يملكه بينهما وأمرهما أن يستعدا لدفنه وتجهيزه ،ووصى إلى إسحاق وخلفه على قومه،وأودعه سره،فلما بلغ

---

[1]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٣٣.

[2]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٣٧.

[3]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٣٨.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٨٩. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٩٥.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٧٩.

عمر إسحاق عليه السلام مائة وثلاثا وعشرين سنة احتجبت عيناه عن مطالعة المبصرات ،وتوفي إسماعيل في هذه السنة.

فلما بلغ عمر يعقوب عليه السلام ثلاثا وستين سنة ،واستعد لمباشرة الأمور العظام، كان إسحاق يميل إلى العيص، ويحبه ،فطلبه يوما وقال له: أريد أن تذهب إلى الصيد،وتصيد لي الصيد الفلاني،وتأتي به، فخرج العيص بموجب أمر والده إلى الصيد ،وكانت أمه تحب يعقوب،وتميل إليه وتشتهي أن يكون خليفة إسحاق ،وأعلمته أن أباه قد أوصى إلى العيص ويريد أن يجعله خليفته ويودعه سره، فقال يعقوب : ماذا ترين؟ فقالت بادر وآتيني بعناقين[1] لأصنع طعاما يحبه إسحاق، وخذ على رقبتك جلد العناق،وادخل إلى والدك إسحاق وقدم إليه الطعام, وإنما ألبسته الجلد لأن العيص كان على جسمه شعر كثير، ويعقوب لم يكن له على جسمه شعر كثير .

فلما صنعت الطعام وناولته يعقوب، فقدمه يعقوب إلى والده، فأكل منه وأعجبه ووجد منه رحمة فطلب يعقوب وعانقه وألصقه بصدره وقبل وجهه وعينيه ودعا له بالبركة وجعله خليفته، وقال له أنت وصيي وأودعه سره، فخرج يعقوب من عند والده مسروراً وكان عمره في هذه السنة ثلاثا وستين سنة ،فلما حصل ليعقوب عليه السلام هذه الكرامة، استقل بأمر نفسه، واشتغل بتحصيل العلوم في خدمة هود النبي عليه السلام،ونقل أنه لما خرج يعقوب من عند والده دخل العيص ومعه الصيد الذي طلبه والده، فسمع أن أباه قد أوصى إلى يعقوب وأودعه سره ودعا له بالبركة تحير في أمره ودهش وانزعج إسحاق أيضا من تلك الحالة فأنزل الله الوحي عليه بالسكينة،والثبات، فعرف إسحاق أن الذي فرط منه ،كان بأمر إلهي، فبعد ذلك مرة ثانية عانق يعقوب ولزه[2] إلى صدره، ودعا له بالبركة ،فلما عاين العيص ذلك استغاث إلى أبيه ووقع على قدمه والتمس من أبيه أن يدعو له أيضا بالبركة ،فأخذ إسحاق يد العيص لكي لا يخجل ودعا له بالبركة بنوع آخر دون دعاء يعقوب فحصل في صدر العيص من هذه الحالة حقد عظيم وحسد قوي على يعقوب بحيث توعده وهدده بالهلاك [3].

فلما وصل الخبر والدتهما خافت على يعقوب، فأمرته أن يسافر إلى خاله لابان ويخطب ابنته، فطلبه إسحاق وطيب قلبه ودعا له بالخير، والبركة ،وجدد له الوصية وكررها عليه وأمره بالسفر

---

[1]- العناق: الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة. الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر،ت٣٧٠هـ/٩٨١م): الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ،تحقيق محمد جبر الألفي ،مطابع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ،الكويت،ط١ ، ١٣٩٩هـ،ص٢٨٩.ابن منظور:لسان العرب ،مج١٠،ص٢٧١.الزبيدي:تاج العروس،ج٢٦،ص٢١٨.

[2]- لَزَّ الشيءَ بالشيء يَلُزُّه لَزًّا وأَلَزَّه أَلزمه إِياه واللَّزَزُ الشِّدَّةُ ولَزَّه أَي شَدَّه وأَلصقه . الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤، ص٣٢.ابن منظور:لسان العرب ،مج٥،ص٤٠٤.

[3]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٤١-٤٢.

إلى خاله لابان، فتوجه يعقوب بموجب إشارة والده إلى خاله لابان فريداً، وحيداً، كئيبا، شريداً، وكان عمره حينئذ ستا وسبعين سنة فبينما هو سائرا إذ جن عليه الليل فالتجأ إلى بعض صخور الجبال، ونام في كنفه واستراح من تعب طريقه، فرأى في النوم أن سلما قد نصب من السماء إلى الأرض والملائكة يصعدون وينزلون فيه ،فسمع صوتا يقول بلسان فصيح: إن الله أيد إبراهيم جدك، وإسحاق أبيك ،أبشر يا يعقوب بأن هذه الخطة التي أنت عليها نائم ملكناها لك، ولنسلك وأوليائك نعمة لا تعد ولا تحصى، وبسبب (١٠-ظ) بركة وجودك باركنا لقبائل الأرض وننصرك، ونحفظك، ونعين جندك، وقومك، ونوفقك بالخير واليسر، حيث توجهت وقصدت ،ونردك إلى أهلك سالماً، غانماً، من هذه البرية. فلما استيقظ يعقوب عليه السلام اطمأن قلبه بتلك الرؤيا وبنجاح مقصده فنذر لله تعالى وقال: متى ردني الله سالما إلى وطني أبني في هذه البرية بيتا لعبادة الله، وأخرج العشر من مالي للفقراء، والمساكين ،فسار فرحا فلما وصل حران بلدة خاله واتصل بلابان وأقام هناك ثلاثين يوما خطب ابنة خاله الصغيرة، واسمها راحيل ،فزوجها منه على شرط أن يخدمه سبع سنين ،فمكروا به وزوجوه بالابنة الكبرى ليا،فندم يعقوب وعاتب خاله على ذلك وقال : اعلم أن في مذهبنا أن الابنة الصغيرة لا يجوز تزويجها دون تزويج الكبرى، فشارطه على أن يخدمه سبع سنين أخرى غير ذلك، ويزوجه براحيل، فلما فرغ يعقوب من عرس ليا، دخل براحيل بعد سبعة أيام[١].

وكان عمر يعقوب عليه السلام في هذا الوقت خمسا وثمانين سنة، ورزقه الله تعالى أحد عشر ولدا وابنة واحدة في مدة سبع سنين، فتكامل عمره تسعين سنة ، وهذه أسماء أولاده على هذا التفصيل: روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساخر، زبولون، دان، نفتالى، جاد، أشير، يوسف.واسم ابنته دينة[٢]، وأقام عند خاله بعد انقضاء الأجل ست سنين ثم فارق خاله بعد أن جرت بينه وبين خاله مقالات ووقائع كثيرة، وبقي في الطريق سنتين بسبب الخوف من أصحاب أخيه، فجاء ملك من الملائكة إليه وشجعه على المجيء، فكان يتظاهر يعقوب بقدوم أخيه ، وتوقع نصرة الله تعالى، وما كان وعده بالظفر وحسن المنقلب ، وقيل أن الملك لما جاء إليه حضنه وبلغه سلام الله تعالى وبشره،وسماه إسرائيل في لغة العبرية مشتق من الرياسة ، فسكن عند ذلك قلب يعقوب عليه السلام ، واطمأن وزال عنه ذلك الاستشعار والخوف من أخيه العيص بنزول النبوة الطاهرة عليه واستظهاره بالمعجزات .

---

[١]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٤٣-٤٤-٤٥.

[٢]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٤٦-٤٧.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص١٩٠-١٩١. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،مج١،ص٩٦.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٨٢.

ومع أن أخاه العيص كان طالبا له مع أربعمائة نفر من المقاتلة، فلما قرب يعقوب إلى أرض العيص بعث تحفاً وهدايا كثيرة إلى العيص، مع أنواع الأموال من المواشي، والأغنام، والبقر، والجمال، والثياب واستمال خاطره بذلك السبب لأنه، كان مستشعرا منهم ،فرأى في تلك الليلة كأن الملك أتاه وبشره بالخلاص من شر العيص، فصار هذا المعنى سنة مؤكدة في تحريم أكل عرق النساء[١]، لئلا يذكر سبب هذه الواقعة[٢].

فلما أصبح يعقوب عليه السلام جاء أخوه إليه ،فعانقه العيص فتعانقا وتباكيا على طول الغيبة، وكثرة الوحشة ،فوجد يعقوب أخاه العيص غير ما كان يعتقد، ويسمع صيته من العداوة، ثم لما فرغا من البكاء سأله العيص عن حاله وحال نسائه وأولاده وأتباعه وخدمه وحشمه، ومن معه، فأخبره يعقوب على الوجه الصحيح بجميع أحواله ولم يخف عليه شيئا ،ثم افترقا فأكمل يعقوب في ذلك اليوم مجملاً ومفصلا ،فحمد الله تعالى وشكره ورحل إلى سكوت[٣]وبنا هناك مذبحا لله وذبح القرابين هناك شكرا لله تعالى واعترف بنعم الله تعالى وصدق المواعيد التي كان الله قد وعده ،ثم بعد ستة عشر شهرا رزقه الله تعالى ابنا آخر كان متمم الدائرة ونهاية الأسباط الاثني عشر وسماه بنيامين، وفي حال ولادته توفيت أمه راحيل، وكان عمرها خمسا وثلاثين سنة ،وأقام يعقوب هناك ستة أشهر فتكاملت مدة سفره وغيبته عن أهله عشرون سنة وسنتان، أقام أربع عشرة سنة لأجل شرط الخطبة لزوجتيه، فخدم ست سنين يرعى لأغنام في مدة نفيه، وأقام في سكوت سنتين وذكر أن لابان لما زوج ابنتيه ليعقوب أعطى كل ابنة جارية، فجاء ليعقوب من كل جارية ابنان ومعهما تمت الأسباط من أربعة نسوة فالأبناء الذين كانوا من ليا ستة:روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساخر، زبولون .

---

[١]- هو وجعٌ يبتدئ من مفصل الورك، وينزل من خلفٍ على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدتُه، زاد نزولُه، وتُهزَلُ معه الرجلُ والفَخِذُ،و قيل سمى بذلك لأن ألمه يُنسِى ما سواه. ابن القيم الجوزية: الطب النبوي، تحقيق:السيد الجميلي،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٨١.

[٢]- قال تعالى{ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة }. وقال ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية :أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان رجلا شديداً قوياً، فلقيه ملك فظنّ يعقوب أنّه لصّ فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد إلى السماء ويعقوب ينظر إليه ، فهاج به عرق النساء ولقي من ذلك بلاء شديداً وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاء أي صياح ، فحلف يعقوب عليه السلام لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق ، فحرّمها على نفسه فجعل بنوه يبتغون العروق يخرجونها من اللحم . سورة آل عمران، الآية: ٩٣ .أبو الحسن: تفسير مقاتل بن سليمان،ج١،ص١٨٢. الحاكم: المستدرك على الصحيحين،ج٢،ص٣٢٠. ابن الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري،ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م):الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م،ج٣،ص١١٣.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٨٤.

[٣]- سكوت:كلمة عبرية تعني (المظلات)وهو أسم للمكان الذي رحل إليه يعقوب بعد أن ترك أخاه العيص وقد أطلق عليه هذا الاسم بعد أن أقام فيه يعقوب مظلاته وخيامه وتقع بشكوت على بعد أربعة أميال شرق الأردن ومكانها اليوم تل أخصاص غرب ديرعلة شرق الزرقاء في الأردن .قاموس الكتاب المقدس،ص٢٢.

وأما من راحيل فإنه كان: يوسف، وبنيامين وأما من جاريته المسماة زلفة فإنه كان: جاد،وأشير،ومن الجارية المسماة بلهة كان دان، ونفتالى، فهؤلاء هم الأسباط الاثني عشر[١].

(١١- و) فلما تم عدد دائرتهم جاء يعقوب إلى خدمة والده إسحاق عليه السلام، وقد بلغ سنه ثمانية وثمانون سنة وكان عمر إسحاق مائة وثمان وخمسين سنة، فبقيا مجتمعين بعد ذلك عدة سنين لا يطرقهم الحدثان، ولا يكدر عيشهم صرف الزمان، ثم بعد مضي عشر سنين غارت الأوقات على صفاء عيشهم، فابتلاهم بالفراق ورمى يعقوب بفقدان يوسف عليه السلام ،وما حصل له من كيد الأخوة وغدرهم وافترائهم وبهتانهم على الذئب وقصدهم قتله وبيعهم إياه بثمن بخس ،وكان عمر يوسف في ذلك الوقت ست عشرة سنة ،وعمر يعقوب مائة وثمان سنين، وعمر إسحاق مائة وثمان وستين سنة، ففارقهم يوسف ثلاث عشرة سنة منها سنة كان في بيت مالكه بمصر،ومنها أقام في الحبس اثنتي عشر سنة إلى أن نظر إلى حاله كاشف الكروب ،وخلصه من تلك الورطة الهائلة وضيق الحبس ومن بالفرج وأخرجه من غيابة الجب، وأجلسه على سرير الملك ولما تولى سلطته كان عمره ثلاثين سنة[٢].

ذكر يوسف عليه السلام

وأما قضية يوسف عليه السلام مع إخوته فإنه نقل عن الرواة أن سبب معاداة يوسف عليه السلام إخوته، هو أن أباهم يعقوب عليه السلام كان يحب يوسف من بين إخوته ويعززه ويرفع مرتبته عليهم، ويرى فيه أثار الشرف، والسعادة ،وعلامات النبوة والكرامة ،وسبب آخر هو أن يوسف عليه السلام رأى يوما في النوم كأنه قد ذهب مع إخوته إلى الاحتطاب، وقد شد كل واحد من إخوته حزمة من الحطب ،وحزمة يوسف عليه السلام كانت منتصبة سجد لها حزم إخوته[٣]، فلما روى هذه الرؤيا على إخوته، وكان إخوة يوسف عالمين بتأويل الرؤيا ،فعلموا أن يوسف عليه السلام تعلو مرتبته وترتفع درجته ،فحقدوا عليه وحسدوه ،فلما استحكم بغض يوسف عليه السلام في قلوب الأخوة ورسخت العداوة في طباعهم ،وكانوا يقولون بأن يوسف سوف يتملكنا ويحكم فينا،ثم رأى بعد مدة أخرى يوسف في منامه كأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا من السماء تسجد له، فقص هذه

[١]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٥٧.
[٢]- أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣١.
[٣]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦٠.

الرؤيا على أبيه و إخوته[١]، فانزعج يعقوب وإخوة يوسف، وقال: يا يوسف أسجد أنا وأمك وأخوتك لك على وجه الأرض فهذا هو تأويل رؤيتك، فزادت عداوة إخوة يوسف ورسخت الشحناء في أذهانهم، ثم بعد مدة إن إخوة يوسف عليه السلام خرجوا إلى الصحراء لرعي الدواب وأبطؤوا أياما، فاشتغل خاطر يعقوب عليه السلام لغيبتهم فتبعهم يوسف عليه السلام ليستعلم الحال .

فلما اتصل بهم يوسف انتهزوا الفرصة والتهبت نيران العداوة في صدورهم، فقصدوا قتله ليكذبوه في تلك الرؤيا التي رآها وتشاوروا فيما بينهم على كيفية قتله، فشق قتله على أخيه روبين، واجتهد في خلاصه من أيديهم فلم يتيسر وفي آخر الأمر اتفقوا على أنهم يلقونه في جب هناك بعيد القعر خال من الماء ممتلئ من الهوام، فألقوه في ذلك الجب فبعث الله تعالى ملكا ليرفع صخرة من قعر البئر في وسطه ليجلس عليها يوسف عليه السلام[٢]، وبعد ساعة وردت قافلة مصر إلى تلك الأرض فنزلوا هناك ساعة للاستراحة وبعثوا إلى البئر ليستقوا منها ماء فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل ، فلما رأوه تحيروا وتعجبوا من حسنه وجماله فعرف أخوة يوسف الحال فجاءوا إلى القافلة وقالوا: هذا غلامٌ أبق منا[٣]،وفي عاقبة الأمر باعوه إلى شخص من أهل القافلة اسمه مالك بن دعر الخزاعي[٤] بثمن مبلغه عشرون درهما[٥]،فأخذه مالكه وأتى به إلى مصر وباعه إلى فوطيفار[٦]، وكان من خواص فرعون [٧]، فحصل يوسف عليه السلام في قيد العبودية ،ثم بعد أيام عشقته زوجة فوطيفار،واسمها زليخة،وكلفت بحسنه وجماله,بحيث سلب عنها نومها وقرارها وطمعت في اجتماع يوسف وولعت به،وأرادت أن يخلو يوسف معها، فحيث عرف يوسف حالها وما تريد منه صار يفر منها وصان نفسه ونفسها عن الخلوة معها والإصابة، وقل ترداده إلى بيت المالك ، وكان يحافظ على نفسه،فاتفق لأهل مصر موسم بحيث كان جميع الناس يقصدون بيوت العبادات في ذلك الموسم, ولم

---

[١]- انظر . سورة يوسف الآية:٤-٥ .

[٢]- انظر . سورة يوسف الآية:٧-١٠.

[٣]- أبق العبد يأبق إباقاً أي هرب وتأبق أي استتر .الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج٥، ص١٣١.

[٤]- هو مالك بن دعر من العرب العاربة ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا أعقب كل واحد منهم قبيلة وقيل هو مالك بن دعر من نسل مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . الطبري: تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص ٢٠٣. ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب،ج١١،ص٤٧. السيوطي:الإتقان في علوم القرآن،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م،ج٤،ص١٠٠.

[٥]- بلفظ العهد القديم (بعشرين من الفضة). العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦١.

[٦]- قال ابن عباس كان اسمه قوطيفر وقيل إطفير بن روحيب وهو العزيز وكان خازن الملك وصاحب جنوده وذكر في التوراة فوطيفار وأنه خصي فرعون وصاحب شرطته . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك،مج١، ص٢٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٢٩٢.

[٧]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦١.

يكن يوسف يعلم بهذا الموسم ، فمضى ذلك اليوم لقضاء الحاجة إلى البيت ولم ير في البيت سوى زليخة لأن أهل البيت جميعا كانوا قد مشوا إلى الزيارة،وكانت هي قد تمارضت طمعا في وصال يوسف والاجتماع به، فلما دخل يوسف الدار التمست منه زليخة أن يجتمع معها ،وألحت عليه، وبالغت في ذلك المعنى عسى أن يطيعها يوسف،فأبى يوسف بحسب طهارة أصله،وعصمة نبوته،واقتضاء عفة آبائه الكرام،وأنكر عليها في ذلك الوقت وقال لها : يا سيدة أما تخافين الله وتستحين منه ، ولا تذكرين عقوبة الآخرة.

فلما لم تكن زليخة مؤمنة بالله، واليوم الآخر ضحكت، من تلك المواعظ ، واستهزأت بتلك النصائح وقالت: يا يوسف أتجادلني في الباطل؟ فقال يوسف: هذا اعتقادي، فقالت له زليخة: أنت اليوم عبدنا، ويجب عليك أن تتبعنا في ديننا واعتقادنا ، فقال يوسف: ألم تعلمي يا سيدة أن مولاي فوطيفار قد سلم جميع أمواله، وخزائنه إلي وفوضها إلي، وجعلني أمينا له والله تعالى حاضر ناظر على أحوالنا , تعلمين أني لم أخن سيدي ولو بشربة ماء،أو لقمة خبز ، فكيف أجوز الخيانة على زوجته ولا يجوز هذا الأمر من العقل ولا من جهة الدين، وإني لست ممن يفعل هذا أبدا وأصلاً ولا أجعل نفسي خائنا فاحفظي نفسك يا سيدة عن ذلك.(١٢- ظ) فلما جاء فوطيفار رأى زوجته باكية صارخة، قال لها: ما شأنك قالت إن غلامك يوسف أراد أن يفعل بي كذا، وكذا وافترت عليه، ورمته بالبهتان، فتحير فوطيفار في أمر يوسف وغضب غضبا شديدا، فشاور في ذلك الأمر مع صاحب له فأشار ذلك الرجل بقتل يوسف عليه السلام ،فلم يعجبه قتل يوسف، فقال:الرأي أن نحبسه ليموت في الحبس[١] فمكث في السجن اثنتي عشرة سنة[٢].

ثم حبس بعده غلامان أحدهما كان شرابياً، والآخر كان خبازا حيث اتهما بتهمة، فغضب فرعون عليهما، وأمر بحبسهما في الحبس الذي كان يوسف عليه السلام فيه، فرأى الغلامان ليلة في المنام رؤيا فسألا تعبير رؤاهما من يوسف عليه السلام، فعبر لهما يوسف ثم بعد ثلاثة أيام صح تعبير يوسف، فصلب الخباز، وأعيد الشرابي إلى عمله، لأن يوسف عليه السلام كان قد عبر رؤاهما كذلك[٣].

ثم رأى فرعون في منامه رؤيا هائلة، وعبّرة له في النوم ، وتلك الرؤيا هي أن فرعون رأى أن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، ولم يظهر في البقرات العجاف أثر لبن، ورأى سبع سنبلات خضر، تبلعها سبع سنبلات يابسات، ولم يظهر أثرها في السنبلات اليابسات ، فلما انتبه فرعون ،فزع

---

[١]- انظر .سورة يوسف الآية:٢٣-٣٤.

[٢]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦٣-٦٤.

[٣]- انظر.سورة يوسف الآية: ٣٥-٤١. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦٥.

من تلك الرؤيا، وكان يذكر الرؤيا ولكنه نسي تعبيرها، فأمر بجمع الحكماء والعلماء والمعبرين بمصر، وسألهم عن تعبير الرؤيا فتحيروا في ذلك ولم يجيبوا عليه، فتحير فرعون من ذلك وقلق، فجاء إليه غلامه الشرابي، وسجد له وقال: يا مولاي كان معنا في الحبس غلام عبراني يذكر أنه كان غلام شحنة مصر، وكان العبد والخازن قد رأينا رؤيا فقصصناها عليه، فعبرها لنا، فخرجت كما عبرها، فإنه لا يمكن أن يعبر رؤيا السلطان إلا ذلك الغلام ،فأمر فرعون بإحضار يوسف بين يديه وأمر بأن يلبس خلعة فاخرة، ثم سأله تعبير رؤياه فأخبر يوسف عليه السلام بما رأى فرعون في المنام من غير زيادة ولا نقصان، وقال: إن تعبير هذه الرؤيا يقتضي أن يكون الناس من ابتداء مدة هذه الرؤيا إلى مدة سبع سنين في الخصب، والراحة ،والأمن والخير، ثم بعد سبع سنين تأتي سبع سنين في مقابلها على التوالي يدخلون في القحط و الجدب والبلاء والجهد و مالم يدخر الناس في سني الخصب لسني القحط لا يخلص من كل ألف واحد منهم [1].

فلما سمع فرعون تعبير الرؤيا من يوسف عليه السلام على هذا الوجه، ورأى جريانه في تقرير الكلام ، قال لمن حوله :هذا الشاب مؤيدا من عند الله ،فلأجل هذا تمكن كلامه من قلبي ،ثم قال فرعون: يظهر لي أثر الطهارة وعلامة التقوى في ناصية هذا الغلام،وإذا وقع مشكل لا يقدر واحد على حله فإنه يحله هذا الشاب ،وما رأيت أحدا بكياسته ولا بذكائه، فالرأي أن أجعله وزيري وأتخذه ولدي أشاوره في أموري ليجلس في دست الوزارة ويحكم عن نيابتي، وأعطيه خاتم الحل والعقد لأني لم أجد أحدا من خواصي بكثرة عقله وثباته ،ولا يقدر أحد أن يدخر لأيام القحط ذخيرة لائقة إلا هو، فقال أصحابه جميعا رأي السلطان أعلى في ذلك،وكما اقتضت آراؤك الشريفة فلا مزيد عليه[2]، ثم أمر فرعون أن يتزوج يوسف بامرأة من مصر لم يكن في نساء مصر أجمل منها ولا أكثر حسنا ولا أكبر نسبا ،وأمر بأن ينادى في بلاد مصر أن يوسف عليه السلام صار ولد السلطان، فمن خالفه وتعدى أمره يكون قد خالف السلطان، ثم بعث يوسف عليه السلام المعتمدين إلى كل الأطراف ليخرجوا أخماس الأموال وادخاره ليوم الضيقة .

وولد ليوسف في أيام الخصب ابنان سمى أحدهما منشه، وسمى الآخر أفرام، وقيل أن وقت جلوس يوسف عليه السلام في الحكم انتقل جده إسحاق عليه السلام من دار الفناء إلى دار البقاء، فكان عمره مائة وثمانون سنة ودفنه ولداه العيص ويعقوب عند أبيه إبراهيم عليه السلام[3]،وكان عمر يوسف في هذا الوقت ثلاثين سنة وهو غير ملتحي، فقالت الوزراء والنواب وخواص فرعون كيف

---

[1]- انظر. سورة يوسف الآية: ٤٣-٤٩.

[2]- انظر. سورة يوسف الآية: ٥٤-٥٧.

[3]- العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٦٨-٦٩. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص٢٠٩. المسعودي:أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران،ص٢٦١- ٢٦٢.

يجوز أن يكون صبي غريب، أمرد ولياً علينا، ومقدما على الأكابر والقدماء، فالله سبحانه وتعالى بكمال قدرته قدر أن يوسف عليه السلام بات ليلة من الليالي فلما أصبح كان ملتحيا قد وخطه الشيب، فقال فرعون لما رأى تلك المعجزة لأصحابه : لو لم يكن هذا الشخص مؤيدا من عند الله تعالى ومرضيا عنده لما كان حاله بخلاف حال الناس جميعا ،وأموره خارقة للعادات.

وفي الجملة لما رأى الجماعة تلك الحالة انقادوا له جميعا وأطاعوه ودخلوا تحت حكمه وظهر أثر تعبير يوسف عليه السلام لرؤيا فرعون ،وتوالت سبع سنين رخصا وخصبا، وكان الناس يتمتعون في الخيرات الوافرة، والنعم المتكاثرة، ثم بعد تمام سبع سنين ظهر القحط ، والجدب، والغلاء في بلاد مصر والشام، ففتح يوسف عليه السلام أبواب الذخائر الموجودة التي كان قد جمعها في السنين السبعة الخالية، وكان يتفقد الناس ويتعهدهم على قدرهم من الغلة الموجودة في المركز، فقصده الناس من أطراف البلاد، وكان كل واحد منهم يأخذ نصيباً وافراً ،فلما وصل خبر إبرار يوسف عليه السلام وخيراته إلى كنعان، توجه أخوة يوسف نحو مصر يتوقعون إنعام يوسف عليه السلام وصدقاته .

ولما كان يعقوب عليه السلام مفجوعاً بيوسف عليه السلام، لم يترك بنيامين الذي كان من راحيل أم يوسف، وخاف يعقوب عليه من غدر إخوته كما غدروا بيوسف عليه السلام ، فلما وصل إخوة يوسف إلى مصر وهم عشرة وفدوا إلى باب يوسف عليه السلام، ولم يسلموا أبدا أنه يوسف عليه السلام ،لأنه كان قد التحى وشاب، وكان لما فارقهم عمره ست عشر سنة ،ولأن كان عمره سبع وثلاثين سنة ،فلما رآهم يوسف عليه السلام عرفهم وذكرهم بما مكروا به وغدرهم معه ولم ير بنيامين الذي كان أخوه من أمه وأبيه ،فاعتقد أنهم قد غدروا بأخيه كما غدروا به فحصل ليوسف عليه السلام منهم نفرة، وكان يسأل عنهم ساعة فساعة عن أحوالهم ويسأل عن نسبهم ،وكمية إخوتهم فقالوا : كنا نحن اثني عشر أخا من أب واحد وعدة أمهات فغاب أحد إخوتنا عنا كما حكم الله تعالى، وبقي الآخر عند أبينا وجئناك نحن العشرة نرجو إحسان السلطان وإنعامه فقال لهم يوسف عليه السلام : بل أنتم من الجواسيس فقالوا :حاشى وكلا أن نكون من الجواسيس، فلما تحقق يوسف عليه السلام أن أخاه بنيامين باق (١٣- و) على السلامة،أمر أن تملأ جوالقهم[1] من الطعام، ويرد عليهم الثمن ،وشرط عليهم وأكد في الشرط عليهم أنهم إذا أرادوا الرجوع يأتوا ببنيامين معهم ،وأخذ شمعون رهينة عنده، فلما ساروا منزلا واحدا وجدوا المتاع الذي كانوا قد باعوه بالحنطة، بين الحنطة، فاستغربوا هذه الحالة واستنكروها.

[1]- الجواليق جمع جولق وهو وعاء معروف يصنع من الصوف لحمل الأمتعة. ابن منظور:لسان العرب،ج١٠،ص٣٦.

فلما وصلوا إلى خدمة يعقوب عليه السلام وحكوا له ما جرى عليهم في سفرهم وسردوا الحديث كما كان، اشتد عليه فراق بنيامين لأنه كان يخاف من غدرهم به ،فبقوا مدةً في الخصب والراحة وكلما سألوا يعقوب عليه السلام عن إرسال بنيامين معهم كان يأبى ذلك، فلما نفدت الغلة، واحتاجوا إلى الطعام ،فقال يعقوب عليه السلام :حيث والي مصر لا يقبل منكم العوض، فاحملوا شيئا من فاكهة الشام إليه واحملوا الثمن أيضا على وجه الاحتياط، فلعله قد كان غليظا عليكم في تلك النوبة، وخذوا معكم بنيامين، فلما ساروا إلى مصر ودخلوا البلد وفدوا إلى باب يوسف عليه السلام، واستأذنوا للدخول، فأذن لهم [1]،فلما دخلوا عليه وقع نظر يوسف عليه السلام على أخيه بنيامين حصل عنده قلق واضطراب، فدخل الخلوة وبكى بكاء شديداً، وأمر بإطلاق شمعون من الحبس، وطلب خواصه وأتباعه وأمر بأن تعمل ضيافة عظيمة وجمع إخوته ،فجاء أخوته بما كانوا قد حملوه على سبيل الهدية واعتذروا إليه، وكان يوسف عليه السلام لم يزل يستفسر عن أحوال يعقوب عليه السلام هل هو باق أم لا ،فلما عرف أن أباه باق فرح وجلس معهم، وتناول معهم الطعام والشراب، وكان بيده صاع[2]من الفضة منقوش بألوان النقوش، وكان من جملة النقوش التي عليها صورة فلك البروج، وكان كل ساعة ينقر الصاع بظفره، فإذا طن الصاع وضعه عند إذنه وقال: إن هذا الصاع يخبرني بأحوالكم،وأنسابكم، وما أنتم عليه، وما فعلتم ببعضكم البعض ، ثم شرع يحكي لهم ويسميهم بالترتيب وقال : أخاكم الذي غاب كان له أخ آخر يتلوه فأين هو؟ قالوا : هو هذا وأشاروا إلى بنيامين فأجلسه إلى جانبه، ثم أجلس سائر أخوته على الترتيب وينقر الصاع بين الحديث ويستمع إلى طنته، ويقول: قد قال لي كذا، وكذا ،ويجعل حجة الصاع، ويحكي أحوالهم، وهم يعتقدون أن الصاع يخبره بأحوالهم، ويتعجبون منه[3]، فلما أرادوا أن يرجعوا أمر يوسف عليه السلام حاجبه بأن يملأ جوالقهم بالطعام، ويضع صاع الفضة في رحل بنيامين ،ففعل الحاجب ما أمره به يوسف عليه السلام ، فلما رحلوا مرحلة أمر الحاجب بأن يركب مع جماعة من الفرسان وينطلق خلفهم، وإذا وصل إليهم يقول لهم: لم تجازون الحسنة بالسيئة ،فلما وصل إليهم الحاجب استوقفهم، وقال: يا قوم لم كافأتم الحسنة بالسيئة ؟ فقالوا: ماذا حدث؟ قال: قد سرقتم صاع الملك، أما علمتم أن ذلك الصاع تتعلق به عدة مصالح، ويستخرج به الضمائر والجنايا، وغيرها، فتألموا من ذلك الحديث وقالوا :حاشى وكلا أن يصدر منا مثل هذا الفعل، فإن ثبت أن أحدا قد أقدم على مثل هذا الفعل يستحق القتل، ويستحق للباقين

---

[1]- انظر. سورة يوسف الآية: ٥٨- ٦٨. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٧٠-٧٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك،مج١، ص٢١٠-٢١١.ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١١٢-١١٣. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٣٠٢-٣٠٤.

[2]- الصاع:هو الإناء الذي يشرب و يُكالُ به وقيل هو المكوك الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الأعاجم . ابن منظور:لسان العرب،ج٨،ص٢١٤.

[3]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١١٤.

الأسر، فقال الحاجب بل الذي يكون قد سرق الصاع يصير أسيراً،وأما الباقون فليس لنا عليهم سبيل ولا يدخلون في الذنب، ثم فتحوا الجوالق التي لهم إلى أن وصلوا إلى جوالق بنيامين، فوجدوا الصاع فيه.

فلما رأت الأخوة ذلك استغاثوا وشقوا جيوبهم[1] ورجعوا على يوسف عليه السلام، فعاتبهم يوسف على ذلك وقال لهم: أقدمتم على هذا الخزي، فتحيروا في ذلك، ولم يعيدوا الجواب ،وكان يهوذا أفصحهم، فشرع في الاعتذار وقال :علم الله أن ليس لنا خبر من هذا، إلا أن الله تعالى قدر هذه الحادثة، واعلم أنه يكون على هذا الوجه لا حيلة لنا مع قضاء الله تعالى وقدره ،فينبغي أن يحيط علم السلطان أن لنا أبا شيخا كبيرا ،وكنا نحن اثني عشر أخا والأخ الذي كان لهذا غاب وانقطع خبره، وقد اصطلى أبوه بنار فراقه وبكى على مفارقته حتى ابيضت عيناه ،وقد تعلق الشيخ بأخيه من أمه، وكنا قد اجتهدنا مع الشيخ قبل هذا حتى أرسله معنا ،وإني قد ضمنت لهذا الأخ من والدي على أن أوصله إلى خدمة الشيخ، وأخاف إن عاقبه السلطان أن يموت الشيخ من وحشته ،فإن رأى السلطان من المصلحة أن يحبسني مكانه ويرده إلى خدمة الشيخ، ويكسب ثوابه وثوابنا، ويكون سببا لثبات دولته، وإن لم يعمل السلطان ما نهينا إليه فكلنا نكون في الإثم مشتركين، فلما سمع يوسف كلام يهوذا تأوه وتنفس الصعداء حتى غشي عليه، وكاد يهلك فأتوا بأنواع العطور[2].

ذكر تاريخ بني إسرائيل

(١٤- ظ) الحمد لله الذي هو خالق الإنس والجان ومدبر الأفلاك والأكوان ومصرف الدهور والأزمان والصلاة والسلام على خير البرية محمد المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله أئمة الهدى وسلم ،أما بعد فحيث كنا قد التزمنا في فهرست هذا الكتاب وقسمناه إلى عدة الأبواب، وشرطنا فيه أننا نجمع جميع تواريخ القرون السالفة والأمم الماضية بحسب زعم كل طائفة ليكون هذا التاريخ شاملا لجميع التواريخ، لأن هذا الكتاب سميناه بجامع التواريخ,وتواريخ بني إسرائيل لما كانت بموجب نص التوراة الذي هو من جملة الوحي المنزل،والكتب السماوية،وهذه الطائفة كانوا في غاية

---

[1]- شق الجيوب جمع جيب بالجيم والموحدة وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس والمراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره وهو من علامات السخط . ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث،القاهرة ،ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م،ج٣،ص١٦٤.

[2]- انظر. سورة يوسف الآية:٦٩-٧٩. العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٧٤-٧٥. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١،ص٢١٢-٢١٤. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١،ص٣٠٥-٢٠٦.

الكثرة، وينقل عنهم حكايات غريبة وأحوال عجيبة، ولهذا التقدير وجب علينا أن نذكرهم ونذكر تاريخهم وللتلخيص نذكره في سبيل الإيجاز والاختصار، فنقول أولا: إنا قد ذكرنا في هذا التاريخ، وفي عدة مواضع أخرى أن من شروط المؤرخ أن يذكر تاريخ كل قوم، وكل طائفة بحسب زعمهم، وبموجب قولهم ولا يتصرف فيه برأيه، لا بزيادة ولا بنقصان، سواء ما كان قالوه حقاً،أو باطلا، وعهدة بطلان ذلك وحقيقته يكون على تلك الطائفة، لا على المؤرخ، وإنما ذكرنا هذا القول، لأن صحة ما وقع في هذا التاريخ أمر لا يناسب العقل، أو لا يكون له وجه ، تكون عهدته على الرواة والنقلة، ولا يكون هذا الضعيف مؤاخذا به ولا يحق لأحد أن يطعن فيه،بل يعذروه فيما قال ،ومع أن هذا التاريخ لم يجمعه أحد على الترتيب فإن هذا الضعيف قد اجتهد وسعى سعياً كثيراً حتى جمع مختصراً من تواريخ بني إسرائيل ،وبالغ في السؤال من جماعة كانوا عالمين بأحوال هذه الأمة، واستخرجوه من التوراة ومن كتب تواريخهم المتفرقة حتى تمكنت من هذا التاريخ على هذا الوجه.

فإذا عرفت هذا نقول تاريخ اليهود بحسب زعمهم يشمل على ذكر تاريخ خلق العالم من ابتداء الخلق إلى الآن ومدة ذلك خمسة آلاف سنة وخمس وستون سنة ، وتاريخ خلق العالم مبني على قاعدة حدوث العالم واليهود قد اتفقوا مع أهل الملل، والنحل والأديان على أن العالم حادث، وأن الله تعالى خلقه بأمره{ كن}[1]، وأوجده من العدم إلى الوجود في زمان مخصوص معلوم، وفي ستة أيام غير يوم السبت، وبدأ خلق العالم يوم الأحد، وانتهى يوم الجمعة كما يجيء مفصلا إن شاء الله تعالى .

ومعنى السبت في اللغة القطع والنوم، ولأجل هذا تنقطع حركات الحيوان فيه وأركان التاريخ عندهم أربعة:اسم ،وفعل، وزمان، ومكان .

والتاريخ التام هو أن يعلم فعل معلوم في زمان معلوم، بمكان معلوم، وقد جاء في تفسير آية من التوراة التي تسمى براشيث، ومعناها أن أول ما خلق الله السموات خلق الأركان الأربعة فيها[2]، فقوله أول يدل على الزمان ، وخلق يدل على الفعل , والله يدل على الاسم الدال على الشخص، والسموات على المكان ، وإنما يعتمد الناس في الأحكام الشرعية ويثقون بها بسبب هذه القيود الأربعة، فالزمان هو التاريخ، والمكان هو موضع الحدث ،والفعل هو الحالة المنسوبة إلى الأقوام الذين يذكر أسمائهم مع تعيين أشخاصهم، وأكثر الكتب المنزلة على اليهود هو على هذه القاعدة، وعلى هذا الشكل كما جاء أن الله تعالى كلم موسى بن عمران عليه السلام تارة في أرض مصر،وتارة في أرض طور سيناء ،وتارة في البرية ، وتارة في أرض كنعان ،وتارة في نواحي

---

[1]- قال تعالى : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }. سورة يس الآية: ٨٢ .

[2]- انظر العهد القديم (التوراة)،سفر التكوين،ص٣-٤.

مآب، وتارة بأردن، وكل هذه الآيات مقيدة بهذه القيود ، وهي أن تكون مقيدة بيوم كذا، وشهر كذا، وسنة كذا ومكان كذا ،وهذه الأركان الأربعة التي هي أمهات النصوص وأصولها على هذا السياق: تاريخ ،و أخبار، و أفعال، و حوادث.

- **الأصل الأول في التاريخ وفوائده .**
- **الأصل الثاني في الأخبار ونوادرها .**
- **الأصل الثالث في الأفعال ومصادرها .**
- **الأصل الرابع في الحوادث ولواحقها .**

------- والأخبار التي هي عبارة عن التاريخ الذي يحتمل الكذب والصدق والزيادة والنقصان،وانحصر التاريخ على الأخبار النادرة والآثار الصادرة ----- ولا تحتمل السهو والخبط والتحريف والتغير والتبديل بهذا السبب ، والتاريخ عند اليهود كما نذكره الآن، والسلام .

ذكر ولادة موسى عليه السلام

(١٥- و) بسبب أن المنجمين كانوا قد حلموا بأن مولودا يولد من بني إسرائيل يكون زوال ملك فرعون وهلاكه على يده ،فكان رجال بني إسرائيل يعتزلون من النساء خوفا من قوم فرعون وجورهم ،وأمر فرعون النساء القوابل بأنهن إذا رأين مولودا ذكرا يقتلونه وإن رأين أنثى أبقينها، فاعتذروا لفرعون من خوف الباري تعالى، وقلن أن نساء بني إسرائيل لا يحتجن إلينا لأنهن يعرفن أمور أنفسهن وهذه الواقعة (١٦- ظ) كانت بعد وفاة قهات، وكان عمر عمران في هذه السنة خمسا وسبعين سنة،وبقوا معذبين على هذه القاعدة اثنتي عشر سنة[١].

فلما بلغ عمر عمران مائة وسبع سنين ،وكان بعد لم يتزوج، ثم بعد هذا تزوج ابنة لاوي واسمها يوخابذ[٢]، وولدت مريم في تلك السنة ،وولد هارون في السنة الثالثة وولد موسى في السنة الثالثة عشرة، وقد بلغ سن عمران مائة وثلاث عشرة سنة وعمر يوخابذ مائة وثلاثون سنة .

---

[١]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر أخبار الأيام الأول،ص ٦١٦. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٢٧.
[٢]- كذا في الأصل ولكنها في التوراة (يوكابد). العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص٩٤.

ولما بلغ عمر موسى عليه السلام أربعا وعشرين سنة توفي والده عمران، ويعلم من هذا الحساب والتاريخ أن مابين إبراهيم وموسى عليهما السلام كان أربعمائة وعشرون سنة،وأما تفصيل ذلك التاريخ وشرحه فإنه على هذا الوجه ، كان مابين إبراهيم إلى إسحاق عليهما السلام مائة سنة، ومابين إسحاق ويعقوب ستون سنة ، وما بين لاوي ويعقوب ست وثمانون سنة ومابين لاوي وقهات اثنتان وعشرون سنة وبين قهات إلى عمران ثمان وثلاثون سنة، ومن عمران إلى موسى مائة وثلاث عشرة سنة وفي هذه السنة ولد موسى عليه السلام، ومجموع هذه السنين أربعمائة وعشرون سنة، ومابين موسى وداود عليهما السلام كان أربعمائة وست وثمانون سنة[1].

وروي أن الله سبحانه أوحى إلى إبراهيم أن أولادك يستأسرون مدة أربعمائة سنة،ويتغربون عن أوطانهم ،ويشقون غاية الشقاء ،ثم بعد انقضاء هذه المدة يتخلصون من أيدي الأعداء، وينتصرون عليهم ويظفرون بهم، وهذا كان قبل ولادة إسحاق عليه السلام بثلاثين سنة وإن اعتبرنا من ولادة إسحاق يكون أربعمائة سنة سواء فالتفاوت مابين زمان الإشارة إلى زمان البشارة ثلاثون سنة ، فلما ظهر الأمر واستمر على سبيل السياق تبين أن ما بين إسحاق ومقدم موسى عليهما السلام كان ثلاثمائة وعشرون سنة كما قد انضبط ، وبقي من مبلغ أربعمائة سنة ثمانون سنة من ابتداء ظهور موسى عليه السلام إلى زمان رسالته ومجيئه إلى فرعون، وهذا تمام خاتمة الثمانين .

فلما حملت يوخابذ بموسى عليه السلام، ولدته في مدة ستة أشهر ويومين ،و قيل أن ولادته كانت الثلاثاء سابع شهر آذار سنة ألفين وثلاثمائة وثمان وثمانون من ابتداء خلق آدم عليه السلام، فلما ولد موسى عليه السلام أخفته أمه ثلاثة شهور من عيون الناس، لأن لا يتنبه عليه قوم فرعون، فلما بلغ تسعة أشهر لم تتمكن من إخفائه فأخذت صفيحةً[2] من البردي قير ظاهرها وطين باطنها،ووضعت موسى فيها ورمته في النيل وقالت لأخته اتبعيه وانظري إلى ما ينتهي حاله، فاتفق أن ابنة فرعون كانت تتنزه على شط النيل، فوقع بصرها على تلك الصفيحة، فأمرت بإمساكها،فجاءوا بها إلى ابنة فرعون، ففتحتها فرأت مولودا ذكرا صبيح الوجه ففرحت برؤيته وأحبته، وأمرت بأن يحمل إلى الدار، وأتت بالدايات وكلما أتت من القبط بداية لم يلتقم موسى ثديها، ولم يشرب لبنها، فلما أخذ موسى من وجه الماء رأته أخته مريم فتبعته إلى دار ابنة فرعون، فلما رأت أن موسى عليه السلام لا يقبل ثدي نساء القبط ،قالت آتوه بداية عبرانية لعله يشرب لبنها ودلتهم على أم موسى عليه السلام ،فأتوا بها فشرب لبنها فتعينت الداية فأعطوها الأجرة المستوفاة إلى أن

---

[1]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٣١.

[2]- الصَفِيحةُ: كُلُّ عَرِيضٍ مِنْ حِجَارَةٍ أَو لَوْحٍ وَنَحْوَهُمَا. ابن منظور:لسان العرب ، مج٣،ص٥١٣.

بلغ موسى عليه السلام ست سنين فسماه فرعون مشه، ومشه في اللغة العبرية مشتق من الغريق ومعناه في اللغة العربية موسى[١].

ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون

وفي الجملة بقي موسى عليه السلام في دار فرعون مدة أربعين سنة كان مكرما عند فرعون مثل الولد، فخرج يوما من الدار ورأى قبطياً يضرب عبريا، فغار موسى عليه السلام على العبري ووكز[٢] موسى القبطي فمات، فلما رأى موسى أن القبطي مات، دفنه في التراب ودخل إلى الدار،فخرج يوما آخر ليستمع ما الخبر، وماذا يقولون عنه في البلد ،فرأى عبرانيين يختصمان فزجر موسى الظالم منهما فقال له العبري: أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري، فخاف موسى عليه السلام من هذا الحديث، فلما وصل خبر قتل موسى المصري إلى فرعون غضب لذلك،وأمر بقتل موسى قصاصا[٣]،فهرب موسى عليه السلام ،وسار إلى مدين[٤] وجلس عند الماء الذي كان الرعاة يردونها ويسقون منها دوابهم، فجاءت بنتان لشعيب عليه السلام وملأن الأحواض ليسقوا أغنامهم ،فجاء الرعاة وزاحموهن على الماء، فلما رأى موسى عليه السلام ذلك التعدي من الرعاة لم يتحمل وزجر الرعاة ومنعهم من السقي،وسقى مواشي بنات شعيب عليه السلام، فذهبت البنات إلى أبيهن، وذكرن قصة موسى عليه السلام ومساعدته لهن وشكرانه عندهن ،فأمر شعيب بطلب موسى عليه السلام فجيء به،فأكرمه شعيب وبقي عنده مدة مديدة وكان شعيب يتعهده، ويتفقده إلى أن زوجه بابنته الصغيرة[٥].ومعنى شعيب في اللغة العبرية يثرون[٦]، ونقل أن شعيب كان من ولد إبراهيم عليه السلام من مدين، وهو رابع الأولاد ممن ولدته قاطورا.

---

[١]- انظر. سورة طه الآية ٣٧-٣٩.العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص٨٧. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٣٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١٣٢-١٣٣.

[٢]- الوَكْزُ الدَّفْعُ والطَّعْنُ الوَكْزُ أَيضاً : الضَّرْبُ يقال : وَكَزَه بالعَصا ، إذا ضربَه بها، وقيل : هو الضَّرْبُ بجُمْعِ الكَفِّ على الذَّقن . الزبيدي:تاج العروس،ج١٥،ص٣٧٥.

[٣]- انظر. سورة القصص الآية ١٨-٢١.

[٤]- مدين: بلدة بالشام تقع بين تبوك و ساحل بحر القلزم، ومن مدين إلى أيلة خمس مراحل وهي أكبر من تبوك، وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب عليه السلام وقيل نسبة لمدين بن إبراهيم عليه السلام. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٧٢.

[٥]- انظر. سورة القصص الآية ٢٢-٢٨.

[٦]- ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص ١٥. أنظر. قاموس الكتاب المقدس : ج٨،ص ٧٠٢.

وولد لموسى عليه السلام منها ابن اسمه جرشوم[١]، وفي آخر هذه السنة مات فرعون مصر وكانت حالة اليهود قد انتهت إلى الغاية والنهاية في الظلم والجور عليهم من آل فرعون، فتضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى ليخلصهم من ذلك البلاء، فاستجاب الله دعائهم وخلصهم من تلك الشقاوة وقيود تلك المذلة مدة تسعة وثلاثين سنة وشهر وسبعة أيام ،وهذه المدة هي المدة التي مكثها موسى عند شعيب عليهما السلام، وكان موسى يرعى الأغنام على العادة المعهودة ويسير في تلك المسارح والمراعي والرياض ويرعى أحوال مواشيه، ويشق عليها إلى أن وصل وادي المقدس وهو جبل يسمى طور سينا[٢].

فلما وصل إلى تلك البقعة الشريفة بواسطة كمالات نفسه، وقوة استعداده اتصل بخطوة المناجاة، وكرامة الكلام ،والتكليم ،فرأى في الليلة المدلهمة[٣] نارا لطيفة شريفة صافية عن الكدر والدخان، تلتهب في أغصان شجرة[٤] وتدور حول تلك الشوكة ولا تحرقها، فتحير من تلك الحالة، وتلك النار وتعجب منها ،فأخذ يردد النظر إليها ويتحققها، فلما ارتفع الريب، وزالت الشبهة سمع صوتا من تلك النار يناديه بلسان فصيح:يا موسى، يا موسى فقال : (١٧- و) لبيك، فقال لا تقرب هذه البقعة تنح عنها، واخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، وكن رسولنا إلى فرعون، وسبباً لخروج بني إسرائيل من مصر، لأنهم قد تضرعوا إلينا فاستجبنا دعائهم، وأدركناهم وأغثناهم ونريد أن نخلصهم عن قريب من أيدي الفراعنة ومذلة أهل مصر،ونوصلهم إلى مرتبة علية ونجعلهم من المقربين[٥].

وقيل أن أول خطاب الله لموسى عليه السلام، كان في يوم الخميس خامس عشر نيسان، لأنه رأى النار ليلة الخامس عشر تلتهب في أعالي شجرة سنا[٦]،وكانت مظلمة معتمة، وكان سن موسى عليه السلام قد بلغ ثمانين سنة ،وهي سنة ألفين وأربعمائة وثمانية سنين من خلق آدم عليه السلام، لأن ولادة موسى كانت في سابع عشر آذار، ومن هذا التاريخ إلى منتصف نيسان كان تسع وسبعين سنة وسبعة وثلاثون يوماً، فحيث عرف موسى عليه السلام ضعف نفسه واستحقارها،اعتذر إلى حضرة الباري تعالى واستقال من حمل تلك الأثقال ،فبشره الله سبحانه وتعالى بإظهار المعجزة على

---

[١]- اسم عبري معناه (الغريب)وهو أسم بكر موسى .قاموس الكتاب المقدس،ص١٨٠.

[٢]- هو جبل في الشام قرب آيلة ناجى فيه موسى ربه.الحموي: معجم البلدان،ج٤،ص٤٨.

[٣]- اللَّيل إذا اسْوَدَّ، والدَّلْهَمُ المُظْلِمُ . الزبيدي:تاج العروس،ج٣٢،ص١٧١.

[٤]- قيل هي شجرة عوسج. وقيل شجرة عليق. وقيل شجرة عناب. وقيل سمرة. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن،ج١٩، ص ٥٧١.السيوطي: الدر المنثور،ج٦،ص٤١٢ . الشنقيطي :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج٣،ص٤٣٣.

[٥]- انظر. سورة القصص الآية: ٢٩-٣٥.

[٦]- السّنا : نبات يتداوى به، ولَهُ إذا يبس زجل .وفي ذلك قَالَ الشاعر :
كَأَن دويّ الْحَلي تَحت ثِيَابهَا ..... دويُّ السَّنا لَاقَى الريَاح الزعازعا. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث،ج٢،ص٢٠١.

يده، وتخصيصه بأمور تخرق العادة ،وأيده بتأييده، ومعاونته وتقويته ،ومساعدته ،وعززه باعتضاد هارون عليه السلام ،وأول المعجزات التي وهبها الله لموسى عليه السلام هو إصلاح الكلالة التي كانت في لسانه، وقلب العصا حية ،بحيث كلمن نظر إليها من الأعداء كان يموت في الحال، وأعطاه في يده نورا وبياضا من غير عيب ،وسلط على فرعون وقومه عشرة أنواع من البلاء وهذا تفصيلها: قلب ماء النيل وماء أوانيهم دما عبيطا مدة سبعة أيام , الثاني ظهور الضفدع والتمساح عليهم ، الثالث ظهور القمل وكثرته ،الرابع هجوم الوحوش عليهم من الصحاري ، الخامس حدوث الموت والوباء في مواشيهم ، السادس ظهور الدماء والقروح على أبدانهم ، السابع مجيء الجراد العظيم إلى ديارهم، الثامن حدوث الظلمة في هوائهم ثلاثة أيام بلياليها ،التاسع وقوع البرد العظيم المفرط ، العاشر موت البنات الأبكار دفعة واحدة بالموت ألاحتراقي في يوم واحد،ونزلت عليهم هذه البلايا في مدة خمس عشرة يوما[1].

وكان أول الشهور شهر أيار، وأخرها كان شهر نيسان، وكان موت الأبكار في منتصف نيسان، ومات في هذه الليلة جميع الأكابر والصدور،و أرباب الأموال والأملاك، والبكور من النساء دفعة واحدة ، بحيث لم يبق بيت من بيوت القبط لم يمت فيه أحد ،وسلمت بيوت بني إسرائيل من هذه البلايا،ومدة مكث موسى عليه السلام في بني إسرائيل ورسالته وإرشاده بني إسرائيل إلى الطريق المستقيم وتدبير أحوالهم وهدايتهم كانت إحدى وأربعين سنة ،أقام في السنة الأولى بمصر، وكان كل واحد من بني إسرائيل يشتغل في شغله ومعاشه ويقيمون مع قوم فرعون ،وكان هذا في سنة ثمانين من عهد موسى عليه السلام .

ذكر هلاك فرعون

ومكث في مصر أربعين سنة، وخرج من مصر في السنة الأولى من الأربعين، ونزل موضعا يسمى عين الشمس[2]،في الخامس عشر من نيسان ،وأما عدد بني إسرائيل فكان في ذلك الوقت

---

[1]- نقل بتصرف العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص٩٦-١٠٣.

[2]- تفرد بذكرها الهمذاني فقد وردت في التوراة باسم (سكوت) وأما عين شمس فمدينة قديمة تعود إلى زمن الفراعنة مما يلي جبل المقطم من البلاد المصرية وهي مدينة خربة فيها صنمان من حجارة: أحدهما مما يلي المشرق والآخر مما يلي المغرب، طول كل صنم منهما ست أذرع، فإذا نظر الناظر إليهما خيّل إليه أن الشرقي منهما يضحك والغربي يبكي، وبين عين شمس ومصر أربعة فراسخ. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٤٢٢.

ستمائة ألف من الرجال المحاربين والأبطال المقاتلين، وعمر كل واحد منهم مابين عشرين إلى خمسين، غير النساء، والأطفال، والمشايخ، والحشم ،والخدم، والأتباع ،غير المواشي والخيل والجمال، وقربوا القرابين في تلك الليلة وهو القربان المذكور بقربان الفصح ،وماتت الأبكار في نصف هذه الليلة، وخرج بنو إسرائيل في الصبح بعد أن جاء فرعون وأتباعه على موسى وهارون عليهما السلام، والتمسوا منهما أن لا يخرجوا من بين أظهرهم بالتضرع والخضوع،فلما عرفوا أنه لابد لهم من الخروج ودعوهما وأجاز لهم في الخروج، وخرج فرعون معهم إلى الهائعة[1] وسأل موسى أن يصفح عن الجرائم الصادرة منه ويعفو عنها، فلم يقبل موسى عليه السلام كلامه، واستعجل على المسير [2]،وقال لبني إسرائيل: سيروا بلا مهلة فاستعجل بنو إسرائيل وخبزوا لأجل الزاد خبزاً فطيراً، وسموا ذلك اليوم عيد الفطير، وإلى الآن يحيي اليهود هذه السنة في كل سنة ويخبزون الخبز الفطير، ويأكلونه أياماً ، ورحلوا ثلاث مراحل سيرا جدا في يوم وليلة إلى أن وصلوا إلى فوهة الحيرة[3]،ويسمى غار موسى ،فلما وصل خبر موسى وبني إسرائيل إلى فرعون ندم على رضاه لهم بالمسير حيث أنهم لم يذهبوا إلى بعيداً، فنادى في قومه بأن يركبوا في العسكر، فاجتمع سكان مصر جميعا وانطلقوا على إثر بني إسرائيل،فأدركوهم في عشرين من نيسان، واصطف عسكر فرعون وعسكر بني إسرائيل على طرف البحر وكان عسكر فرعون في غاية القوة، والشوكة، ومعهم الأسلحة الجيدة، والخيول النفيسة، وعسكر بني إسرائيل كانت تعاني من مشقة السفر والسير الشديد خافوا من فرعون وعسكره وأيسوا من أرواحهم، فاستغاثوا إلى موسى وتضرعوا واستعانوا بالله، فناجي موسى عليه السلام ربه وتضرع إليه بالدعاء، والتمس الخلاص من العدو، فاستجاب الله تعالى دعاء موسى، وبشره بالنصر والظفر، وانتزع الرعب والخوف من قلوبهم وأنزل السكينة والثبات عليها وقوى اعتصامهم بالعروة الوثقى، حتى هان عليهم ما كانوا قد عاينوه من شدائد فرعون عليهم،فأوحى الله سبحانه تعالى إلى موسى عليه السلام أن أضرب بعصاك البحر فضرب موسى عليه السلام بالعصا على البحر بأمر الله تعالى، فانشق البحر وصارت فيه اثني عشر طريقا، فدخل بنو إسرائيل في تلك الطرقات وعبروا البحر على وجه لم يتأذ منهم أحد، وعلم موسى

---

[1]- الهائعة والهَيعة هي الصوت الذي تَفْزَعُ منه وتخافُه من عدوّ وبه فسر قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس رجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنان فرَسِه في سبيل الله كلَّما سَمِعَ هَيْعة طارَ إِليها.ابن منظور: لسان العرب،ج٨،ص٣٧٨.

[2]- انظر. ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص٥١.

[3]- ورد في التوراة بلفظ (فم الحيروث):وهي محلة عند حدود مصر واقعة على البحر بين مجدل وبعل صفون ومحلها غير معروف على وجه التحديد ويعتقد أنها بين الجبل والبحيرات المرة. قاموس الكتاب المقدس،ص٤٧٨.

عليه السلام أن فرعون وأتباعه يغرقون ،وانشقاق البحر كان من جملة معجزات موسى عليه السلام وهذه المعجزة لا يجحدها أحد أبدا إلى يوم القيامة[1].

وقيل أن موسى عليه السلام لما ضرب العصا على البحر، فانفلق البحر على اثني عشر فلقة، وقام الماء كالحائط ،وكان في تلك الليلة هواء شديد وظلمة ولم يكن في تلك الطرق دخل من الهواء ليسهل سيرهم وسلوكهم فيها، وهذه المعجزة لم تجر على يد أحد من الأنبياء، وكان ذلك في يوم الأحد، الحادي والعشرين من نيسان آخر أيام عيد الفصح، وكان انشقاق البحر في نصف الليل فنزلت كل شعبة من الأسباط في طريق من تلك الطرق،وعبروا البحر (١٨- ظ) سالمين،وكانوا يعتقدون أنهم يسيرون على الدواب وقيل بأن الماء الذي كان بينهم ظهرت فيه كوى يشاهد بعضهم البعض وقيل أنهم كانوا يشاهدون وراء الماء كالمرآة ،وإنما كان كذلك لأنهم لما دخلوا البحر تكدر خاطرهم وظنوا أن أصحابهم قد غرقوا ،فلما وقف بعضهم على أحوال بعض استأنس بعضهم ببعض، واطمأنت قلوبهم .

فلما عبر بنو إسرائيل البحر اتبعهم فرعون وجنوده بالطرق الاثني عشر، وكان عبورهم وقت الصبح ،فلما انكشف الظلام و رأى عسكر القبط أن بني إسرائيل قد دخلوا البحر وخاضوه دخلوا خلفهم وإنما أرسل الله تلك الليلة الرياح والظلمة لتشتغل عسكر فرعون، بأنفسهم، ولا يتفرغوا للمقاتلة مع بني إسرائيل ، وقيل أن الانشقاق كان على هيئة قوس، وطرف البحر كالوتر له، فلما دخل عسكر فرعون خلف بني إسرائيل غافلين عما يحدث عليهم من الغرق وأنواع العذاب، فعزموا على الخروج لما توسطوا البحر فلم يتمكنوا من الرجوع فأحدث الله أمرين عجيبين ليكون سببا لهلاكهم ،أحدهما أنه أوهم خيول آل فرعون كأن خيول بني إسرائيل إناث فتبعتها الحصن والثاني بعث الله هواء حارا حتى ذوب تلك الثلوج التي كانت على وجه الماء، فاتصل السيل بماء البحر فغرق عسكر فرعون بأسره حتى لم يخلص منهم أحد أصلا، ثم بعد موتهم طفوا على وجه الماء، وكان بنو إسرائيل يشاهدون تلك الحالة، فزاد بسبب هذه المعجزة إيمان بني إسرائيل،واستحكم إخلاصهم وأقروا بنبوة موسى عليه السلام بالتحديد واعتقدوا فيه[2].

---

[1]- انظر. سورة الشعراء، الآية٥٢-٦٨.

[2]- انظر.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٤٨-٢٤٩. المسعودي:أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران،ص٢٧٧--٢٧٨ .ابن الأثير:الكامل في التاريخ، مج١،ص١٤٣-١٤٤ أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣٣.ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص٥٢-٥٦. ابن إياس:بدائع الزهور في وقائع الدهور،ص١١٨.

ذكر حال بني إسرائيل بعد هلاك فرعون

فلما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر ليلة الخميس الخامس عشر من شهر نيسان، وذبحوا القرابين، وخبزوا الفطير، وصار ذلك أول عيد اليهود، وشرط موسى عليه السلام عليهم أن يجعلوا هذا اليوم عيدا لهم في كل سنة، وأن يستمروا عليه،وقال: إن كل من كان غلف[1] من الضيوف والأجير، لا يأكل من هذا الفطير إلا بعد الإختتان، ووصاهم بالمحافظة على هذا الشهر بتعظيمه وأكل الفطير والقربان فيه وعيد الفصح ،وسمى هذا الشهر شهر الفراق أي لا ينفك عنهم دائما، ومن أجل صحة هذا الشهر في وقت واحد يوم الأحد يحتاج أن تكون سنتهم شمسية والشهور قمرية، ففي كل ثلاث سنين تكون سنتهم ثلاثة عشر شهرا، وفي السنة البسيطة تكون شهورهم اثني عشر شهرا ،ليقع شهر نيسان أبدا في وقت واحد وعيد الفطير يكون أبدا في ذلك الشهر[2].

ثم سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل من طرف البحر ثلاث مراحل في البر، ولم يكن معهم ماء وكانت الغمامة تظلهم بالنهار،وبالليل يظهر لهم عمود من نار قدام القوم ليهتدوا بها حتى وصلوا إلى موضع يسمى مرارة[3]،وكان به ماء مر فالتمسوا من موسى عليه السلام أن يدعو إلى الله تعالى ليجعل الماء عذبا ،فأرسل الله ملكا يرشده إلى أن يرمي فيه نوعا من النبات ليطيب طعم الماء ، وروى بعضهم أن النبات الذي رمي فيه كان ورق الدفلة[4]، وهذا أيضا من معجزات موسى عليه السلام ،حيث أنه عالج الماء المر بالدواء المر ليطيب ، وفي اليوم الخامس عشر من شهر أيار، نفد زادهم فاجتمعوا إلى موسى عليه السلام،وأظهروا عجزهم ومسكنتهم لموسى، فدعا الله سبحانه وتعالى ،فأمطر الله عليهم المن وكان ذلك أيضا يوم الأحد.

وكانوا كل يوم يمطرون بالمن إلا يوم السبت ،وكان يمطر في يوم الجمعة ما يكفيهم عن يومين، وكانوا يتناولون المن ويكفون به عن الطعام والشراب ، وكان ينزل عليهم في جميع تلك البرية التي سميت تيها وكان عرض تلك البرية وطولها مسيرة خمسة عشر يوما[5].

---

[1]- الأغلف هو الأغرل الذي لم يختن بعد. ابن منظور: لسان العرب،ج٩،ص٢٧١.

[2]- العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٠٥-١٠٦.

[3]- اسم عبري لموضع في برية شور و إيثام على بعد ثلاث أيام من موضع عبور بني إسرائيل. .قاموس الكتاب المقدس،ص٥٦١.

[4]- هو نبات معروف شبيه بورق اللوز إلا أنه أطول منه وأغلظ وأخشن وزهره شبيه بالورد الأحمر وحمله شبيه بالخرنوب الشامي . ابن البيطار(عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي،ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية ،بيروت،د.ط ، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م،ج٢،ص٣٧٢.

[5]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١١١-١١٢.

وفي الثالث والعشرين من شهر أيار تغلب العطش عليهم استغاثوا إلى موسى عليه السلام، فدعا الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اجمع أكابر بني إسرائيل ومشايخهم ورؤسائهم ومشاهيرهم واضرب بعصاك الصخرة الصماء، فانفجر منها الماء وكان الناس والدواب يشربون من ذلك الماء ويكفون به والماء كان يجري من الصخرة من الموضع الذي وصلت العصا إليه وصار فيها بقية، وصاروا إذا رحلوا يأخذون تلك الصخرة معهم ويقسموا الماء الذي كان يجري من تلك الصخرة على اثني عشر قسما، وأجروه إلى الأسباط الاثني عشر[1].

وكان بنو إسرائيل إذا ارتفع الغمام وأمطر يسيرون،وإذا سكن الغمام ينزلون ويتوطنون ويتخذون المنازل بحسب قربهم وبعدهم من موسى عليه السلام، وحضرة القدس،وكانوا يسمون تلك الصخرة حجر المسة[2]، وكانوا يضعونها عند عتبة القدس،وكان يجيء موسى عليه السلام، ويضربها بعصاه على القاعدة، ويجري الماء منها على القبائل على العادة بين الأسباط الاثني عشر، فامتازت معجزات موسى عليه السلام في هذا الفصل، والفصل الأول من معجزات سائر الأنبياء كانت تنقطع بعد زمان الحدوث، وكانت مخصوصة بمكان مخصوص وشخص معهود بخلاف معجزات موسى عليه السلام، فإنها كانت عامة، وكانت تمتد إلى زمان طويل مثل نزول المن فإنه كان يبقى مدة أربعين يوما ،ومن جملة معجزات موسى عليه السلام كان طي الأرض له، ونزول المن على قومه في غاية اللطافة، فإذا ارتفع النهار كان يستحيل وينحل، ويبقى في الأرض، وبالليل كان في صلابة وقوة بحيث كانوا يدقونه ويجعلونه كالدقيق،ويخبزون منه الخبز، فلو أرادوا اللحم كانوا يرمونه في القدر فيصير مثل اللحم ،وكلما أرادوا من الأطعمة فإنهم إذا ألقوه كان يستحيل إلى ذلك الطعام ،وكل واحد من الناس كان يجمع من المن مقدار مكيلة معينة لا أقل ولا أكثر،وكان وزن المكيلة سبعمائة درهماً،فلو أرادوا أن يجمعوا أكثر من مكيلة لم يكونوا متمكنين منه ،ولو جمعوا أقل منها لكان يكفيهم ذلك القدر،وكل من كان يبادر إلى جمعه في الصباح كان مقويا على نفسه قوته،وكل من جمع منه فوق ما يحتاج إليه للذخيرة كان ذلك الزائد كله يجيف، ويتعفن، ويقع فيه الدود إلا ذخيرة السبت فإنها كانت تبقى على حالها، لأنهم كانوا يجمعونها في صباح يوم الجمعة لكل شخص مكيالا.

والمعجزة الأخرى أن موسى عليه السلام أمر بأن تجمع مكيلة واحدة وجعلها في برنية وتحفظ في حضرة القدس، وكان بنو إسرائيل يشاهدون ذلك، وعبر عليهم على هذا النسق زمان طويل،

---

[1]- انظر. سورة البقرة، الآية ٦٠.

[2]- اسم عبر يعنى التجربة ويقال له أيضا (مريبة) وهو أسم المكان الذي جرب فيه الرب حين عطشوا في سيناء. قاموس الكتاب المقدس،ص٥٩٧.

وروى خلفهم عن سلفهم أن جميع بني إسرائيل في أربعين سنة كانوا يأكلون منه، وبقيت تلك البرنية في حضرة القدس مدة (١٩- و) سبعمائة سنة محفوظة وما نقص منه شيء، ولا تغير طعمه، مع أن المن سريع الاستحالة، وكذلك يبقى في البرية للفقراء عشرة أيام وخمسة عشر يوما،والمعجزة في أن الغمام كانت تظلهم بالسوية لئلا يتأذى أحد منهم من حرارة الشمس وبرودة الليل .

وأما المعجزة الأخرى فهي أن الحيوانات المؤذية في البرية كانت محيطة بهم من جميع الجهات وكانت ممنوعة من إيصال الأذى إلى أحد من بني إسرائيل، وانتشرت هذه المعجزات ،وهذه الأخبار في أقطار الأرض، واشتهرت وثبتت هيبة موسى عليه السلام وتعظيمه في قلوب العالمين، ولاسيما خبر فوران ينبوع الماء من تلك الصخرة على الدوام والاستمرار ليلا ونهارا، شهورا وسنين بين الأسباط الاثني عشر على السوية .قيل أن عرض تلك الصخرة وطولها كان ذراعا في ذراع وكانت في غاية المتانة والصلابة، وقد تحير جميع الناس في هذا ،لأن مثل هذه المعجزة لو كانت مرة واحدة لكانت عجيبة غريبة فكيف وقد استمرت شهورا وسنين على وتيرة واحدة .

والمعجزة الأخرى هي الوشاح [١]التي أمر موسى بعملها لأجل أخيه هارون عليهما السلام بإذن الله تعالى في ذلك العمل وسماها بدنة[٢] الحكم ،وعملت تلك البدنة من ثلاثة أشياء: من الذهب والصوف والكتان، وكتب عليها ثلاثة أسطر كل سطر منها بلون آخر، وذكر أسماء الأسباط الاثني عشر عليها، واسم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام[٣].

وبسبب هذه الأسماء فقد اندرج فيها الحروف المعجمة بأسرها،وكانت مكللة بأنواع الجواهر النفيسة وهذا الوشاح كانت له خاصية غريبة ،وهي أنه كان إذا حدث أمر من الأمور الصعبة من الحرب والانتقال والسفر وتولية حاكم ،وأرادوا أن يعرفوا كيفية تلك القضية وعاقبتها ،وهل يجوز له أن يفعلوا ذلك أم لا، لأن مثل هذه الأمور من المغيبات لا يمكن الوقوف عليها إلا بواسطة الوحي أو من جهة الأنبياء،وكانوا يأتون بذلك الملك، أو بذلك النبي الذي يريد أن يفعل القضية ويقدمونه على الجماعة، ويقف قدامه من العامة من آل هارون عليه السلام ،ويلبسونه ثمانية أثواب من أثواب هارون عليه السلام وأولاده ،ويأتون بالبدنة ويعلقونه في حلقه فوق تلك الأثواب، وكانت البدنة هي خاتم الثمانية ،ويأمرونه بالدعاء، فإذا دعا على هذه الهيئة استجاب الله دعائه من ملاقاة العدو أو

---

[١]- هو من حلي النساء وهو شيء ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحها. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٢، ص٤٣٨. ابن منظور: لسان العرب،ج٢،ص٦٣٢.

[٢]- البَدَنُ الدِّرع القصيرةُ وقيل الجُبَّةِ الصغيرةِ تشبيهاً بالدِّرع. ابن منظور: لسان العرب،ج١٣،ص٤٧.

[٣]- نظر العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٢٩.

النصرة عليه، والتوجه على مكان، أو لحادثة حدثت وكان الإمام يقول في نفسه :هل يفعل هذا الأمر أم لا؟ فكان يسمع صوتا بنعم، أو بلا ، وإن كان جواب السؤال كثيرا يظهر على الوشاح على هذه الصورة مثلا: لام ، من لاوي ، والراء ، من روبين .

وعلى هذا النسق كانت الحروف التي تكون جوابا لذلك تظهر من الوشاح على الترتيب،ويترتب على حواشي الوشاح جواب السؤال شيئا بعد شيء مثلا (م ح م د)كان يخرج بالترتيب محمد، واسم الملك واسم الأمير الألف والمائة والعشرة واسم شخص معين كما ذكرنا .

وبعد موت موسى عليه السلام كان يوشع بن نون قد تعلم هذه المعجزة ،فكان يخرج أسماء السراق،وأما واقعة أريحا التي بسببها وصل إلى بني إسرائيل مشقة عظيمة وتعب كثير، فظهر السارق بين مائة ألف نفس،فإنه بهذه المعجزة واسم ذلك السارق كان عاخان بن كرمي بن زارح بن يهوذا، وبهذا السبب استأصلوا ماله وآله واعترف السارق بذنبه ورد المال المسروق واعتبر بذلك جميع بني إسرائيل ،وكان المال المسروق لسانا مرصعا بأنواع الجواهر، وعمامة منسوجة من الذهب والجواهر، وقلادتان من الجواهر المنقوشة بصور مختلفة غريبة عجيبة[1]، وقد بقيت هذه المعجزة في بني إسرائيل مدة ألف سنة.

والمعجزة الأخرى وهي أن كل امرأة كانت تزني يأتي زوجها إلى هارون عليه السلام، أو إمام أخر من أولاد هارون وينهي إليه القصة، وكان في القدس حوض ماء لم يزل مقفولا بابه، فإذا أخبر الإمام بمثل هذا الخبر، كان يأخذ من ذلك الماء في شربة جديدة ويذر عليه شيئا من تراب القدس ويقرأ عليه شيئا، ويذكر اسم المرأة، ويناول المرأة الشربة فإن كانت زانية كانت في الحال تسود وينهر لحمها عن عظمها ،وإن كانت بريئة كانت تسلم من ذلك ،وتحبل في السنة بابن، ولو كانت عاقرة، فاتفق أن أختين كانت إحداهما تشبه الأخرى بحيث لم يكن يعرف إحداهما من الأخرى،فاتهم أحدهما زوجها وأنهى حالها إلى ولد هارون عليه السلام ،فبعثت الزانية أختها لشرب ذلك الماء وتسلم هي لأن أختها كانت بريئة، فانطلقت أختها وشربت ذلك الماء وسلمت ولم يصبها شيء، فلما وصلت إلى الزانية عانقتها الزانية، فلما وصلت رائحة ذلك الماء إليها أسودت في الحال وهرت واعتبر بها الناس ،وبقيت هذه المعجزة أيضا مدة ألف سنة[2].

والمعجزة الأخرى لموسى عليه السلام هي أن الشخص إذا قتل بين عدة ضياع وقرى ولم يعرف قاتله، كان يؤتى بعجل ويمسح تلك الأرض من الجهات الأربعة ويذبح ذلك العجل في الوسط،

[1]- انظر قصة عاخان بن كرمي. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع،ص٣٣٦-٣٣٧.
[2]- انظر .العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢١١-٢١٢.

ويلقى في الشمس إلى أن يتعفن ويقع فيه الدود فإذا صار دودا،فكان يسعى إلى ضيعة القاتل ،ولم يزل يدب ويسعى إلى أن كان يدخل الضيعة ويدب إلى دار القاتل ويتعلق فيظهر القاتل والسارق على هذا الوجه، وبقيت هذه المعجزة أيضا مدة مديدة .

وما نقل عن الأنبياء إما أن يكون معجزاً أو خارقاً للعادات ،وإما أن يكون حادثا ونقل على لسان الآحاد، والمعجزة تكون عامة،على أنه يكون في زمان مخصوص ومكان مخصوص، ولم يعهد ولا شوهد لأحد من الأنبياء مثل معجزات موسى عليه السلام .

ولنرجع إلى قصة بني إسرائيل، فلما نزل عليهم المن في البرية كانوا يعيشون به، فبعد خمس عشر يوما من نزول المن عليهم تركوا برية طور سينا ،وطافوا بالطور، وأقاموا هناك مدة، وكان نزولهم بوادي طور سينا يوم الأحد عشرة شهر سيوان، وهذا الشهر كان خامس من الشهور من خروجهم من مصر، فلما أصبحوا أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يأمر بني إسرائيل بأن يشتغلوا بالطهارات والعبادات ثلاثة أيام، ويظهروا الورع ويعتزلوا النساء فيها ويستعدوا لخطاب الله عز وجل جهرة ليلا، فلا يبقى لهم شك ولا شبهة في رسائلك يا موسى ، فلما بلغهم موسى عليه السلام إرادة الله تعالى،اشتغلوا ثلاثة أيام بالطهارة والعبادة،واعتزلوا عن النساء ثلاثة أيام .(٢٠ظ)،ثم بعد ثلاثة أيام جاء موسى عليه السلام من ميقات ربه ،وبشرهم بالسعادة العظمى، فلما كان صبح اليوم الرابع وهو السادس من الشهر المذكور رأوا نارا عظيمة قد أحاطت بالطور من جميع الأطراف والجهات وارتفعت إلى أن بلغت أعالي الطور، وظلل عليها الغمام، وظهرت أهوال عظيمة، وأحوال مختلفة، وأصوات مخيفة، بحيث دهش الناس ووقعت عليهم الرعشة والفزع من شدة الرعد، والبرق، والصواعق، والزلازل، وسمعت أصوات شديدة مترادفة وبدت أشعة متلألئة،ورأوا أن موسى عليه السلام يدخل ويخرج في تلك الأحوال ويعاين تلك العجائب ، وسمع خطاب الله عز وجل مفصلا غير مخصوص بأحد والكلمات التي سمعت في ذلك اليوم كانت عدتها عشرة، وهي أمهات دينهم، وأصول شريعتهم وهذا تفصيلها ومعناها والسلام[1]:

- **الأولى : أنا الله ربكم الواحد .**
- **الثانية : لا يكون لكم معبودا دوني .**
- **الثالثة : أذكر يوم السبت وأحفظه.**
- **الرابعة : لا تحلف بالله ربك كاذبا .**

[1]- نقل بتصرف .العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١١٦.

- **الخامسة : والديك أكرمهما .**
- **السادسة : لا تقتل النفس .**
- **السابعة : لا تزني .**
- **الثامنة : لا تسرق .**
- **التاسعة : لا تشهد بشهادة الزور .**
- **العاشرة : لا تحسد أحدا على رزقه، وزوجته ،وما يملك.**

وأما بنو إسرائيل فإنهم لم يسمعوا من هذه العشرة إلا كلمتين بحيث تمكنوا من حفظهما ونسوا الباقي، بحيث لم يذكروا منها شيئا وذلك من أجل الدهشة والخوف الذي أصابهم هناك،والصواعق والرعد، والبرق المتواتر التي كانت هناك، وكانوا قد نسوا من أزواجهم، ثم قالوا: يا موسى إنا منقادون لك وممتثلون لما تأمرنا به ونحن قوم ضعفاء ليس لنا طاقة سماع كلام الله تعالى، أنت بلغنا كلام الله على عادتك الجارية فينا ،ثم أمرهم موسى عليه السلام أن يرجعوا، ويقال أن تلك النار بقيت على رأس ذلك الجبل أربعين سنة على قرارها[1].

ذكر عبادة بني إسرائيل للعجل

ثم في اليوم السابع من شهر سيوان رجع موسى عليه السلام إلى الطور وأقام هناك أربعين يوما، فبعث الله إليه لوحين من الجواهر وكانت الكلمات العشرة مكتوبة عليها من الجانبين, وكان نزول الألواح في اليوم السابع عشر من تموز ونزول الألواح كان موافقا وقت عبادتهم العجل، فلما ظهر العجل فيهم ارتد قوم من خوارج مصر ووقع الناس في خبط، وقيل ،وقال ، فلما نزل موسى عليه السلام من الطور وسمع بعبادة العجل غضب غضبا شديدا، واحتد ورأى أن حروف الألواح تتطاير من الألواح وتصعد على الهواء كالذرات،حتى بقيت الألواح خالية من الحروف كالجسد الخالي من الروح، والسفينة الخالية من نوح ،وثقلت الألواح في يد موسى عليه السلام حيث لم يتمكن من حملها، فسقطت من يده، وانكسرت ،ثم أمر موسى عليه السلام بإحضار العجل وحرقه وذره في الماء، وأمر بني إسرائيل بشرب ذلك الماء، فمن كان مؤمنا موحدا كان يسلم من خطره، ومن كان

[1]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١١٧-١١٨.

منافقا يظهر على لسانه نقطة من الذهب[1]،ثم أمر السبط الخاص، وهم أولاد لاوي، وغيرهم، بأن يسلوا السيوف ومن رأوا على لسانه نقطة من الذهب ضربوا عنقه ولم يشفقوا عليه، وقتل في ذلك اليوم بسبب هذه الفتنة ثلاثة آلاف رجل.

ثم عاد موسى عليه السلام في اليوم الثامن عشر من تموز إلى ميقات ربه وشفع في أمته، وأقام هناك أربعين يوما ،فقبل الله سبحانه وتعالى شفاعة موسى عليه السلام في قومه وغفر لهم ،ثم نزل من جبل الطور، ثم في اليوم العشرين من آب رجع على ميقات ربه وصعد الطور وأقام به أربعين يوما ودعا الله وتضرع إليه والتمس عوض الألواح المكسرة، فتقبل الله دعائه وأنزل عليه لوحين من الزمرد الأخضر(٢١- و) مكتوب عليها الكلمات العشرة على ما سمعها في اليوم الذي كان موقع القوم وموقف الحشر[2]،وكان نزول هذه الألواح يوم العاشر من تشرين الأول، وهذا يوم كبير يسمى يوم الكبون[3]،فكانت إقامة موسى عليه السلام في جبل الطور مائة وعشرين يوما على التوالي،أول هذه المدة السابع من شهر سيوان وآخرها عاشر تشرين الأول، وزاد على المائة والعشرين و أربعة أيام يومان منها في مقابله نقصان،تموز وأيلول، واليومان الآخران في مقابله نزول موسى وصعوده على الطور .

وهاهنا نكتة غريبة وهي أن موسى عليه السلام كانت جميع أفعاله وأقواله خارقة العادات، وقسم المائة والعشرين على ثلاثة أقسام وعمل في كل قسم أربعينية على هيئة مخصوصة ،و ففي المرة الأولى لما صعد الطور وقعد في موضع واحد لم يتحرك من مكانه، وفي النوبة الثانية التي تسمى أربعينية الشفاعة سجد سجدة واحدة إلى انقضاء المدة، وفي النوبة وقف على صخرة واحدة إلى انقضاء أربعين يوما ،ولم يتحرك من مكانه .

---

[1]- انظر.سورة البقرة، الآية: ٩١-٩٣. سورة الأعراف، الآية١٤٢-١٥٢. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٣٧-١٣٨.

[2]- انظر. سورة الأعراف، الآية:١٥٣-١٥٥. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٤٠. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٥١-٢٥٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١٤٥-١٤٨. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٣٠.

[3]- أسم عبري معناه المحاط أو الملفوف. قاموس الكتاب المقدس،ص٥١٨.

ذكر أول سنة حافظ عليها بنو إسرائيل

نقل أن أول سنة حافظ بنو إسرائيل عليها كان اليوم الذي طلبوا فيه اللحم ، فلما صار آخر النهار أمطروا بالسلوى وهو السمان، وفي اليوم الثاني منه وهو يوم الأحد رحلوا من منازلهم إلى رفيديم[١]،وحصل لهم الملاقاة مع العمالقة، ووقعت الحرب بينهم،فبعث موسى عليه السلام يوشع بن نون وكان من تلامذة موسى عليه السلام مع عسكر من بني إسرائيل ليحاربوا العمالقة فحاربوهم وقتلوهم ، فلما أتى موسى عليه السلام بالألواح مرة ثانية وجمع بني إسرائيل وقرأ عليهم أحكام الشرع، وبين الفرائض والنوافل على التفصيل ،وكانت ستمائة وثلاث عشرة وصية تشتمل على الأوامر والنواهي الشرعية، فعاهدهم عليها وعلى محافظتها والعمل بها وقلدهم بها[٢].

ذكر تابوت السكينة[٣]

وفي الشهر السابع من هذه السنة قال الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى اصنع صندوقا وضع فيه الألواح ،وابني عليه قبة[٤] يكون طولها ثلاثون ذراعا، وابني حول تلك القبة

---

[١]- اسم عبري معناه (متسعات)وهي محلة لبني إسرائيل بين برية سين وسيناء . قاموس الكتاب المقدس،ص٢٧٨.

[٢]- انظر.العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٦٣-٢٦٧.

[٣]- قال الله تعالى { إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وهارون تحمله الملائكة}. والتابوت لغةً هوالصندوق، وقد اختلف العلماء في تفسيره ، وقد كان موسى عليه السلام حينما عاد من لقاء ربه ووجد قومه يعبدون العجل ألقى الألواح التي فيها التوراة من شدة غضبه فتكسرت ، وبعد ذلك عاد وجمع ما بقي منها في ذلك التابوت وبعد وفاة موسي وهارون وضعوا فيه شيء من أثرهما وجعل الموكل به يوشع بن نون ، وكان بنو إسرئيل إذا حاربوا قوما حمله جماعة منهم ويتقدمون به أمام الجيش فينصرهم الله على أعدائهم ثم نزعه الله منهم وسلط عليهم أعدائهم لما جحدوا وكفروا بنعمته عليهم، فلما طال عليهم العهد قالوا لنبي منهم اجعل لنا ملكا نقاتل في سبيل الله تحت لوائه فأجابهم أن الله قد جعل طالوت ملكا عليهم فحسدوه لأنه كان رجلاً فقيراً قليل الشأن بينهم و أكثروا الاعتراض فقال لهم نبيهم بأن الله هو من أختاره وبرهان ملكه عودة التابوت لهم . وقيل أيضا أن مما فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء وأن المهدي المنتظر الذي سيخرج في أخر الزمان سيستخرج هذا التابوت من غار في مدينة أنطاكيا . أنظر.سورة البقرة، الآية٢٤٨. البقاعي:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج١ص٤٧٤.

[٤]- ويقال لها قبة الزمان وقد قيل أن الله أمر موسى عليه السلام بصنعها من خشب الشمشار وكانت ذلك قبل عبادتهم العجل وكانت لهم كالكعبة. ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص١٠٢-١٠٣.

سرادقا ستمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا ،وزين فلك القبة بالديباج المنقوشة ،وعلق على أبوابها الستائر المنسوجة بالذهب، وعمل لها أواني من الذهب والفضة،ورصع ذلك الصندوق بأنواع الجواهر النفيسة، ويلبس بالديباج المذهب ، فإذا تم ذلك الهيكل الشريف يسمى بيت المقدس،وذلك المقام يكون برسم الأئمة من آل هارون عليه السلام ،وابني في ذلك الموضع موضع أخر لأجل ذبح القرابين، وبخر الموضع بأنواع البخور الطيبة[1]،فبنى موسى عليه السلام بموجب الأمر الرباني تلك القبة، وفرغ من بنائها في مدة ستة أشهر.

وفي غرة السنة الثانية من مدة خروج بني إسرائيل من مصر،أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يرتب هذا الموضع،ويصنع له أواني وآلات على وجه مخصوص معين وترتيب مرتب، وتزينه بأنواع الزينة ، فلما فرغ من ترتيب تلك البقعة المباركة الشريفة أنزل الله تعالى السكينة على شكل نور ساطع على تلك القبة وأحاط به بحيث امتلأ ذلك البيت من النور، وأحاطت غمامة بيضاء حول ذلك النور،وتلألأت الأشعة بحيث امتنع الدخول إلى داخل القبة والخروج منها ،وقيل حتى أن موسى عليه السلام لم يتمكن من الدخول في القبة في تلك الحالة، ثم أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يذبحوا القرابين في اليوم الثالث والعشرين شهر آذار، وشرع هو أيضا بنفسه وذبح القرابين سبعة أيام، وفي صباح يوم الثامن من شهر نيسان طلب موسى هارون عليهما السلام، وكان هارون إمام بني إسرائيل، واختاره الله تعالى وجعله خليفته وإمام وقته في بني إسرائيل ،وجعل الإمامة والخلافة في أولاده ونسله إلى انقضاء الأيام بطنا بعد بطن، وعقبا بعد عقب، وفوض إليه الولاية والعزل، والذبح، والقرابين، والتبخير، ولبس الثياب المخصوصة، والمسح بدهن بيت المقدس، وكل هذا كان بأمر الله تعالى، وخصه الله تعالى بأربع وعشرين درجة من النبوة ، وأعطاه من أنواع الكرامات بمحضر من بني إسرائيل، وبعده تلك المرتبة كانت لأولاد هارون عليه السلام ممن يكون له صلاحية الإمام والنيابة ، وشرطان لا يكون لأحد من أسباط بني إسرائيل معه مدخل ، ولا مع أولاده هي الإمامة والرئاسة ولا ينازعهم فيها منازع ، فإن نازعهم فيها أحد يجب قتله، وفي هذا اليوم كان جميع مشاهير الأسباط الاثني عشر قد حضروا، فلما سمعوا كلام موسى عليه السلام أطاعوه وتقدموا إليه بأنواع القرابين والنحورات ، وأول التشريفات التي كانت تتعلق بهذا اليوم، هو أنه يوم الأحد، وهو اليوم الذي خلق الله تعالى فيه العالم، وأول الأسبوع، وغرة الشهر، وأول السنة، وأول يوم تشرف بنو إسرائيل بحضورهم بالمقام الشريف المقدس وفرحوا به ،وأول أشارة لهؤلاء القوم في تمكينهم في الأرض ، وأول يوم أجمع الناس فيه ونصبوا معابد وزينوا فيه هيكل بيت المقدس، وأول يوم شاهد بنو إسرائيل السكينة الإلهية،وأول يوم ذبحوا فيه القرابين لأجل ولاية

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٢٤-١٢٨.

هارون، وإمامته،وإمامة أولاده ، وأول يوم نزلت نار القدس من السماء وأكلت القرابين بحيث شاهد ذلك جميع الناس ،وفرحوا بذلك فرحا عظيما وظهرت في وجههم البشاشة ولم يحصل لهم من المنى في وقت من الأوقات مثل ذلك الوقت[١].

وحيث حصل لبني إسرائيل في ذلك اليوم مثل هذه الفرحة والسرور، وتشرفوا بهذا الشرف،واستجدوا الفرح والمسرة، ووصلت نفس هارون عليه السلام إلى ما كانت تتمناه من غاية الأماني،وكان لهارون عليه السلام في ذلك الوقت أولاد بنين وبنات، وكان الابن الكبير والذي يتلوه مستعدين للخلافة والولاية ، وكان يقول أحدهما هارون أبي ويفتخر، وكان الآخر يقول موسى عمي، ويتباهى بذلك ، وفي هذه الحالة نزلت النار من السماء وأكلت القرابين وفرح الناس بذلك وعلت أصواتهم ودفعتهم بسبب ذلك، واستأذن هذان الابنان وهما : ناداب، وأبيهو أباهما في أن يأخذا مجمرة ويبخرا بنوع من البخور،فأذن لهما بذلك فأخذا مجمرة ووضعا شيئا من البخور، وجاءا بنار غير نار القدس، ووضعوا فيها النار فصعدت رائحة تلك النار إلى دماغهما فاحترقا فماتا في الحال من غير أن يحترق(٢٢- ظ) ظاهرهما، وإنما احترق باطنهما، فانقلبت الأفراح أحزانا، والسرور شرورا، والعرس مأتما وسلم موسى وهارون عليهما السلام الأمر إلى الله، ورضيا بما قضى، ودفنا هاذين الاثنين بثيابهما.

وفي اليوم الثاني طلب موسى عليه السلام ألعازار بن هارون، وخلفه على القوم عوضا عن الأخوين المحترقين[٢]،وفي اليوم الثالث أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يأمر بني إسرائيل بأن يحصّلوا بقرة صفراء ،فاقع لونها إلى صفرة، تميل إلى الحمرة، بحيث يكون مشبعا، وتكون سالمة من العيوب، وفي كل واحد من هذه الصفات سر مكنون، ولا تكون قد عملت من يوم ولادتها إلى يوم ذبحها، ولم تكن قد زرعت في موضع غير طاهر، ويكون جلدها صافياً، ويذبحها أمام نسل هارون عليه السلام ويحرقها ويحتفظ برمادها لينظف به بنو إسرائيل من النجاسات الميتة، وهذه الخصلة ببني إسرائيل، وهذه الحالة صارت سنة بينهم قبل زمان حج بني إسرائيل[٣].

---

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١٥٢-١٥٣.

[٢]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر اللاويين،ص١٦٥-١٦٦-١٦٧.

[٣]- ذكر الله تعالى قصة بقرة بني إسرائيل لكن ليس على هذا النسق. سورة البقرة الآية: ٦٦-٧٣ . العهد القديم (التوراة)،سفر اللاويين،ص١٧٩-١٨١.

ذكر يوم الفصح

ووجب في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر قربان الفصح،ووصى موسى عليه السلام في المحافظة عليه والتأييد والتخليد لحكمه ، وفي غرة الشهر الثاني من هذه السنة أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يثبت أسامي الرجال الذين لهم المقاتلة في الدساتير، بحيث يكون عمرهم مابين عشرين وخمسين وعددهم كان ستمائة وثلاثة ألاف وخمسمائة رجل من المقاتلة[١]،وفي اليوم الرابع من هذا الشهر وهو شهر أيار قيل أنه ثبت أن من فاته ذبح الفصح يقضيه، وسبب فوات الفصح يكون علتان إحداهما أن يكون الشخص نجسا بسبب غسل الميت، أو يكون الشخص مسافراً، فعلمهم في منتصف أيار أنهم إذا فاتهم قربان الفصح كيف يقضونه [٢].

ذكر وصول شعيب إلى بني إسرائيل

وفي اليوم العاشر من الشهر الثاني من السنة الثانية ارتفعت الغمامة، واستعد بنو إسرائيل للرحلة، لأن بني إسرائيل كانت رحلتهم وإقامتهم منوطة بارتفاع الغمامة وانحطاطها، فارتحلوا من برية سنين، فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى برية فاران[٣]، فانكشفت الغمامة هناك فنزلوا أيضا في تلك البرية [٤].وفي هذا الوقت وصل شعيب النبي إلى موسى عليهما السلام وحصل بينهما الملاقاة، لأنه كان قد وصل الخبر إليه أنه قد خرج من مصر فلما اجتمعا سأل شعيب موسى عليهما السلام عما هو عليه من أحواله وأحول قومه،فحكا له موسى عليه السلام ما جرى له من يوم خروجه من منزله إلى يوم وصوله إليه، وقيل أن اجتماع شعيب وموسى عليهما السلام كان في العشرين من شهر نيسان، وخروجه كان من مصر يوم الخامس عشر من نيسان ،وحكا له شق البحر، ومحاربة العماليق، واستماع خطاب الباري تعالى، وتقدس صريحا يوم الموقف الأعظم واستماع صوت الله

---

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٠١-٢٠٣.

[٢]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٢٠.

[٣]- برية تقع جنوب يهوذا بين جبال سيناء وكنعان شمال إيلات التي كانت تسمى (بطمة فاران) .قاموس الكتاب المقدس،ص٤٥٦.

[٤]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٢١.

تعالى لأجل بناء بيت العبادة وذبح القرابين وبناء الهيكل لأجل تبخير البخور، وتلك العزة والتمكين والقوة التي أعطاه الله تعالى .

فلما سمع شعيب هذه الأخبار وتحققها عزم على المجيء إلى موسى عليهما السلام، وأخذ زوجة موسى الصغيرة وولديها جرشوم، وأليعازر، وجاء بهما إلى موسى يبشره بشارة قدومهم، فلما سمع موسى عليه السلام بمقدمهم خرج إلى استقبالهم وفرح بوصولهم فرحاً عظيماً،فأنزلهم منزلا مكرما، وأفاض عليهم الخيرات فشكر الله تعالى عند ذلك شعيب عليه السلام ،وأقر بوحدانية الله وعظمته، واعترف بعدله وقدرته ،وأمر موسى عليه السلام بأن تعمل ضيافة عظيمة ،وطلب هارون الإمام وأحبار الأسباط وأحضرهم في تلك الضيافة، ولم يحضر موسى بنفسه فتغير شعيب بسبب تخلف موسى عليهما السلام، فأرسل إليه موسى يعتذر إليه أني مشغول بترتيب القوم وتدبيرهم ، فلما كان تدبير جميع بني إسرائيل على موسى عليه السلام وحده كان يسأم منهم ويضجر ،فأمره شعيب بأن يرتب لعسكره إمارة الألف والمائة والعشرة وأن يرتب على كل سرية رجلا جلدا من أجلاد الحرب، صاحب رأي وتدبير وكياسة، ليعاونوه في حدوث الحادثة عند الاحتياج ،ويحافظوا على العسكر وأحوال الحرب، فلم يتجاوز موسى من إشارة شعيب عليهما السلام فيما قال، وبقي شعيب مدة شهر في صحبة موسى عليهما السلام، ثم سافر، والسلام[1].

ذكر عتاب الله لهارون ومريم أخوة موسى

نقل أن بني إسرائيل بقوا في برية سنين مدة أحد عشر شهرا وعشرين يوما وفي هذه المدة التزموا الفرائض ومجموعها ستمائة وثلاث عشرة فريضة ،وتقبلوها على أنفسهم وكان هذا من مستهل سيوان من الشهر الثالث من السنة الأولى مدة عشرين يوما إلى أيار، وهو الشهر الثاني من السنة الثانية، ثم جاءت الغمامة فاستعد بنو إسرائيل للرحلة، فأراد موسى أن يرحل شعيب عليهما السلام معهم عدة مراحل ،فلم يوافق شعيب على ذلك،فودعه موسى عليهما السلام ورجع شعيب إلى وطنه المألوف.

وكان بنو إسرائيل يسيرون على هيأتهم على عقب الغمامة بالترتيب مع رحلهم وعسكرهم، وكان مسكن القدس في وسطهم، والهيكل، والصندوق في المركز، وجميع الناس يسيرون حول

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر الخروج،ص١١٤-١١٥.

الهيكل والصندوق ،فنزلت الغمامة ببرية فاران، فنزل بنو إسرائيل أيضا هناك ،فاتفق أن مريم أخت موسى وأخاه هارون عليهما السلام كانا قد اغتابا موسى في الخلوة،وأساءا به الظن ،وكان موسى عليه السلام بريئا من تلك التهمة، وقالا نحن أيضا مثل موسى، فناداهما الله تعالى في حضرة القدس وقال: يا مساكين مهما أنكم كنتم مخصوصين بعنايتي ومغفرتي، أنتم كيف تشبهون أنفسكم بعبدي موسى لأنه قد أعطي أشياء لم تعط لنبي، أولا إنا خاطبنا الأنبياء إما بواسطة الملائكة،أو بواسطة الإلهام، أو بواسطة الرؤيا في المنام ،إلا موسى فإنا شافهناه وكلمناه مكالمة جهارا، فلم لا يحفظ كل واحد منكم حقه وحرمته، ولم تتجاوزون حدكم ،فارتفع الغمام من فوق رؤوسهم في الحال وانفصل الخطاب، فخجل هارون في الحال فاستعفا واستغفر، فعفا الله عنه واعتذر إلى أخيه موسى عليهما السلام،فقبل موسى عذره وشفع هارون لأجل أخته مريم حتى يشفع لها موسى عليه السلام إلى الله عز وجل ليتجاوز عن ذنبها ويزيل المرض الذي كان بها قد حدث[1]،فعفا موسى عنها ودعا لها، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن بعد سبعة أيام يزول(٢٣- و) مرضها فاختفت مريم من الناس حتى شفيت من ألمها[2].

ذكر قصة التيه

ثم اختار موسى عليه السلام اثني عشر نفسا من أكابر بني إسرائيل ورؤسائهم، ليبعث بهم إلى الشام برسم الجواسيس، ويستعلمون الأحوال[3]،وإذا شاهدوا شيئا ينهوه إلى موسى عليه السلام، فأقام بنو إسرائيل في برية فاران ثلاثة أيام، وبعثوا الجواسيس إلى الشام ،وعادوا إلى موسى عليه السلام بعد أربعين يوما، وهو اليوم الثامن من شهر آب وقالوا كلاما مموها مزخرفا يوجب ضعف النفس، إلا يوشع بن نون،وكاليب بن يفنة[4]، فإنهما أديا الأمانة ومدحوا أرض الشام وجميع ما كانوا شاهدوه حكوه لهم بعينه، فضجت بنو إسرائيل بالبكاء والصراخ ،واستغاثوا إلى موسى عليه السلام ،وكان هذا في الليلة التاسعة من شهر آب، فسمعوا مناديا من السماء يقول لهم: يا ضعفاء يا من ليس لهم يقين قد بكيتم هذه الليلة من غير سبب،كما يفعل المجانين، فسوف أجعل البكاء،وسما لكم،ولعقبكم ويصير كالواجب عليكم وعلى عقبكم ونسلكم في كل سنة، وأقسم بالله تعالى وباسمه الأعظم أن الجماعة الذين

---

[1]- هو مرض البرص. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٣٢.

[2]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٢٥.

[3]- أنظر سورة المائدة الآية :١٢-١٣.

[4]-هو كاليب بن يفنة القنزي مقدم سبط يهوذا وأحد النقباء الاثني عشر الذين أرسلهم موسى ليستطلعوا أرض كنعان . قاموس الكتاب المقدس،ص٥١٧.

كفروا النعم، ولم يشكروا الله، أنهم لا يصلون إلى بلاد الشام،ولا يدخلونها إلا يوشع بن نون،وكاليب ابن يفنة، وحكم على الباقين بالتيه والفناء إلى انقضاء مدة أربعين سنة في تلك البرية [1]، والجواسيس الذين كانوا قد كذبوا انفصلت أعضائهم بعضها من بعض وذابت في الحال وسالت كما يسيل الماء معاقبة على ما أتوا بالكذب والتمويه، وبقوا في تلك البرية في الجلاء ،والعناء، والبلاء ،والفناء مأخوذين معاقبين على جرمهم وكانوا يتفانون ويهلكون يوما بعد يوم وشهرا، بعد شهر وسنة بعد سنة إلى أن هلكوا جميعا في مدة ست وثلاثين سنة وقضى الله عليهم ما كان مقدرا ،ونقل أن يوم حرم الله الدخول إلى الشام على بني إسرائيل خرب بيت المقدس ، ونقل أن بيت المقدس خرب مرة أخرى فأوجب ذلك عليهم الحزن والتأسف والتحسر، وكل ذلك كان جزاء على ما أتوا به من كفران النعم[2].

ذكر قصة قارون[3]

ونقل أن في سابع شهر أيلول الذي كان آخر السنة الثانية خسف بقارح وهو قارون، وسبب الخسف كان ،أن قارون طغى على موسى وهارون عليهما السلام بكثرة المال، ووفرة الثروة ،وطلب التقدم والدرجة العالية والإمامة الهارونية، ونازع موسى وهارون عليهما السلام في ذلك، واتفق معه داثان ، و أبيرام[4]،ومن رؤساء بني إسرائيل مقدار مائتين وخمسين نفرا، فجمعهم موسى عليه السلام ووعظهم وبالغ في نصيحتهم، فلم يقبلوا نصيحته ولا أفادت معهم شيئا ،وأوقعهم غرور المال وكثرة المنال في الضلالة والغواية,ثم بعد ذلك دعا موسى عليه السلام عليهم فخسف الله بهم الأرض بما كان معهم من المال والدواب والأثاث والأقمشة والأمتعة وإلى الآن هم ينزلون إلى تخوم الأرض، وقيل إن موسى عليه السلام لما دعا عليهم انشقت الأرض وهلك من بني إسرائيل في تلك الواقعة سبعمائة وأربعة عشر نفراً غاصوا في الأرض ثم استوت الأرض عليهم كما كانت[5].

---

[1]- انظر. سورة المائدة، الآية١٩-٢٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١٤٩.

[2]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٢٦-٢٣٠.

[3]- هو قارون بن يصهر بن قهات وهو ابن عم موسى وكان عظيم المال كثير الكنوز حتى أن مفاتيح خزائنه كان يعجز عن العصبة من الرجال الأقوياء وكان مغرورا مختالا ينكر فضل الله فخسفت به الأرض. سورة القصص الآية٧٦:-٨٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١٥٦-١٥٧. ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص١٠٥-١٠٨.

[4]- هما داثان وأبيرام ابنا أليأب من سبط روبين وكانا قد اشتركوا في عصيان قارون . العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٣٢ . قاموس الكتاب المقدس،ص٢٤٥.

[5]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٣٢-٢٣٤.

ذكر المراحل التي قطعها بنو إسرائيل منذ خروجهم من مصر

وقيل أن جميع مراحل بني إسرائيل من يوم خروجهم من مصر إلى حين نزولهم بوادي أردن كانت اثنتين وأربعين مرحلة ،وهذه المراحل تشتمل على أربعة أصول : الأول برية سين[١]، وفاران، وقادش[٢]،وصين[٣] وكانوا يقطعون هذه المراحل على العادة مرحلة مرحلة ،وكان الغمام يحيط بهم في كل مرحلة إلىأن نزلوا بقادش وبقوا في الترحال مدة ثمان عشرة سنة، وسكنوا بقادش مدة ثمان عشرة سنة ،وارتحلوا من قادش، فصاروا يطوفون بأطراف البر وأكنافه إلى أن وصلوا إلى وادي زارد[٤] وكان وصولهم إلى زارد في مدة سنتين فصارت المدة ثمانية وثلاثين سنة ، فلما انقضت مدة غضب الله على بني إسرائيل وهي أربعون سنة في تلك البرية، وهلك من بني إسرائيل في البرية في هذه المدة جميع من كان قد جحد نعمة الله، وبقي القوم المطيعين الشاكرين لأنعم الله تعالى، وكانوا يقصدون البلاد والديار في سواحل بحر القلزم، ويقطعون المنازل إلى أن اقتربوا من جبل ساعير[٥]،وملك دوم[٦] وعمون ومآب في مدة سنة واحدة، ورحلوا في أول السنة الأربعين من قادش ونزلوا ببرية صين، وكانت هذه المنزلة أول منزلة وأول مرحلة أقاموا بها أول ما خرجوا من مصر.

وفي أول شهر نيسان ماتت مريم هناك ودفنت، و بتلك البرية ،والماء الذي كان ينبع من البئر ببركة مريم عليها السلام انقطع، لما ماتت مريم فاحتاج بنو إسرائيل إلى الماء وضجوا من العطش، فجاءوا إلى موسى عليه السلام وهارون والتمسوا الماء، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اذهب أنت وأخوك هارون إلى الصخرة الفلانية واضربها بعصاك ليخرج منها الماء ،فأخذ موسى أخاه هارون عليهما السلام، وذهبا إلى تلك الصخرة ودعوا إلى الله تعالى بموجب ما أمرهما الله تعالى ،وأخرجا الماء من الصخرة ،فعند ذلك قال بنو إسرائيل إن الله يجري الماء من الصخرة

---

[١]- برية سين تطلق على أول برية سيناء التي وصلها بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر. قاموس الكتاب المقدس،ص٣٣٩.

[٢]- قادش: اسم سامي معناه (مقدس)وهي منطقة أقام فيها بني إسرائيل خلال سنوات التيه وفيها ماتت مريم أخت موسى .قاموس الكتاب المقدس،ص٤٨٤.

[٣]- برية عبرها بنو إسرائيل في طريقهم إلى كنعان وكانت على التخوم الجنوبية من تلك الأرض.قاموس الكتاب المقدس،ص٣٨٨.

[٤]- اسم عبري معناه (ازدهار)وهو جدول ماء يخرج من جبل عباريم ويصب في شرق بحر لوط (البحر الميت)وكان أخر العقبات في طريق بني إسرائيل من مصر إلى كنعان.قاموس الكتاب المقدس،ص٢٨٥.

[٥]- كلمة عبرانية معناها (كثير الشعر) وهي أرض جبلية على الجانب الشرقي من البرية وأعلى قمة فيها تدعى جبل هور وقد حاول بنو إسرائيل أن يعبروا تلك الأرض لكن الأدوميين رفضوا السماح لهم . قاموس الكتاب المقدس،ص٣١٧.

[٦]- كلمة عبرية معناها (أحمر) ويقصد به الإقليم الذي يعيش فيه أبناء العيص أخو يعقوب ويمتد الإقليم مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة .قاموس الكتاب المقدس،ص٣٠.

لأجلكما، فأخذهم الله تعالى مرة أخرى بهذه الكلمة ،وقال لا ترحلوا إلى الشام ،وارحلوا من هناك إلى جبل الجبال .

وفي أول الشهر الخامس من السنة الأربعين في غرة شهر آب توفي الإمام هارون عليه السلام وكان عمره مائة وعشرين سنة ،ودفن في الجبل المعروف بالكرك[١] والشوبك[٢] بإذن الله تعالى في ذلك، وتولى ذلك موسى عليه السلام وألعازار بن هارون عليه السلام الذي كان خليفة هارون والقائم مقامه، واجتمع بنو إسرائيل في عزاء هارون عليه السلام، وأقاموا عزاءً له مدة ثلاثين يوماً، وكانوا يندبون عليه ويبكون،فلما مات هارون عليه السلام ارتفعت الغمامة التي كانت تظلهم وتحيط بهم وتحفظهم من الآفات والبليات وانعدمت بالمرة،فجاءت عساكر الكنعانيين إلى محاربة بني إسرائيل،وقتلوا منهم خلقا، وأسروا خلقا فخاف بنو إسرائيل من تلك الوقعة، فخرجوا من تلك المرحلة فساروا ثمانية مراحل فاستعانوا بالله وتضرعوا إليه وأدوا ما كان عليهم من الحقوق الواجبة ،فدعا موسى عليه السلام عند ذلك حتى بعث الله الغمام عليهم كما كان أولا في زمان هارون عليه السلام[٣]،فلما انقضت أيام حزن هارون عليه السلام وتعزيته تقدموا بعدة مراحل(٢٤- ظ)،فلما وصلوا إلى وادي أرنون[٤]، تلقاهم الملك سيحون، وحاربهم، وكان هذا سيحون ملك بلاد حشبون[٥]، وهو من الملوك والسلاطين بتلك الديار، فاتفق أن بني إسرائيل قد نصرهم الله تعالى على ذلك الملك فظفروا به وقتلوه، وقتلوا من كان معه من العساكر، وتصرفوا في ملكه وارتحلوا من هناك وتوجهوا نحو باشان[٦]، فاستقبلهم ملكها، وهو عوج بن عنق[٧]،وقيل أن سيحون كان أخاه ، وكان عوج سلطانا سلطانا عظيما في غاية القوة والبأس، والشوكة، وكانت خلقته في غاية العظمة ، فلما رأى بنو إسرائيل خلقته هابوه وخافوه ثم أرسل الله تعالى الوحي إلى موسى عليه السلام أن لا تخف من عوج فإنك ستهلكه، وتملك ملكه عاجلا .

ثم لما وقعت الحرب بينهم أهلك الله عوج وعسكره على يد بني إسرائيل، وملكوا بلاده وديارة، والبلاد التي كانت في مملكة عوج بن عنق قيل أنها كانت ستين مدينة مسورة محصنة ،فأقاموا هناك

---

[١]- الكرك اسم لقلعة حصينة جدا في الأردن من نواحي البلقاء . انظر.الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص٤٥٣.

[٢]- قلعة حصينة في الأردن بين عمان وآيلة والقلزم قرب الكرك.انظر.الحموي: معجم البلدان، مج٣،ص٣٧٠.

[٣]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٣٩-٢٤١.

[٤]- كلمة عبرية معناها (الزئير) وهو يعرف اليوم بوادي الموجب في المملكة الأردنية. قاموس الكتاب المقدس، ص٤٢.

[٥]- اسم مآبي معناه (تدبير) وهي مدينة سيحون ملك الأموريين وتعرف حاليا باسم حسبان وهي اليوم خربة تقع شمال مادبا في الأردن. قاموس الكتاب المقدس ،ص٢١٣.

[٦]- اسم عبري معناه (أرض مستوية أو ممهدة) وهي مقاطعة في أرض كنعان واقعة شرقي الأردن بين جبلي حرمون وجلعاد وتشمل أرض حوران والجولان واللجاة . قاموس الكتاب المقدس ،ص١١٢.

[٧]أنظر ترجمته في .ابن كثير:البداية والنهاية،ج٢،ص٦٢-٦٣. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٤٢.

إلى أن قسموا البلاد على الأسباط، فأعطى سبط منشه نصف المملكة، وأعطى سبط جاد وسبط روبين النصف الأخر، فلما سمع بالاق بن صفور[1]،ملك مآب بوقعة سيحون وعوج بن عنق تشوش خاطره، وتقسم فكره وخاف وهادن أعدائه، واستعان بالسلاطين الذين كانوا بقربه من جهة دفع بني إسرائيل ،وجمع العساكر من الأطراف .

وبعث بطلب بلعام بن باعورا[2] وكان بلعام هذا معروفا بالسحر، فلما جاء إليه أعطاه مالاً وافراً، ووعده بالمواعيد الحسنة وقال: أريد أن تعمل من السحر ما يدفع شر بني إسرائيل ،فلما توجه بلعام إلى بالاق وكان يركب أتان[3]،فبعث الله تعالى ملكا في طريقه واعترض البهيمة التي كانت تحت بلعام وعدل بها عن الطريق ،فضربها بلعام لترجع إلي الطريق، فتراجعت به البهيمة إلى درب ضيق وضربت به الحيطان فانكسرت رجله، ثم ضربها بلعام لترجع إلى الطريق فتراجعت به إلى مضيق، فلما أراد ضربها أنطقها الله تعالى فقالت لبلعام : إن شخصا وقف في طريقي، لا يمكنني من المسير، فرفع الله الحجاب عن عينه فرأى الملك واقفا فوق رأسه وبيده سيف مسلول، فلما رآه غشي عليه من الفزع، فلما أفاق قال له الملك: إن الله تعالى أمرني أن أعلمك أن لا تعمل لأجل بني إسرائيل السحر، فلو لم ترد بهيمتك لقتلتك مكانك، فإني كنت السبب في استرجاع البهيمة بك.

فلما سمع بلعام قول الملك طلب العفو عما صدر منه ،فعفا الملك عنه، وشرط عليه أن لا يقصد بني إسرائيل بالسحر، فلما وصل بلعام إلى بالاق،التمس بالاق منه السحر لأجل بني إسرائيل،فحكا له بلعام ما شاهده من أحوال الملك والبهيمة، فآيس بالاق منه، فأخذ يتضرع إليه ويقول: أريد أن تدعُ على بني إسرائيل فإن دعائك مستجاب ،فأبى بلعام أن يدعُ عليهم صريحا إلا أنه دعا عليهم دعاء يحتمل التأويل وقال بلعام للملك أشير: عليك بمشورة إن فعلتها كان أحب إليك من جنود كثيرة ،فقال بالاق :لا أتجاوز ما تشير به، فقال: حصل من البنات الأبكار الملاح عدة كثيرة، وأرسلهن إلي بني إسرائيل فإنهم إذا رأوا ذلك الأمر وشاهدوا تلك الصورة المستحسنة أمنوهن ووقعوا في الزنا، فيلحقهم شؤم الزنا ،فلا يفلحون أبدا ،فأخذ بالاق عند ذلك بموجب قول بلعام وجمع الأبكار وبعث بهن إلى بني إسرائيل ،فوقع بنو إسرائيل في الزنا، فأرسل الله عليهم الوباء بسبب شؤم زناهم ،وهلك منهم خلق كثير بحيث هلك في ذلك الوباء أربعة وعشرون ألف نفر،ثم بعث الله روحا من عنده وأرسله

---

[1]- اسم عبري معناه (المتلف أو المخرب) وهو ملك المآبيين. قاموس الكتاب المقدس ،ص١١٣.

[2]- هو بلعام بن باعوراء ويقال ابن أبر ويقال ابن أور ويقال ابن باعر بن شتوم بن قرشيم بن مآب بن لوط بن كان يسكن قرية من قرى البلقاء وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه قال تعالى { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ }.سورة الأعراف :الآية ١٧٥-١٧٧ .ابن عساكر: تاريخ دمشق،ج١٠،ص٣٩٦. ابن كثير:البداية والنهاية،ج٢،ص١٢٤-١٢٥.

[3]- الأتان أنثى الحمار . ابن منظور: لسان العرب،ج١٣،ص٦.

إلى قلب فينحاس بن عازار بن هارون عليه السلام، فلما تمكن الروح من قلبه بعث و الرمح بيده وحمل على أمير من سبط شمعون يدعى زمري بن سالو في قبته وعنده بنت من بنات الملوك، ورفعهما على رأس الرمح وأدل بهما على جميع العالم من بني إسرائيل ،فلما رأوا تلك الصولة والقوة ،وقع في قلوبهم خوف عظيم وهيبة شديدة من فينحاس،وكفوا أنفسهم عن الزنا، وتابوا عما فعلوا واستغفروا، ثم دعا لهم فينحاس حتى أزال الله سخطه عنهم ،وأوحى الله إلى موسى عليه السلام وبشره بسعادة فينحاس وهدايته، وقال إن الإمامة تنتقل إلى فينحاس وإلى أولاده وعقبه ونسله ،فبعثه إلى حرب أهل مدين[١].

ثم اختار موسى عليه السلام اثني عشر ألف فارس من رجال الحرب من كل سبط ألف رجل وسلمهم إلى فينحاس ، فسار فينحاس بموجب إشارة موسى عليه السلام إلى أهل مدين وحاربهم، فقتل ملوكهم واستخلص بلادهم وأسر أولادهم ونسائهم ،وملوكهم، وبلعام الساحر الذي كان أصل هذا الفتنة،ومع أنه لم يكن من تلك الممالك ،فإنه لما سمع أن تدبيره وحيله قد أفادت،ومشورته قد أجدت رجع إلى أهل مدين ليأخذ منهم حق السعي فرد الله كيده في نحره وقتل بذنبه.

ثم رجع فينحاس إلى موسى عليه السلام ،وألعازار بن هارون عليه السلام بغنائم كثيرة، ولم يقتل من عسكر فينحاس غير رجل واحد ،وكان قد قتل من عسكر أهل مدين أربعة وعشرون ألف رجل .

فلما رجع فينحاس بما رجع،أمر بذبح القرابين شكرا لله تعالى، وأمر بضبط الغنائم، وكان قد حصل له من الأغنام ستمائة وخمسة وسبعون ألف رأس غنم، واثنان وسبعون ألف من البقر، وواحدا وستون ألف رأس بهيمة ،وحصل لهم من الصبيان والنساء والبنات اثنتان وثلاثون ألف نفر، وغير ذلك من الدواب مثل الخيل والإبل والبغال شيء كثير لم نذكرها،ومن الآلات والأسباب والأقمشة والأمتعة مالا يحصى[٢]،وكل هذه الحروب جرت في مدة ستة أشهر في شهور السنة الأخرى إلى آخر شهر طيبث[٣]،ولم يبق من أكابرهم ومشايخهم غير يوشع بن نون، وكاليب بن يفنة والباقون كلهم ماتوا في البرية ،والسفر، وخلفوا الأولاد الموجودين في البرية[٤].

---

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٤٢-٢٤٨.

[٢]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر العدد،ص٢٥٨.

[٣]- هو الشهر العاشر في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[٤]- أختلف العلماء في هذه القضية فقال ابن عباس أن موسى وهارون توفيا في التيه وتوفي فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة إلا يوشع بن نون وكاليب بن يفنة وقال آخرون أن موسى عاش حتى خرجوا من التيه

ذكر وفاة موسى عليه السلام ووصيته لبني إسرائيل

فلما رأوا بنو إسرائيل هلاك شبابهم أمر موسى عليه السلام باجتماع بني إسرائيل في موضع، وأعاد عليهم قراءة التوراة مرة ثانية ،وشرح لهم مشكلاتها،وبين لهم معانيها،وأمرهم (٢٥- و) بتلاوة التوراة وقدسها، والمحافظة على بحثها وتعليم الأولاد على التعاقب والتناسل، وكذلك أمرهم بكتابتها في الأسفار وإيداعها في التابوت ،وبنو إسرائيل لما رأوا أن موسى عليه السلام يحثهم على ذلك سألوه ما كانوا يحتاجون إليه من أمور الدنيا وأحوال الآخرة،ومهماتهم سفراً وحضراً ، وكلما أجابهم موسى عليه السلام عن أسئلتهم كتبوه وقابلوه،وكتب موسى عليه السلام بخطه الشريف سفرا من التوراة بحيث كان مشتملا على جميع التوراة ،وأودع تلك النسخة وسلمها إلى الأئمة الهارونية وأمرهم أن يضعوها في صندوق كان فيه لوح الشهادة ، والأسفار التي كتبها بنو إسرائيل أمر بإحضارها وفرقها على الأسباط بعد أن قابلها بنسخة الأصل بحضوره ، وناول كل سبط سفرا منها، وتمت هذه الأمور في مدة ستة وثلاثين يوما،وكان آخرها السابع من شهر آذار.

ثم أمر موسى عليه السلام ثانية بجمع الناس، وطلب يوشع بن نون وجعله وصي نفسه،وخليفته من بعده وسلمهم بأمر الله إلى يوشع ،وأوصى يوشع بالمحافظة على تدبير قومه، وأمر القوم بانقيادهم ليوشع وطاعتهم له، ونهاهم عن مخالفته ومسح يده البيضاء على يوشع ،فظهر في وجه يوشع نور مثل نور القمر المكتسب من نور الشمس ،وكان بينهم هذه النسبة ،ثم قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل:اعلموا أن هذا اليوم هو السابع من شهر آذار،استوفيت من عمري مائة وعشرين سنة شمسية وقد دنا أجلي .

وقيل أنه توفي في ذلك اليوم بأمر الله تعالى وقال: اعلموا يا بني إسرائيل أني قد خلفت فيكم نفرين من عباد الله المخلصين المطيعين له ،ويرغبون إلى الله في عبادته، وأني قد أقسمت عليكم بالله وملائكته ،وأشهدتهم عليكم، وكذلك أشهدت عليكم السماوات والأرض على أنكم لا تتجاوزون عما أوصيت به عليكم ولا تقصرون في الإتيان بما أوجب الله عليكم ،ولا تتهاونوا في العمل بذلك ، ولا يدخل في اعتقادكم وهن ولا شبهة،ولا ينبغي أن تعملوا إلا كما أمركم الله وتكفون عما نهاكم الله، ولا يأخذكم في الدين شبهة،ولا تشركوا بالله ،ولا تجعلوا له ندا وشبيهاً ونظيراً،ولا تستعينوا بغير الله ،ولا تتوكلوا إلا على الله ،وكل من أراد منكم أن يحشر يوم القيامة في زمرتي فينبغي عليه أن يتدين أبدا بديني ويتمسك بآدابي وسيرتي ،ولا يجوز لأحد من أمتي أن يرغب عن محبة الله،ومحبة طاعته،

وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٥٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص١٥٣. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٣٥-٣٦.

ومحبة إيمانه، ومحبة أنبيائه، ولاسيما أولوا الأمر، فقد أمنني الله تعالى اليوم بأن أسلم أمور الأمة إلى يوشع بن نون، وكاليب بن يفنة، وخليفتي عليكم وخليفة أخي هارون وهو وألعازار وهو الأمام الأعظم في بني إسرائيل،وقد سلمت أمركم إلى سبعين نفرا من الأجناد الذين اصطفاهم الله تعالى، ولأن آمركم بأن تقبلوا قولهم وتعملوا بما يأمرونكم وتعاودونهم في الأمور التي تتعلق بالدين والدنيا، وتشاورونهم، وتفوضون التدبير إليهم، ويكونون هؤلاء الأجناد والخلفاء مساعدين لكم[١].

فلما فرغ موسى عليه السلام من القول لبني إسرائيل وصيته وحلفوا عليها ،وقالوا لا نتجاوز أمرك، وكتبوا في ذلك المواثيق ووشحوها بخطوطهم، ثم بعد ذلك سلم بعض القوم على بعض وودعهم، وصعد على جبل نبو[٢]،وهذا الجبل مشرف على الأردن، فرفع الله الحجاب بينه وبين بلاد الشام ،فرأى موسى عليه السلام جميع البلاد كالمائدة الموضوعة عند شخص ،ثم أمر الله الملك فقبض روحه ،ومن جملة معجزاته أن تربته لم تظهر لأحد إلى يومنا هذا، وكانت وفاته في اليوم الذي ولد فيه وهو اليوم السابع من شهر آذار،وانقطع نزول المن الذي كان يختص ببني إسرائيل لأنه كان ينزل عليهم ببركة موسى عليه السلام ،وحين صعد موسى عليه السلام الجبل في اليوم الذي قبض فيه علم الناس أن موسى عليه السلام كان له وقت المفارقة لهذه القوة والقدرة التي تمكن من صعود مثل هذا الجبل في لحظة واحدة ونزوله منه بغير تعب وكلفة، ويصدق هذا المعنى ما جاء في التوراة فإن الرطوبات البدنية التي لموسى عليه السلام لم تتحلل إلى تلك الغاية،وكان عمره حين قبض مائة وعشرون سنة[٣].

ذكر يوشع بن نون

فلما تحقق بنو إسرائيل حال وفاة موسى عليه السلام ،اجتمعوا في موضع واحد واشتغلوا بالعزاء ،واستمروا (٢٦- ظ) على تلك الحالة مدة ثلاثين يوما يبكون فيها ويندبون ويتأسفون على مفارقته ويتحسرون,ثم بعد إقامة وظائف العزاء وهو اليوم السادس من شهر نيسان,خاطب الله تعالى يوشع بن نون عليه السلام وقال: حيث توفي عبدنا الخاص موسى، فينبغي عليك الآن أن تأخذ القوم وتعبر بهم نهر الأردن وتذهب بهم إلى الأرض التي وعدهم الله ,فقد حان الموعد،فبادر يوشع بن نون

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر التثنية ،ص٣١٩-٣٢١.
[٢]- هو أحد جبال سلسلة عباريم في مآب مقابل أريحا وربما يكون هو جبل النباش شرقي نهر الأردن بثمانية أميال . قاموس الكتاب المقدس ،ص٦٣٩.
[٣]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر التثنية ،ص٣٢٥-٣٢٦.

عليه السلام إلى ما أمره الله تعالى،وجمع القوم وأنذرهم عن مخالفة أمر الله، وبشرهم بحصول الخير وقربه.

وأما نسب يوشع: فهو يوشع بن نون بن اليشاماع بن عميهود بن لقدان بن تالح بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام[1].

ثم أخذ يوشع قومه في اليوم العاشر من شهر نيسان وعبر بهم من نهر الأردن بعد انشقاق الماء له، وبقي الماء منشقا إلى أن عبرت الخلائق عليه ، وقال يوشع : عليه السلام للأئمة الهارونية بأن يأخذوا صندوق الشهادة على رؤوسهم، ويقفوا في وسط الأردن ليعبر بنو إسرائيل جميعا ،فلما عبروا، وعبروا بالصندوق أيضا، ثم انضم الماء كما كان أولا بحيث أقدام الأئمة ابتلت من وصول أثر الماء إليها ، ثم أمر يوشع عليه السلام بأن يؤخذ من وسط الأردن اثني عشر صخرة ، وتوضع على جانبه ليكون علامة لانشقاق الماء على يد يوشع بن نون عليه السلام .

ولما انقطع المن عن بني إسرائيل، كانت معهم بقية منه وأكلوا منه مدة أربعين يوما، وقيل أن مدة نزول المن عليهم كانت أربعون سنة وكان آخرها اليوم السادس عشر من نيسان، وذبحوا قرابين الفصح في اليوم الرابع عشر، وأكلوا الفطير في اليوم الحادي عشر،واختار يوشع عليه السلام رجلين من بني إسرائيل وبعثهما إلى بلدة أريحا ليتجسسا الأحوال، فلما ذهبا وعرفا الأحوال جاءا وأعلما يوشع ،فأمر يوشع باجتماع العسكر من بني إسرائيل ،وبعث بهم إلى بلدة أريحا ،فجاء العسكر وحاصروا البلد وكانت أسوار البلد في غاية الحصانة والمتانة من الصخر قد وضع بعضها على بعض بحيث لم يتمكن أحد من هدم ذلك، فأخذ يوشع يطوف حول البلد مع رؤساء بني إسرائيل سبعة أيام كل يوم ثلاث مرات، فأمره الله أن يقدم صندوق الشهادة ويحمل إلى السور ليريهم العجائب، فامتثل يوشع أمر الله تعالى وقدم صندوق الشهادة، واتبعوه فعند ذلك انشق السور، وانهدم وتساوى مع الأرض بحيث لم يبق منه أثر ، ثم دخلها بنو إسرائيل وملكوها واستولوا عليها وقتلوا جميع أهاليها وغنموا أموالها ،ولم يلتفتوا إلى شيء ولا إلى أحدٍ في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى كان أمرهم بذلك[2]،ثم لما فرغوا من أمر تلك البلدة شرعوا في غيرها من البلاد، وكانوا يستخلصون النواحي،

---

[1]- انظر. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٥٧. الأصفهاني:تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ص٧٠ .ابن الأثير:الكامل في التاريخ، مج١،ص١٥٣. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣٦.القرماني:أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،مج١،ص١٤٦.

[2]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع ،ص٣٢٧-٣٣٥.

ويملكون الصياصي[١] إلى أن ملكوا جميع بلاد الشام وقتلوا ملوكها ،وكانوا واحدا وثلاثين ملكا على هذا التفصيل :

ملك أريحا،ملك عاي[٢]،ملك أورشليم،ملك حبرون،ملك يرموث[٣]،ملك لخيش[٤]،ملك عجلون[٥]، ملك جازر[٦]، ملك دبير[٧]،ملك جادر[٨]، ملك حرّمة[٩]،ملك عراد[١٠]، ملك لبنه[١١] ، ملك بيت إيل[١٢]،ملك مقيدة[١٣]،ملك عدلام[١٤] ،ملك تفوح[١٥] ، ملك حافر[١٦] ، ملك أفيق[١٧] ، ملك

---

[١]- هي الحصون . الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤، ص١٨١.

[٢]- كلمة عبرية معناها (خراب) وهي بلدة كنعانية إلى الشمال من بيت إيل. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٠٥.

[٣]- اسم كنعاني معناه (علو) وهي مدينة في سهل يهوذا وتعرف اليوم بخربة يرموك إلى الشمال الغربي من بيت جبرين. قاموس الكتاب المقدس ،ص٧٠٦.

[٤]- مدينة محصنة تقع في سهل يهوذا تبعد ١٦ ميلا إلى الشمال الشرقي من غزة ويعتقد بأنها تل الدوير. قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٥٠.

[٥]- اسم عبري معناه (مكان العجل)وهي مدينة كانت من نصيب سبط يهوذا ولا يزال هذا الاسم يطلق على منطقة قرب أربد في الأردن. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤١٧.

[٦]- اسم عبري معناه (نصيب أو مهر العروس) وهي مدينة كنعانية أسمها الحالي تل الجزر وتبعد عن القدس ١٨ ميل إلى الشمال الغربي. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٦٨.

[٧]- اسم عبري معناه (مقدس) وهي مدينة في أرض يهوذا يعتقد بأنها تل بيت مرسيم جنوب غرب حبرون . قاموس الكتاب المقدس ،ص٢٥٣.

[٨]- اسم عبري معناه (جدار أو حائط أو سور) وهي مدينة جنوب يهوذا مكانه الحالي غير معروف ويحتمل أن تكون بيت جادر. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٦٨.

[٩]- اسم عبري معناه (موضع مقدس) ويعتقد أنها تل المشاش إلى الشرق من بئر السبع. قاموس الكتاب المقدس، ص٢٠٨.

[١٠]- اسم عبري معناه (حمار الوحش) وهي بلدة إلى الجنوب من الخليل . قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٢١.

[١١]- اسم سامي معناه (بياض) وهي مدينة في الساحل بين مقيدة ولخيش ويرجح أن موقعها الحالي عند تل بورناط شمال غرب بيت جبرين . قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٤٩.

[١٢]- اسم عبري معناه (بيت الله)كانت قديماً محل أقامة ملوك الكنعانين وموقعها الحالي فإلى شرقخط يمتد من القدس إلى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٣٩.

[١٣]- اسم كنعاني معناه (موضع الرعاة) وهي مدينة كنعانية وربما كان موقعها الحالي خربة الخشيم شمال شرق تل زكريا. قاموس الكتاب المقدس ،ص٦١٠.

[١٤]- اسم عبري معناه (ملجاء) وموقها الحالي هو تل الشيخ مذكور قرب بيت لحم. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٢٠

[١٥]- اسم عبري معناه (تفاحة) وهي مدينة في الأرض السفلى ليهوذا ويرجح أن تكون بيت نتيف حالياً. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٥٢.

[١٦]- اسم عبري معناه (حفرة أو بئر) ويعتقد أنها تل بيشار غرب نهر الأردن. قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٨

[١٧]- اسم عبري معناه (قوة أو حصن) وهي مدينة كنعانية في سهل شارون ومكانها اليوم بلدة رأس العين الحديثة وهي عند منبع نهر العوجة. قاموس الكتاب المقدس ،ص٦٩.

شمرون[١]،ملك مادون[٢] ، ملك حاصور[٣] ، ملك لشارون[٤] ، ملك أكشاف[٥] ، ملك تعنك[٦] ، ملك مجدوٌ[٧] ، ملك قاديش[٨] ، ملك كرمل[٩] ، ملك دور[١٠] ، ملك الجلجال[١١] ، ملك ترصة[١٢].

وقتل يوشع بن نون هذه الملوك كلها وفتح ديارهم وبلادهم، واستولى عليها في مدة سبع سنين، وقسم هذه البلاد كلها على الأسباط بمشورة الإمام الأعظم ألعازار، وبمشورة المشايخ السبعين الذين عينهم موسى عليه السلام ، فلما مضت من خلافة يوشع بن نون أربع عشر سنة وانتهى عمره إلى مائة وعشر سنين ،توفي في تلك السنة في شهر أيار ودفنوه في أرض حصلت لهم من غنائم تلك الديار[١٣].

ونقل عن يوشع عليه السلام أنه قد وقعت واقعة عجيبة مع جماعة من العيارين جاؤوا إليه، وعليهم لباس مرقع وثياب مخرقة، وخفاف ممزقة وحوافر مشققة، فلما رآهم بنو إسرائيل سألوهم عن أحوالهم ومرامهم ،فقالوا سبب هذه الآفة بعد المسافة ،وقد جئناك طالبين الأمان ،فرق لهم يوشع بن نون فأعطاهم الأمان، وقالوا لا نأمن حتى تحلفوا لنا، فحلف لهم أحبار بني إسرائيل على الأمان، وكتبوا لهم الموجب وثيقة، ووضعوا فيها خطوط الأحبار ،فلما رجعوا إلى بلادهم ووصل بنو

---

[١]- اسم عبري معناه (مراقب أو حارس) وهي مدينة ويعتقد أنها قرية السميرية الحالية قرب عكا. قاموس الكتاب المقدس ،ص٣٥٣.

[٢]- اسم كنعاني معناه (خصومة) وهي مدينة كنعانية يرجح بأنها خربة مادين الحالية قرب حطين في الجليل. قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٦١.

[٣]- اسم عبري معناه (حظيرة) وكانت عاصمة مملكة الكنعانين شمال فلسطين ويعتقد بأنه تل القدح غرب جسر بنات يعقوب. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٩٨.

[٤]- مدينة قديمة قتل يوشع بن نون ملكها وهي شارونة الحالية قرب تابور. قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٥٢.

[٥]- اسم عبري معناه (سحر أو عرافة) ويعتقد بأنها تل كيسان قرب جينين . قاموس الكتاب المقدس ،ص٧٠.

[٦]- اسم كنعاني معناه (أرض رملية) وهي مدينة كنعانية ذكرت نحو ١٦٠٠ق م حين هاجم تحتمس الثالث مجدو وتقع إلى الجنوب الشرقي منها . قاموس الكتاب المقدس ،ص١٥٢.

[٧]- مدينة كنعانية كانت من نصيب سبط منسه وموقعها الحالي تل المتسلم جنوب شرق حيفا. قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٦٩.

[٨]- مدينة محصنة وهي الآن قرية قديس على بعد ١٠ أميال شمال صفد وموقعها جميل يشرف على جنوبي مرج عيون والحولة. قاموس الكتاب المقدس ،ص٤٨٥.

[٩]- أسم عبري معناه (مثمر) وتقع في جبال يهوذا على بعد ٧ أميال جنوب شرق حبرون. قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٢٩.

[١٠]- اسم كنعاني معناه (مسكن) وهي مدينة كنعانية على البحر المتوسط تبعد ٨ أميال عن قيصرية وتقع بقاياها قرب بلدة الطنطورة . قاموس الكتاب المقدس ،ص٢٦١.

[١١]- اسم عبري معناه (متدحرج) وهي مدينة تقع على مسافة ٥ أميال شرق أنتيباتريس في سهل شارون. قاموس الكتاب المقدس ،ص١٨٤.

[١٢]- اسم عبري معناه (فرح أو انشراح) وهي مدينة كنعانية أصبحت لاحقاً عاصمة مملكة أسباط إسرائيل العشرة مدة خمسين سنة ويعتقد أنها تل الفارعة شمل شرق نابلس . قاموس الكتاب المقدس ،ص١٤٩.

[١٣]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع ،ص٢٤٢-٢٤٦.

إسرائيل إليهم لم يخرجوا إلى بني إسرائيل ولا التفتوا إليهم، فغضب يوشع عليه السلام عند ذلك وعزم على قتلهم جميعا، فلم يتركه الأحبار بسبب حلفهم لهم وانعقاد المواثيق السابقة، فلعنهم يوشع لعنة مؤبدة وأمر بني إسرائيل باستخدامهم، وكانوا ينقلون لهم الحطاب والمياه ومنع بني إسرائيل من المناكحة معهم[1].

وقيل أن عمر يوشع كان آخر عمر موسى عليه السلام اثنين وثمانين سنة ،ثم بعد ذلك اشتغل يوشع عليه السلام بمحاربة الأعداء ودفع الأضداد، وكيد الأجناد والحساد مدة سبع سنين، ثم اشتغل بعد ذلك بجمع الغنائم والأمور التي كانت يتولاها بنفسه، بعد أن أخرج حصة القدس، وفرق الباقي على المستحقين في مدة سبع سنين، وصار مجموع عمره ست وتسعون سنة ،ثم اشتغل بعد ذلك بتدبير أمور القوم وسياستهم وتعليمهم التوراة مدة أربع عشرة سنة، فلما انتهت هذه الأمور كان عمره مائة وعشر سنين ،فلما كمل عمره هذه المدة المذكورة قبض بأمر الله تعالى[2].

ذكر حال بني إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون

ثم تولى أمور بني إسرائيل بعد يوشع رجل كبير القدر من أكابر الأسباط، يعرف عثنيال بن يفنة، وكان من سبط يهوذا، وقيل كان أخو كاليب بن يفنة صاحب يوشع بن نون، ورفيقه في القدر والمرتبة، فصار مدبر أمور بني إسرائيل ،فانقادت له الأسباط بموجب وصية يوشع، وانتظمت به أمور الجمهور واستقامت أحوال الناس مدة(٢٧- و) أربعين سنة بعد يوشع عليه السلام،وكان الناس في زمانه في الدَّعة والراحة والسعة والأمن بعد أن كان قد استولى على بني إسرائيل رجل ظالم اسمه كوشان مدة ثمان سنين، فأزال عثنيال شر هذا الرجل عن بني إسرائيل على أسهل وجه، وخلص الناس من يده إلى آخر عمر عثنيال، وكانت مدة ولايته أربعين سنة.

ثم تولى أمور بني إسرائيل بعد عثنيال رجل من سبط بنيامين كان اسمه يهوذا بن جيرا،ومدة ولايته كانت أربعين سنة، واستولى عليهم في أول هذه المدة رجل يسمى عجلون من ملوك مآب مدة ثماني عشرة سنة ،وفي آخر الأمر نصر الله يهوذا عليه فقتله وخلص بني إسرائيل من مكره ودفع عنهم شره إلى أن مات يهوذا.

---

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع ،ص٣٤٠-٣٤١.
[2]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر يشوع ،ص٣٦٣-٣٦٥.

ثم تولى تدبير أمورهم بعد يهوذا رجل اسمه شمكار بن عنوث،وكان يدبر أمورهم مدة سنة واحدة ودفع عن بني إسرائيل شر بعض المتولين والمتغلبين عليهم من فلسطين إلى أن مات[1]

ثم تولى على بني إسرائيل بعد شمكار رجل كبير القدر من سبط روبين، وكان اسمه باراق بن أبي نوعم مدة أربعين سنة ، وفي أول هذه السنة استولى عليهم يابين ملك قيسارية[2] وسير صاحب عسكره وأوصاه أن يؤذي اليهود فأسرف عليهم، فقامت الحروب والفتن بينهم ولم يكن لليهود قوة مقاومتهم ،فأرسل الله تعالى حرارة مفرطة من أشعة الكواكب على أعادي بني إسرائيل، فاحترقوا وهلكوا جميعا وذلك في مدة عشرين يوما .

ثم بعد ذلك أذنب بنو إسرائيل ذنباً، فسلط الله عليهم رجلا اسمه مذمان مدة سبع سنين، فعاقبهم وعذبهم فاستغاثوا إلى الله عز وجل فأغاثهم الله بعد سبع سنين برجل اسمه جدعون من سبط منشه، ونصره على مذمان حتى قتله، ودفع عن بني إسرائيل شره، وكان جميع أتباع جدعون بن يوآش وعساكره ثلاثمائة نفر، وكان عسكر العدومائة وخمسة وعشرين ألف نفر ففرقهم جميعاً وقتلهم وخلص بني إسرائيل من شرهم ،ولم يقتل من عسكر جدعون إلا رجل واحد ودبر هذا جدعون أمور المملكة مدة أربعين سنة .

ثم بعده دبر أمور بني إسرائيل رجل من أولاد بنيامين مدة ثلاث سنين وكان اسم هذا الرجل أبيمالك[3].

ثم تولى بعده رجل من سبط يساخر اسمه تولع بن فواة على بني إسرائيل مدة ثلاث وعشرين سنة .

ثم تولى عليهم رجل من سبط منشه اسمه يائير الجلعادي مدة اثنين وعشرين سنة، ثم جنوا جناية فسلط الله عليهم بني عمون فعذبهم مدة ثماني عشرة سنة، فتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم الله تعالى،

---

[1]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر القضاة ،ص٣٧١- ٣٧٥. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٧٥. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣٧.

[2]- بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن. الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص٤٢١.

[3]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر القضاة ،ص٣٧٦-٣٨٥. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣٨.

وولى عليهم رجلا اسمه يفتاح الجلعادي من سبط منشه وكفاهم الله تعالى شر الأعادي على يده وقهر بني عمون وأهلكهم وملك ديارهم وأموالهم، وكانت مدة ولايته ست سنين.

ثم تولى عليهم رجل اسمه إيلوُن من سبط زبولون فدبر أمور بني إسرائيل مدة عشر سنين .

ثم تولى بعده رجل من سبط أفرايم واسمه عبدون بن هليل ،فبقي ثمان سنين يدبر أمور بني إسرائيل ،ثم بعد ذلك سلط الله عليهم أهل فلسطين بسبب ذنب اقترفوه إلى أن استغاثوا إلى الله من شرهم، وتضرعوا له بالدعاء، فنظر الله إليهم بعين الرأفة والرحمة ونصب لهم رجلا من سبط دان اسمه شمشون بن منوح حتى بقي مدة يحارب عن بني إسرائيل، ويدفع عنهم شر فلسطين ،وقلع أبواب الحصون التي لهم وأحرق قلاعهم، وأخذ سلبهم، ولم يزل يقاتل حتى وقعت هيبته في قلوب الأعداء.

ونقل عنه أنه عطش يوما في الحرب واستولى عليه العطش حتى كاد يموت عطشا ففجر الله عينا من صخرة صماء فشرب منها وفي آخر عمره أسر بأيدي أهل فلسطين، فأخذوه وحبسوه في البيعة فاتفق يوما أنه كان موسم زيارة تلك البيعة فاجتمع فيها أكابر فلسطين ورؤسائهم بها،وأرادوا أن يستهزئوا بشمشون في اليوم، فتضرعوا له بما يغيظه فقام من مجلسه وأخذ أسطوانة الكنيسة وحمل عليها وهزها فانكسرت الأسطوانة وانهدمت البيعة عليه وعلى خلق كثير من أكابر فلسطين، فماتوا جميعا تحت الهدم [1].

ذكر قصة طالوت

ثم تولى أمور بني إسرائيل رجل من أولاد إيثامور بن هارون الإمام عليه السلام، وكان يسمى بالإمام العالي فساسهم مدة أربعين سنة، فاتفقت في السنة الأولى من ولاية الإمام العالي ولادة شموايل[2] النبي عليه السلام، ومن أخباره أن أمه كانت امرأة عاقرة،فجاءت إلى بيت المقدس لتدعو إلى الله حتى ترزق ولدا ،فرآها الإمام العالي وهو جالس على الكرسي فرق قلبه عليها، فدعا لها بالولد وقضاء الحاجة، فنذرت المرأة وقالت: إن رزقني الله ولدا ذكرا أجعله ناسكا لا يشرب الخمر

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر القضاة،ص٣٨٦-٣٩٦. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٣٩-٤٠.

[2]- ورد أسمه في العد القديم صموئيل. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤١٤.

طوال حياته، ولا يحلق شعره كما هو من عادات النساك في بني إسرائيل، ونذرت أيضا أنها ترسله إلى خدمة الإمام الأعظم العالي ليتعلم العلوم ،فلما عادت المرأة إلى أهلها حبلت، فلما تمت أيامها ولدت ولدا اسمه شموايل ،فربته إلى أن بلغ عمره ثلاث سنين، وبعثت به إلى الإمام العالي فأسكنه الإمام في ضيعة اسمها شيلو[١], وأما نسب شموايل: فهو شموايل بن ألقانة ابن ماعيش بن عمشي بن نوال بن عزريا بن صعينيا بن ناحس بن أسيرا بن همان بن القسانا بن فورح بن بصهيا بن قهاث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام[٢]، ولما بلغ عمر شموايل إلى عشرين سنة ولد داود النبي عليه السلام، ولما انتهي عمر شموايل إلى أربعين سنة أوحى الله تعالى إليه وتوفي الإمام العالي في تلك السنة، فلما نبي شموايل وظهرت عليه آثار النبوة والمعجزات على يديه، ومعجزته هو أن الله تعالى أوقفه وأطلعه على الأسرار الخفية للناس،فلما رأى بنو إسرائيل ذلك اعترفوا له بالرسالة، وانقادوا له،واعترفوا بنبوته وساسهم شموايل مدة إحدى عشرة سنة[٣].

وفي آخر هذه السنين عرض له ضعف في بدنه فاستخلف ولديه: يوئيل، وأبيا، وحيث لم يكن لولديه ذلك الرأي والتدبير، واضطرب أمر الناس جاؤوا إلى خدمة شموايل والتمسوا منه أن ينصب عليهم ملك يسوسهم ويرعى أحوالهم ويقوم بما يجب فيه، فسأل الله تعالى شموايل فأذن له في ذلك، فعين لهم شاؤول وكان يعرف بطالوت[٤]بن قيش(٢٨- ظ) بن أبي أبيئيل بن صرور بن نحوارث ابن افسح بن قيش بن بيرين بن سميداع ابن شحروش بن عزية بن ملكيال بن الياب بن عميهود بن شفطيا بن شوال ابن بلوح بن حيشا بن ربيا بن حوشام بن شحواراء بن عزا بن ليسرا بن بالغ بن بنيامين ابن يعقوب[٥]،واسم طالوت كان بالعبراني شاول بعد أن دهنه الأئمة الهارونية بدهن يختص بالملوك، فصار هذا طالوت ملكا بمشورة شموايل النبي عليه السلام ،فاشتغل طالوت بتدبير المملكة وأمور السلطنة، وكان وزيره رجلا يقال له أبنير، وقيل أنه كان عمه فتم حينئذ ما أردناه من الفصل

---

[١]- اسم عبري يعني (موضع الراحة) وهي المسماة اليوم سلوان إلى الشمال من القدس . قاموس الكتاب المقدس ،ص٣٥٦.

[٢]- تفرد الهمذاني في ذكر هذا النسب لشموايل أما نسبه في العد القديم فهو على هذه الصورة:" صموئيل بن ألقانة بن يرحام بن اليهو بن توحو بن صوف". العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول ،ص٤١٣.

[٣]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول ،ص٤١٣-٤٢٢. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٠-٤١.

[٤]- انظر سورة البقرة الآية٢٤٦-٢٤٨. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٤٤.

[٥]- تفرد الهمذاني في ذكر هذا النسب لطالوت أم نسبه في العد القديم فهو على هذه الصورة(شاول بن قيس بن صرور بن بكورة ابن أفيح) العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٢٤.

الرابع في تقدير أن المدة التي كانت مابين ولادة موسى عليه السلام وهي أربعمائة وست وثمانون سنة[1] فهذا أخر الفصل الرابع، فنذكر بعد هذا على وفق هذا فنقول:

ذكر داود عليه السلام

المدة التي كانت مابين ولادة داود إلى آخر زمان عزرا، وهي السنة التي أرخوا فيها تاريخ الإسكندر المقدوني خمسمائة وأربع سنين بموجب هذا التفصيل ، ومجموع عمر داود عليه السلام كان سبعين سنة، فنذكر الآن عمره والوقائع التي حدثت له في عمره فنقول: لما بلغ عمر شموايل أربعين سنة حصلت له النبوة ونزل عليه الوحي، وفي سنة ثمانية وعشرين من عمره صار طالوت ملكا، وفتح طالوت لبني إسرائيل بلادا كثيرة في السنة الأولى من سلطنته ، فأمره الله تعالى بمحاربة العماليق وقلعهم وهلاكهم بأسرهم فغزاهم طالوت وقتل خلقا كثيرا منهم، وبقي منهم بقية فحالفهم ، فلما حالفهم طالوت أوحى الله إلى شموايل بخلع طالوت وتنصيب داود مكانه ، فعزله شموايل وعين داود مكانه و كان داود في بيت أبيه فوجه شموايل إلى أبيه يطلب أولاده ،فأتى بأولاده وعرضهم عليه واحدا بعد واحد، فردهم جميعا لأنه لم ير فيهم آثار النجابة وصلاحية السلطنة ،فلما عرض داود عليه استصلحه لما رأى العلامة التي كانت عليه، ثم أمر بدهن داود بدهن الملوك والعناية التي كانت متعلقة بطالوت انتقلت إلى داود[2].

وأول فتح فتحه الله على داود أنه قتل الملك المسمى بجالوت[3]وكان اسم جالوت بالعبرانية كليات[4]،وكان رجلا جبارا متكبرا نقل أن طوله كان ستة أذرع وقبضة واحدة،وهو مقدم أهل فلسطين، وكان داود رجلا مسعودا أينما توجه من الحرب،أو قضاء مهم يأتي بنجاح ،وكان الله يساعده في أموره وأحواله، وحيث رأى طالوت ترقي أمر داود وسعادته زوجه بابنته ميكال[5]،وكان طالوت يحسد داود على ما أعطاه الله تعالى من السعادة ،وبلغ به الحسد إلى أنه قصده بالقتل ، وكان

---

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٢٣-٤٣٥. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٦٤-١٦٥.أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤١.

[2]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٣٦-٤٣٨.

[3]- انظر سورة البقرة الآية٢٤٩-٢٥٢.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص ٢٧٧-٢٨٢.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٦٦. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٤٦. ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص١٦٣.

[4]- العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٣٩.

[5]- ورد في العهد القديم أن طالوت أراد أن يزوج أبنته الكبرى (ميرب) لداود لكنه علم أن أبنته الصغرة (ميكال) تهوا داود وتحبه فستحسن طالوت ذلك الأمر لأنه في الحقيقة كان يضمر الشر لداود فطلب مهرا لبنته قتل مائة رجل فلسطيني وأرد لداود التهلكة بذلك . العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٤٣-٤٤٤.

داود يفر منه إلى الجبال والأودية ،وكفاه الله شر طالوت، فلم يتمكن من أذاه ،ونقل أن داود عليه السلام تمكن من قتل طالوت مرتين في سنة واحدة، فخاف الله، وخالف هواه ولم يقتله ، ففي المرة الأولى كان داود عليه السلام معتكفا في بعض الكهوف ،فدخل إليه طالوت في قضاء حاجة، فأراد أصحاب داود أن يقتلوا طالوت فمنعهم عنه ولم يرض بقتله وإنما أخذ طرف عمامته وجذبها ليكون ذلك علامة بينه،وبين طالوت إذا خرج من الغار[١]، وفي المرة الثانية تمكن منه في البرية المسماة بسماوا[٢]،وكان طالوت نائما فيها مع عسكره، فوصل داود إلى ذلك الموضع وسار حتى قرب من مبيت طالوت، فجاء حتى وقف على رأسه وأخذ الكوز الذي كان موضوعا عند رأسه ووضع الفأس الذي كان بيده عند رأسه علامة ولم يؤذيه.

وفي آخر هذه السنة توفي شموايل النبي عليه السلام[٣]،وكان عمره اثنتين وخمسين، وبعد وفاة شموايل وقعت محاربة بين طالوت وبين فلسطين ،وقتل طالوت في تلك المحاربة مع أولاده الثلاثة، وكان اسم بنيه الثلاثة: يوناثان، أبيناداب، ملكيشوع .

فلما رأى طالوت أن الأمر قد اشتد عليه، جاء إلى عند صاحب سلاحه ليقتله، فأبى صاحب السلاح فاتكئ طالوت على سيفه فمات[٤]، فلما وصل خبر قتل طالوت إلى داود عليه السلام رجع إلى البلد، وكان عمره في ذلك الوقت ثلاثين سنة ،ثم جاء رجل يبشره بقتل طالوت وقال له : أنا قتلت طالوت فأمر داود بقتله ،فلما رأى الرجل أنه مقتول قال: إني لم أقتله، فقال له داود ألم تشهد على نفسك بالقتل ومن الذي يمد يده إلى سفك الدماء وينجو سالماً، ثم شق داود جيبه وجلس هو وأهله يندبون ويبكون على طالوت وبقوا مدة في تلك التعزية، ولعن داود مصرعه، فمن وقت دعاء داود لم ينزل على تلك الأرض غيث أبدا ،ثم اجتمع بعد ذلك بنو إسرائيل على داود فأول من تبعه سبط يهوذا وجعلوه وليا عليهم[٥]،فقام هو بتدبير سياستهم وضبط أمورهم حق القيام، وسار فيهم سيرة حسنة، وبقي يتولى أمورهم مدة سبع سنين وستة أشهر، وإنما تولى أمورهم لأن داود أيضا كان من سبط

---

[١]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٥٣.

[٢]- ورد اسمها في العهد القديم (برية زيف).العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٥٧.

[٣]- أنظر. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٥٤.

[٤]- سبب ذلك أن الفلسطينيين أصابوا طالوت بسهامهم فلما ثقل جرحه خاف من الوقوع بالأسر . العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الأول،ص٤٦٤.

[٥]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٦٦-٤٦٧. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٤٧-٤٨.

يهوذا، وكان يؤول نسبه إليه وهذا شرح نسبه : هو داود بن يشى بن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب (٢٩- و) ابن رام بن حصرون بن يارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام[١].

واستمرت سلطنة داود عليه السلام على هذا السبط هذه المدة المذكورة ،وأما باقي الأسباط الأحد عشر فإنهم بايعوا ابن طالوت وكان اسمه إيشبوشت فحكم فيهم مدة سنتين،ووقعت حروب شديدة في هذه المدة بين وزير داود وبين وزير إيشبوشت، فاتفق في تلك الحروب أنه قتل ابن طالوت في السنة الثالثة والثلاثين من عمر داود عليه السلام، وبقيت الأسباط الإحدى عشر مشتتين بلا ولي ولا سلطان إلى مدة خمس سنين،فلما دخلت السنة الثامنة والثلاثون جاؤوا بأجمعهم إلى خدمة داود النبي عليه السلام وبايعوه ورضوا بإيالته[٢]وسلطنته،وكانت بيعتهم في حبرون ،فحكم فيهم مدة ثلاث وثلاثين سنة،وانتقل من حبرون إلى بيت المقدس قبل بنائه، وفتح الله على داود عليه السلام فتوحا كثيرة واستخلص لبني إسرائيل عدة مواضع لم يكونوا قد ملكوها من بلاد فلسطين وبلاد عمان، ومآب، ونصيب[٣] وسرمين[٤] وغيرها من البلاد[٥]وقتل أخوة جالوت وكانوا أربعة، ومن جملتهم كان طاغوت[٦] رجلا جبارا من أعظم الجبابرة، وكانت أعضاؤه زائدة على أعضاء باقي الناس لأن أصابع يديه ورجليه كانت ستة ، ستة، وكان في غاية الشجاعة، وقيل أن غلظ رمحه كان مثل غلظ الأسطوانة[٧]،وسنان رمحه[٨] كان بعرض السيف ، وكان يحارب داود ويضاربه، فجاء شخص آخر من أصحاب داود عليه السلام وساعده على قتل طاغوت، فلم يبرحوا به حتى قتل ،وكان داود عليه السلام إذا دخل الحرب يحتد ويبالغ في القتال، وكان أصحابه يقولون فيه: لا يبرح هذا الرجل يقاتل حتى يقتل.

---

[١]- انظر. ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٦٩.أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٢.

[٢]- آل و يؤول الشيء أي رجع وصار إليه والإيالة هي السياسة والحكم فيما آل إليه من الأمور .ابن منظور: لسان العرب،ج١١،ص٣٢.

[٣]- اسم عبري معناه (عمود) وهي بلدت بيت نصيب جنوب فلسطين. قاموس الكتاب المقدس ،ص٦٥١.

[٤]- بلدة مشهورة من أعمال حلب قيل إنها سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم. الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٢١٥.

[٥]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٦٨-٤٧٣.

[٦]- ورد أسمه في العهد القديم (جليات بن رافا الجتي). العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٥٠٣.

[٧]- الأسطوانة هي السارية الحجرية التي المستخدمة في الأبنية. ابن منظور:لسان العرب،مج١٣،ص٢٠٨.الزبيدي:تاج العروس،ج٣٥،ص١٨٦.

[٨] سنان الرمح هي الحديدة الملساء الحادة في مقدمته . ابن منظور:لسان العرب،مج١٣،ص٢٢٠.

وقد ولد لداود ستة بنين في مدة سلطنته على سبط يهوذا،فلما تولى سلطنة سائر الأسباط ولد له سبعة آخرين، وحدثت له قصة أوريا[1] في السنة الخامسة والخمسين من عمره، وكان داود عليه السلام رجلا كثير الطاعات والعبادات، مع أنه كان معصوما، فاتفق أنه صعد السطح يوما وأخذ يتردد على السطح، فرأى امرأة عريانة تغتسل في السطح، فمال قلب داود إليها وهواها وشغف بها، فلما نزل من السطح طلبها إلى طاعته وبعث بزوجها أوريا إلى أمير العسكر ليبعثه إلى جانب يكون فيه محاربة شديدة عسى أن يقتل ،ويأخذ زوجته، فلما جاء أوريا إلى أمير العسكر أوقفه في وجه العدو إلى أن قتل ،ثم جاء ناثان النبي إلى داود عليه السلام وسأله على سبيل الاستفتاء : ماذا يقولون في شخص له ثروة ومكانة تامة من المال والمنال والحواشي والمواشي والأغنام ما لا حد لها ولا عد، ومع هذا طمع في زوجة رجل فقير وأخذها منه ؟ فقال داود في الجواب: عن هذا الرجل يكون ظالما فقال له ناثان أنت ذلك الرجل، لأنك صاحب ثروة ونساء كثيرات، ولم تكتف بهن حتى أخذت زوجة أوريا، فاعترف داود بجرمه وأقر بذنبه واستغفر ربه حتى تاب الله عليه وغفر له[2].

وفي السنة الستين من عمر داود قتل أبشالوم بن داود أحد إخوته وهو أمنون الذي كان بكر داود، وانهزم إلى ديار كشور[3]، وأقام هناك مدة سبع سنين ،وكان سبب القتل قضية ثامار، وحقيقة هذه القضية هي أن أبشالوم كانت له أخت من أمه اسمها ثامار فهواها أمنون وعشقها وشغف بها غاية الشغف بحيث مرض من عشقها، وكانت الأطباء المهرة يلازمون معالجته ،إلا أن علاجهم لم يكن ينفعه ،إلى أن عرف بعض الأطباء سبب مرضه فعلموه بأن يطلب ثامار من أبيه بحجة أن تخبز لك عدة أقراص وتتفقدك، فسأل أبشالوم أن تبعث ثامار إليه، فلما جاءت إليه واقعها ،فشقت ثامار جيبها وضربت خدها وخرجت من عنده صارخة، وهددت أمنون بأني أعلم إخوتي ليقتلوك، فبعث أبشالوم إلى إخوته وطلبهم جميعا وعمل لهم ضيافة خاصة وكانت الضيافة في بستان خارج البلد، فلما فرغوا من الضيافة وخرجوا قال أبشالوم لأخيه أمنون لا تمشي من عندي فإن لي إليك حاجة، فلما خلى به قتله ودفنه هناك، فلما شاع الخبر بأن أبشالوم قد قتل جميع إخوته،شق داود جيبه واستغاث وبكى إلى أن علم أنه لم يقتل من أولاده إلا شخص واحد وهو أمنون، والباقون في كنف السلامة، فعند ذلك هرب أبشالوم إلى كشور وبقي يكتب إلى خدمة والده ثلاث سنين ملاطفات،

---

[1]- انظر سورة ص الآية:١٧-٢٦.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص ٢٨٣-٢٨٥.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٧٠-١٧٣. ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص١٦٨-١٧٠.

[2]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٨٠-٤٨٣.

[3]- ورد أسمها في العهد القديم(جشور) وهو أسم عبري معناه جسر وهي مقاطعة بين حرمون وباشان . قاموس الكتاب المقدس ،ص١٨٢.

ويستغفر فيها عن ذنبه، ويستشفع بوزراء أبيه ونوابه إلى أن أعطاه داود الأمان على نفسه[١]،وفي السنة السادسة والستين خرج أبشالوم على أبيه، فلما عرف داود بالحال خرج من البلد لئلا يهلك من الرعية بسببه أحد، ومضى إلى الأردن،وأقام هناك عدة أيام إلى أن هجم أبشالوم على داود، وكبسه في منزله ،وقبض عليه، ثم انفلت منه داود وانهزم، وبعث النواب وقواد العسكر فاجتمعوا عليه، ثم برزوا إلى قتال أبشالوم ومازالوا به حتى قتلوه، ونقل أنه لما أرادوا قبض أبشالوم انهزم من العسكر فتبعوه،وكان راكبا ناقة[٢] فأخذته ناقته وعدت وكان في الطريق دخلة[٣]،فضربت به على بعض الأشجار الكبار، فتعلق شعره بأغصان الشجرة وخرجت الناقة من تحته ،وبقي أبشالوم معلقا، فأدركته العساكر ورموه بالسهام إلى أن مات فقطع يوآب[٤]رأسه وأتى به إلى داود[٥] فحزن داود من قتل أبشالوم وضاق صدره بحيث كاد يقتل نفسه من أسفه عليه، ثم اجتمعت الوزراء والأكابر والنواب ودخلوا على داود وأجلسوه على كرسي المملكة[٦].

وفي السنة السابعة والستين عاد داود عليه السلام إلى عمارة بيت المقدس[٧] وجمع من الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب شيئا كثيراً،وكان من الذهب العين مائة ألف بدرة[٨] كل بدرة منها عشرة آلاف مثقال، وكان من الفضة ألف ألف بدرة وكل غنيمة كانت تحصل لبني إسرائيل من الحروب والوقائع كانوا يأخذون منها قوتهم ويصرفون البقية في عمارة بيت المقدس.

وفي آخر السنة السبعين أمر داود عليه السلام بجمع الأئمة الهارونية، وقسمهم على أربعة وعشرين قسما ورتب لهم نوبات زمنية،ورسم عليهم أن كل جوقة منهم يخدمون بيت المقدس أسبوعا واحدا [٩]،فلما قربت وفاة داود وصى إلى ولده سليمان عليهما السلام وجعله خليفته في المملكة، وأمره لزوم تقوى الله تعالى وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمره بأن لا يترك القصاص على من أنكروا على داود،وأظهروا في وجهه كلمة الإكراه (٣٠- ظ) والعناد وطمعوا في

---

[١]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٨٤-٤٨٨.

[٢]- ورد في العهد القديم أنه كان يركب على بغل . العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٩٥.

[٣]- قصد بها الممر الضيق الذي تتشابك فيه أغصان الشجر. ابن منظور:لسان العرب،مج١١،ص٢٣٩.

[٤]- اسم عبري معناه (يهوه أب) وهو البكر من أبناء صروية أخت داود وقائد جيشه . قاموس الكتاب المقدس ،ص٧٣١.

[٥]- تفرد بها الهمذاني فلم يرد في العهد القديم غير أن غلمان يوآب ضربوا أبشالوم حتى مات .

[٦]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٨٩-٤٩٨.

[٧]- أختلف المؤرخون في قضية عمارة بيت المقدس انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر صموئيل الثاني،ص٤٧٦، ٥٠٨.الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٨٦.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٧٣-١٧٤. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٤٨.

[٨]- هي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة ألاف دينار ويقدم في العطايا ويختلف باختلاف الأزمنة وسميت بدرة تشبها بالبدر في كماله وسطوعه. الزبيدي:تاج العروس،ج١٠،ص١٤٢.

[٩]- نقل بتصرف. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٤٩.

ملكه ،وأمره بإتمام عمارة بيت المقدس وأخرج وثائق مشترى حدود القدس وسلمها إليه، ثم بعد أيام توفي داود عليه السلام وكان عمره سبعين سنة كاملة[1].

ذكر سليمان عليه السلام

ثم جلس بعده سليمان عليه السلام على سرير الملك، وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان يحكم بين الناس ويقطع الأمور ويفصلها برأيه الثاقب، وفكره الصائب، وبعث إلى أكابر بني إسرائيل فطلبهم ولما حضروا وعظهم وأوصاهم بتقوى الله وطاعته ،والتزام رعاية طرف الله، وألزمهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخوفهم يوم العرض وهو الموت والحالة التي قد تساوى فيها، ثم تكلم على النباتات والحيوانات من جهة تركيبها وطبائعها ولم يترك شيء من أجزاء الموجودات لم يتكلم فيه ،وبدء بالأشجار الكبار وانتهى الأمر إلى ذكر السعتر[2] التي تنبت في أصول الأشجار وأصول الحيطان، ثم صنف كتبا كثيرة في أنوع العلوم التي ظاهرها إشارة إلى أمور الدنيا وباطنها إشارة إلى النفس والعقل، واشتهر صيت سليمان بعدالته وعلمه وكرمه في أدنى العالم وأقصاه، فلما سمع ملوك الأطراف صيت غلبته واستيلائه بعثوا إلى حضرته أنواع التحف والهدايا وطلبوا منه الأمان ،فبعث صاحب صور إليه بجماعة من أهل صنعة البناء، وعدة أخشاب وعدة أقطاع من الصخور المنقورة تصلح لبناء بيت المقدس ،وجلب إليه من خزائن الملوك ،والسلاطين،من الذهب والفضة والأثاث والثياب والقماش من البلاد التي كانت في إيالة سليمان عليه السلام وغيرها، بحيث كان الذهب والفضة معبئة في بيت المقدس كالتلال، وأمر سليمان عليه السلام بأن يذاب الذهب والفضة ويسبك سبائك ويرمى في دروب بيت المقدس، وكانت المعاملة في زمانه بالذهب ولم يكن الناس يعتبرون الفضة،وعلت مرتبة سليمان عليه السلام بحيث كانت خيوله ودوابه وأمواله تجاوزت حد الحصر والعد ،وقيل بلغ عدد إسطبلاته أربعين ألفا، وصارت مملكته منبسطة عريضة.

وكان الناس في زمانه مرفهين آمنين فرحين متفقين بعضهم مع بعض ،متآلفين على أفعال الخير والمكاسب والمعاش والزراعة والتجارة، وعين على عشرة آلاف نفر من الرجال أنهم يشتغلون في قطع الأحجار والأخشاب ،وكان يطلق أجورهم من الخزانة،وعند انسلاخ الشهر كان يذهب عشرة

---

[1]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥١٢.

[2]- ورد في العهد القديم (الزوفا) وليس السعتر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥١٨.

آلاف آخرين ويرجع الأولون ،وكان العمل والأكرة[١] مع الأستاذين بتلك العمارة سبعين ألف نفر، والأستاذون الذين يقطعون الصخر كانوا ثمانين ألف نفر، وأهل العمارة ثلاثمائة آلف وثلاثمائة نفر[٢].

وكان ابتداء عمارة بيت المقدس في شهر أيار من سنة أربعمائة وثمانين من خروج بني إسرائيل من مصر،وكانت في بداية السنة الرابعة من مملكة سليمان عليه السلام، فبنى أساسها في مدة سبع سنين ،وفي السنة الحادية عشرة تم بنائه ،وكان طول البيت الخاص ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا،وارتفاعه ثلاثون ذراعا وحواشيه ورياضه ومرافقه خمسمائة ذراع ،وكلها مبنية بالصخور المنقوشة المنقورة اللطيفة والأخشاب المنوعة المتلونة بالألوان العجيبة والأصناف الغريبة،وأودع في كل خزينة من خزائن بيت المقدس أموالا كثيرة وعمل له أوان من الذهب والفضة التي كان داود عليه السلام قد رتبها في حالة حياته ،ورتب أيضا لتلك الجماعة الساكنين به وظائف من المأكولات من الدقيق والأغنام والدجاج والبط المسمن ولحم الصيد وغير ذلك مما يحتاجون إليه أن يصرف لهم من الخزائن[٣].

وفي سنة خمس وعشرين من مملكة سليمان جاءت إليه ملكة سبأ واسمها بلقيس[٤]، لما سمعت بحسن سيرة سليمان وعدله وغزارة علمه وحكمته وكرمه، وقالت لما وصلت إلى حضرة سليمان عليه السلام : لقد ازداد المخبرُ على الخبر وتضاعف المشهُود على المسموع فطوبى لأصحابك ورجالك وعبيد طاعتك الذين يحضرون دائما في خدمتك السامعين الفوائد الحكمِّية منك ،فتبارك الله الذي اختارك ملكا لبني إسرائيل، إذ من عزتهم على الله تعالى ومحبته لهم جعلك ملكا تحكم بينهم بالعدل وجاءت بلقيس إلى حضرة سليمان عليه السلام بتحف كثيرة وهدايا نفيسة، شريفة، فلما أرادت بلقيس الانصراف إلى مملكتها أمر سليمان عليه السلام خازنه بأن يحمل إليها أنواع التحف والهدايا مما لا يوجد عندها ،وصارت التجار من الأفاق وأطراف العالم يتوجهون إلى حضرة سليمان عليه السلام ،ويحملون إليه أنواع الجواهر النفيسة والدرر العزيزة والفصوص الثمينة ،وكان إذا اشترى جوهراً أو فصاً[٥] ثميناً يأمر الصناع بنقش اسمه عليه[٦]، فاتفق أنه كان جالسا يوما على سرير

---

[١]- أي الذين يحفرون الأرض . ابن منظور:لسان العرب، مج٥،ص٢٦.

[٢]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥١٨-٥١٩.

[٣]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥١٩-٥٢٥. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٣.

[٤]- انظر.سورة النمل الآية:٢١-٤٤. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،مج١ ،ص٢٨٩-٢٩٢.ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١،ص١٧٦-١٨١- ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص١٨٠-١٨٤.

[٥]- فص الشيء أصله وجوهره وفص الخاتم ما ركب فيه. ابن منظور:لسان العرب،مج٧،ص٦٦.

[٦]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٣١-٥٣٢.

مملكته وكرسي سلطنته دخلت عليه امرأتان فقالتا : نحن ساكنا بيت واحد فجاء لكل واحدة منا ولد في ليلة شديدة الظلمة،فجاءت هذه المرأة بولدها الميت ووضعته إلى جانب ولدي الحي وأخذت ولدي وذهبت به،فالتفت سليمان عليه السلام إلى المرأة الثانية وقال : ماذا تقولين في الجواب،فقالت:لا والله بل الولد ولدي الحي وولدها كان ميتا ،فأمر سليمان عليه السلام بأن يؤتى بسيف وقال للمرأتين : أحضروا الولد الميت والولد الحي لأقطعه نصفين بهذا السيف، وأعطي كل واحدة منكما نصف الحي ونصف الميت ، فقالت أم الولد الحي : يا نبي الله هذا الولد الحي لهذه المرأة سلمه إليها ولا تقتله ، وقالت أم الميت إني رضيت بهذا الحكم لئلا يكون لها ولد ولا لي ، فقال سليمان عليه السلام : إن الولد الحي للمرأة التي منعت قتله قد تحقق ذلك عندي[١]،فسلموه إليها والجماعة الحاضرين في خدمة سليمان عليه السلام من العلماء والحكماء تعجبوا من ذكاء سليمان عليه السلام وفطنته وأثنوا عليه[٢].

وكانت مدة ولاية سليمان عليه السلام أربعين سنة ،فلما فرغت عمارة بيت المقدس اجتمع بنو إسرائيل إلى حضرة سليمان عليه السلام وذبحوا القرابين، فدعا سليمان إلى الله عز وجل وتضرع إليه في قبول تلك القرابين ،فانزل الله سبحانه وتعالى نارا، فأكلت القرابين بأسرها، ثم ابتدأ بعدها بعمارة دار السلطنة في مقام صهيون[٣] في سنة اثني عشرة من مملكته وسلطنته، وأتمها في مدة ثلاث عشر سنة[٤]،وأما ملوك الأطراف وسلاطينها فإنهم كانوا يعرضون عليه حوائجهم ويسألون منه الأشياء المشكلة والأسرار الخفية ،ويستفتون منه في أمور الدنيا والدين وكان يجيب عن جميع الأسئلة (٣١- و) ويقضي جميع الحوائج على أحسن الوجوه ،وعاقبة الأمر توفي، وطار طائر روحه من قفص البدن وكان عمره اثنين وخمسين سنة [٥].

---

[١]- ورد في الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :((بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى)). البخاري:صحيح البخاري،باب أحاديث الأنبياء، ص٨٤٨-٨٤٩ . مسلم: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب بيان اختلاف المجتهدين ،ج٣،ص١٣٤٤.

[٢]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥١٦.

[٣]- اسم عبري معناه (حصن)وهو حصن يبوس أحتله داود وسماه مدينة داود ويقع على رابية من الروابي التي تقوم عليها أمدينة القدس. قاموس الكتاب المقدس ،ص٣٨٢.

[٤]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٢٤-٥٢٥.

[٥]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٣٥. العهد القديم (التوراة)،أخبار الأيام الثاني،ص٦٦٦.

ذكر خلفاء سليمان عليه السلام

ثم اجتمع الناس بعده إلى ابنه رحبعام وقالوا له :إن أنت سامحتنا وراقبتنا وخففت عنا وراعيتنا بايعناك، فاستمهل رحبعام إلى ثلاثة أيام وشاور ندمائه و وزرائه من العلماء والحكماء من المشايخ فقالوا له: إن أنت سامحت الناس اليوم وترفقت بهم صاروا جميعا عبيدك وانقادوا لك في السنين الآتية ، ثم جاء إلى الوزراء الأحداث وشاورهم فيما قيل، قالوا : لا تلتفت أنت إلى قول المشايخ ولا تبال بالعوام وقل لهم إن خنصري هذا أغلظ و أقوى من خنصر أبي سليمان، فلما انقضت المدة اجتمع الناس ليسمعوا الجواب فقال رحبعام: إن إصبعي الصغرى أغلظ من ظهر أبي سليمان . فارتد بنو إسرائيل منه بالمرة ويأسوا منه وخرجوا من عنده وتركوه وقالوا:إن كل من لا يراعي جانبنا ولا يدارينا فلا نطيعه ولا ننقاد له وأعرضوا بأجمعهم عن حكم بيت آل داود ،وتوجهوا إلى يربعام بن نابط وكان من سبط أفرايم وبايعوه ،وكان حكم رحبعام سبع عشرة سنة بقي على سنة أبيه وجده ثلاث سنين، وفي السنة الرابعة خالفهما ،ولما صارت خمس سنين خرج عليه ملك مصر واسمه شيشق،وقصد مملكة رحبعام، واستولى على جميع مملكة رحبعام ونهب الخزائن المودعة منذ زمان داود وسليمان عليهما السلام ،إلا أنه لم يقتل أحدا أبدا [1].

ثم تولى بعد رحبعام ابنه أبيا مدة ثلاث سنين، وتحارب مع ياربعام على طمع أن يخلص المملكة من يده ،وانتصر عليه، إلا أنه لم يستخلص جميع الأملاك .

ثم بعد أبيا تولى ابنه آسا مدة أحدى وأربعين سنة، وخرج عليه في السنة الخامسة عشرة رجل من الحبشة يقال له زارح الحبشي ومعه جماعة من عساكر الحبشة، فتضرع آسا إلى حضرة الباري تعالى، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعائه وأمده بمعونته، فلما حاربه كسر عسكره وهزمهم[2].

ثم تولى مكانه ابنه يهوشافاط ، وتولى مكان أبيه أربعا وعشرين سنة، ثم جاء أولاد العيص ووقعت المحاربة بينهم في برية قفرا، فقتل من الجانبين خلق كثير ووقعت هيبة عظيمة في قلوب الأمم من يهوشافاط ،لأنه كان متمسكا بقاعدة الدين و مواظبا على مراسم الشرع ،يفصل الأمور بوجه الشريعة ويقضي بالحق إلى أن درج إلى رحمة الله تعالى[3]، ثم تولى بعده ابنه يهورام مدة ثمانية سنوات وستة أشهر ،ثم تولى بعده ابنه أخزيا مدة سنتين وقتل بعد ذلك، وبقيت المملكة ضائعة

---

[1]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)، سفر الملوك الأول، ص٥٣٤-٥٤١.
[2]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)، أخبار الأيام الثاني، ص٦٧٠-٦٧٢.
[3]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)، أخبار الأيام الثاني، ص٦٧٤-٦٧٨.

مدة سبع سنين ،ووقعت الفتن والشرور في تلك الفترة لأن عثليا[١] كانت يتبع نسل داود عليه السلام ويقتلهم ،ولم يخلص من ذرية داود إلا رجل واحد اسمه يهوآش ، ثم تولى في آخر الأمر يهوآش بن أخزيا وكان صغير السن ،فلما بلغ سنه سبع سنين أمر بجمع الأئمة الهارونية وطلب الأمام الأكبر وهو يهوياداع وجميع الرؤساء والأكابر وبايعوه وعقدوا له لواء السلطنة مدة أربعين سنة، وجدد في السنة العشرين من ولايته عمارة بيت المقدس ورممه .

ثم تولى بعده ابنه أمصيا مدة خمس عشرة سنة[٢]،وقتل بعد ذلك في قرية لخيش[٣]، ثم تولى السلطنة بعده ابنه عزيا ،فمكث في السلطنة مدة اثنتين وخمسين سنة إلا السنين التي كانت تكدرت بسبب عروض المرض حين دخل بيت المقدس وطلب جثة هارون النبي عليه السلام، فلما ابتلي بالمرض المزمن كان يدبر أمور الناس ابنه يوثام، فلما توفي أبوه استقل يوثام بالحكم وصار الحل والعقد بيده ، فحكم في المملكة مدة ست عشرة سنة وله مع الأعراب[٤] وأهل فلسطين وقائع كثيرة، وانتصر عليهم وظفر بهم وكسرهم جميعا ،ثم تولى بعده آحاز ابنه مدة ست عشرة سنة[٥]،وفي السنة الرابعة من ولايته ورد رصين ملك دمشق مع عسكر عظيم وقصده ووقعت بينهم حروب ،فجاء إشعيا النبي إلى آحاز ،وأخبره بأن حرب رصين لا تتم وبشره بالنصرة والظفر وقهر رصين ورده خائبا، وأشار إليه إشعيا بأمور يعتمدها ،وأعلمه بعلامات وثق بها فيما قال[٦]، ثم تولى مكانه ابنه حزقيا مدة تسع وعشرين سنة، وكان هذا حزقيا رجلا صالحا متقيا ذا سعادة ونصرة ومعتمدا على الله فيما يفعله، وكان كثير التعهد لأمور الشرع ورسوم القدس[٧]، وانقطع في زمانه ملوك باقي الأسباط، وكانت مدة نهايتهم إلى السنة السادسة من مملكة حزقيا وهذه السنين المذكورة كانت مرتبة بالسلاطين الأربعة عشر من آل داود عليه السلام الذين كانوا حكاما على سبط يهوذا وبنيامين، وكان الحاكم على الأسباط العشرة الأخر غير السلاطين الداودية ست عشرة سنة على هذا الترتيب وتفصيل أسمائهم وذكر سنيهم والحوادث الواقعة في زمانهم هو هذا .

---

[١]- هي أم الملك أخزيا يذكر بأنها حين علمت بمقتل أبنها أخزيا قامت بقتل وأبادت جميع النسل الملكي وقيل بأنها ملكت سبع سنين وأباحت الزنا في القدس. العهد القديم (التوراة)،الملوك الثاني،ص٥٧٩. ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص٥٨.

[٢]- ورد في العهد القديم أنه ملك تسعا وعشرين سنة. العهد القديم (التوراة)، أخبار الأيام الثاني،ص٦٨٦.

[٣]- مدينة محصنة في سهل يهوذا وكانت تعرف بتل الحصى وتقع إلى الشمال الشرقي لغزة . قاموس الكتاب المقدس ،ص٥٥٠.

[٤]- تفرد الهمذاني بهذا اللفظ .

[٥]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،أخبار الأيام الثاني،ص٦٨٠ -٦٩٠.

[٦]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٨-٥٨٩.

[٧]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،أخبار الأيام الثاني،ص٦٩٢.

فأما ياربعام فإنه حكم اثنتن وعشرين سنة ،ومنع الناس عن زيارة بيت المقدس، وأظهر الكفر والزندقة وعدل عن طريق الأئمة الهارونية ،وهدده الله تعالى على لسان الأنبياء بالعذاب الأليم والعقوبة السريعة، ثم تولى بعده ابنه إيليا مدة سنتين ،ثم جاء شخص اسمه زمري وخرج وقتل إيليا، وحكم مدة سبعة أيام ثم بعد ذلك قيض الله له سببا وقعت النار في القصر الذي كان هو فيه ،فاحترق القصر واحترق هو في القصر، ثم اختلف القوم من بعده في تدبير أمورهم،فقال قوم نفوض أمر التدبير إلى البتني ،وقال آخرون بل نفوضه إلى العمري ويبقيان مدة أربع سنين يحكمون بالشراكة، ثم توفي البتني واستقر الملك على العمري ،فمكث وحده مستقلا مدة ثمان سنين، وكان مجموع مملكتهم اثنتي عشرة سنة، ونقل أنه هو الذي بنى مدينة سبسطية[١] وبنى فيها حصنا حصينا ،ونقل مقامه إلى هناك وتوفي بها[٢].

ذكر الخضر وإليسع عليهما السلام

ثم تولى بعده ابنه أخاب اثنتين وعشرين سنة، وقتل أخاب رجلا زكيا تقيا عابدا اسمه نابوت اليزرعيلى، بسبب بستان كرمة كان له فطلبه منه فلم يسمح له بذلك وأبى أن يبيعه، وكان لأخاب امرأة سمها أوابل ،فرمت بجماعة ليفتروا على نابوت وشهدوا عليه بما يوجب هلاكه وبواره، فبهذه الحجة أمر بقتله وأكلت الكلاب لحمه وشربت دمه، فقالت المرأة لزوجها خذ الكرم الذي منحته لك، فركب أخاب ليذهب إلى بستان الكرمة الذي لنابوت،فلقيه خضر[٣] النبي عليه السلام في الطريق في الموضع الذي كانت(٣٢- ظ) الكلاب قد شربت دم نابوت: فقال له لابد لدم نابوت المظلوم أن يلحس دمك، فلما عبر على هذا الحديث ثلاث سنين ركب أخاب وأمر عسكره بالركوب وتوجه إلى محاربة سلطان مصر[٤]، فوقع على وجهه سهم لم ير راميه فقتله في الحال ،وكان قتله وقت مغيب الشمس،فامتنع عسكره عن المحاربة وحملوه إلى موضع قتل نابوت المظلوم، وكانوا يغسلونه فجرى

---

[١]- بلدة من نواحي فلسطين وكانت تعرف سابقا بالسامرة وبينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس .الحموي: معجم البلدان، مج٣،ص١٨٤. قاموس الكتاب المقدس ،ص٣٠٤-٣٠٥.

[٢]- انظر. العهد القديم (التوراة)،سفر لملوك الأول،ص٥٤٢-٥٤٥. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٧.

[٣]- ورد اسمه في العهد القديم إيليّا التشبي وهو غير الخضر صاحب موسى عليه السلام. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥٥.

[٤]- ورد في العد القديم أن أخاب حارب ملك أرام وليس مصر. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥٦. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٧.

الماء والدم منه على تلك الأرض ولحسته الكلاب كما لحست دم نابوت المظلوم، فصح حينئذ كلام الخضر النبي عليه السلام ،وهلكت زوجته أيضا في ذلك القرب[1].

وأما تلك الحوادث التي حدثت في عهد خضر النبي عليه السلام وذكر ظهور معجزاته فإنها هذه، واسم الخضر كان في اللغة العبرانية إيليا، وأول ظهور الخضر الهاروني كان في السنة الرابعة من سلطنة أخاب ،ودبر أمور الملك مدة أربع وعشرين سنة ،ومن جملة ما أظهره الله تعالى على يد الخضر عليه السلام على سبيل المعجزة، هو أنه أوعد أخاب لما أخطأ و أذنب وعصا ،وقتل ذلك الرجل الصالح فانقطع المطر من ديار قومه وظهر فيهم القحط والجوع والغلاء إلى ثلاث سنين متواليات ،وهلك خلق كثير في تلك المدة على أيدي الظلمة ،وجمع الناس في آخر السنة الرابعة تحت جبل كرمل وأمرهم بذبح القرابين، ثم قال لعباد الوثن والأصنام :هل يقدر إلهكم على إنزال نار من السماء لتأكل هذه القرابين ،فلما عجزوا واضطربوا في أمورهم، تضرعوا إلى أوثانهم وبكوا بكاءً شديدا وتوسلوا إليهم فلم ينفعهم ذلك ،فدعا عند ذلك الخضر إلى الله تعالى فنزلت في الحال نار من السماء وأكلت تلك القرابين بعد أن كانوا قد صبوا الماء البارد عليها اثنتي عشرة مرة ،وحيث نزلت النار بدعاء الخضر احترقت جميع القرابين حتى احترقت الحجارة التي كانت تحت القرابين والتراب الذي كان تحت الحجارة أيضا احترق والمياه التي كانت بقرب تلك الأرض نشفت أيضا من شدة تلك الحوادث.

فلما رأى الناس تلك الحالة خروا ساجدين، واعترفوا بوحدانيته،وقتل في ذلك اليوم من الزنادقة أكثر من مائة وخمسين نفرا.

ونقل أن المدة التي أقسم فيها الخضر باسم الله الأعظم أنه لا يجيء المطر،ويظهر القحط ،والغلاء كان أكثر أوقاته يدور في الصحاري والجبال ولا يخالط الناس،وكان الله سبحانه وتعالى قد قيض غرابا يراقب حال الخضر،ويأتي من الطعام والشراب مقدار كفاف الخضر،وكان الخضر عليه السلام لم يقنع بما كان يأتي به ذلك الغراب،وأذن له في بعض الأوقات بالنزول من الجبل إلى بيت امرأة عجوز لم يكن عندها شيء من الطعام سوى كف من الدقيق وكف من السمن ،فلما رأى الخضر قلة حالها دعا لها بالبركة فبارك الله تعالى لها في ذلك القدر من الدقيق والسمن بحيث كفاها ذلك القدر لها ولأهلها ولمن يتعلق بها إلى زمان الخصب والسعد، وكان لتلك العجوز ولد واحد فتوفي ولدها ،فدعا الخضر إلى الله تعالى حتى أحيا ذلك الولد

[1]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥٤-٥٥٨.

الميت[١]، ثم سار الخضر عليه السلام بعد ذلك إلى مقام القدس وصعد جبل الطور وأقام في مقام موسى عليه السلام ،فأمره الله تعالى أن يستخلف إليسع في الرتبة والنبوة ويقيمه بمقامه نفسه، فاستخلف الخضر اليسع عليهما السلام[٢]،وفي السنة الثامنة من سلطنة أحزيا[٣]اتفق أن أميراً من أمراء العسكر مع جمع من أرباب الجند مقدار خمسين نفر بسبب كفرهم وضلالتهم وإساءتهم الأدب نزلت صاعقة من السماء وأحرقتهم جميعا ،ثم بعث مرة أخرى أميراً في بعض الأمور التي تتعلق بالضلالة والكفر فأذاقهم الله تعالى ما أذاق قبله من الإحراق بالنار والصاعقة[٤].

ولما توفي أحزيا وتولى ابنه يهورام[٥] رفع الله الخضر في الهواء، وكان سبب ذلك أن الخضر وتلميذه إليسع عليهما السلام كانا مارين في نهر الأردن بعد أن يبس النهر لهما، بسبب أن الخضر ضرب بكسائه على الماء فنشف الماء بإذن الله ،واحتف بالخضر فارسان أحدهما من نور والأخر من نار وكانا من ملائكة القدس، وهبت ريح عاصفة واحتملت الخضر إلى الهواء حتى غاب عن اليسع فبكى إليسع عند ذلك وتأسف وتحير على مفارقة الخضر عليهما السلام ولم يبق له من يأنس به، فهذه أخر معجزات الخضر عليه السلام[٦].

قلت نرجع الآن إلى ذكر الملوك من بني إسرائيل، فتولى بعد أخاب ابنه يهورام[٧]عدة سنين فقط، فسقط من رؤوس الدار إلى الصحن ومات[٨]،ولم يكن له ولد فتولى بعده أخوه [يهورام بن أخاب][٩]اثنتي عشرة سنة، فظهر في زمانه قحط وغلاء وجوع عظيم وهذا يهورام كان رجلاً صالحا متورعا زاهدا يلبس المسح تحت ثيابه وفوق المسح كان يلبس ثياب الملوك ،وكان مساعدا وناصراً للدين وقامعا للكفر، والزندقة ،وكان ينتقم من آل أحاب لكفرهم وضلالتهم[١٠]،ثم بعد وفاته تولى السلطنة رجل من سبط منشه وكان اسمه ياهو بن نمشي وبشره إليسع النبي عليه السلام لنصرة دين

---

[١]- نقل بتصرف . العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٤٦-٥٤٩.
[٢]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥١.
[٣]- هو أحزيا أبن أخاب ملك إسرائيل وكان تملك أخاب بعد مقتل أبيه. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥٩.
[٤]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٠.
[٥]- يهورام ليس ابنا لأحزيا بل أخوه. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦١. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٧.
[٦]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٢.
[٧]- توهم الهمذاني والصحيح أحزيا. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الأول،ص٥٥٩.
[٨]- توهم الهمذاني والصحيح أن أحزيا هو من سقط ومات وليس يهورام. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٠-٥٦١.
[٩]- ساقطة من الأصل وتم تداركها. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٣.
[١٠]- الصحيح بأن من أنتقم من بني أخاب هو ياهو . العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٧٧.

الله تعالى، وقتل الكفرة والزنادقة ،واحتال على عبدة الأوثان حيلة فنادى فيهم مناد وجمعهم في موضع واحد وأوهمهم أنه أيضا يتدين بدينهم ،ووكل عليهم جماعة يتفحصُ عن أحوالهم ويعرفُ المؤمن من الكافر فيميزهم عن المؤمنين ،فلما أخرجوا من بينهم المؤمنين أمر أصحابه وأتباعه والمؤمنين بأن يسلوا السيوف ،ويقتلوا المشركين كافة بحيث لم يخلص منهم نفر واحد وخربوا بيوت الأصنام بالمرة وكانت مدة ولايته خمسا وعشرين سنة [1].

ذكر معجزات إليسع

وأما ذكر معجزات إليسع النبي عليه السلام فإنها هذه وخوارق العادات التي جرت في زمانه، ونقل أن اليسع كان في أول عهده مشغولا بالفلاحة والزراعة، وكانت نفسه في غاية الشرف والتزكية والتقديس، وكان قد اعتاد الرياضة ،وهو مستعد لقبول الفيض والنور الرباني، وقد كان تلميذ الخضر وصاحبه، فلما أوحى الله تعالى إلى أستاذه الخضر بأن يستخلف اليسع فاستخلفه، وكان الخضر أيضا نبيا فصار إليسع أيضا نبيا وقيل أن الخضر عليه السلام اجتاز يوما عليه وهو مشغول بالحراثة والزراعة ،فرمى عليه ردائه فظهر فيه في الحال أمر من أمور النبوة وأحوال غريبة ،فقال إليسع عليه السلام حينئذ أمهلني حتى أذهب إلى البيت وأودع والدي ثم آتيك وأتمسك بمتابعتك وأتشرف بمشايعتك، فقال له الخضر عليه السلام ماذا رأيت مني من الصنع والأفعال حتى قبلت قولي على هذا الوجه، ثم ظهر فيه بعد ذلك نور من أنوار القدس فحينئذ كسر إليسع آلات الحرث جميعا ،وذبح البقرة وطبخها بتلك الآلات ،وأطعم الحاضرين، وتبع الخضر إلى حين رفع الخضر،فتمنى الخضر من إليسع عليهما السلام ليسأله عن كل شيء وما مقصوده ومطلوبه فسأله عن أشياء فأجابه عن كل ما سأله، ثم قال له إليسع إني أريد أن تهديني وترشدني عن الشر (٣٣- و) المركز في النفس ،ففي الجملة لما رفع الخضر عليه السلام تولى إليسع أمر الأمة مدة ستين سنة ،فشكا أهل أريحا إلى إليسع عليه السلام من ملوحة في مياههم ،فأخذ إليسع عليه السلام قطعة من الملح و رمى بها في الماء وقال كن حلوا بإذن الله، فحلي الماء في الحال والساعة [2]، فكذلك شكت إليه امرأة عجوز أرملة من نساء تلامذة الأنبياء عليهم السلام قلة مالها، ومنالها، وفقرها، واحتياجها ،وكثرة عيالها، والقروض المتراكمة عليها من قبل زوجها ،وأن أرباب الديون يريدون أن يأخذوا أولادها رهنا على دينهم ،فقال لها إليسع عليه السلام أخبريني بما عندك في البيت، فقالت المرأة والله لا أملك في بيتي سوى مقدار

[1]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٧٨-٥٧٩.
[2]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٢ .

كف من السمن، فقال إليسع عليه السلام :اذهبي واستعيري آنية واقلبي ذلك السمن فيها، فإذا امتلأت الآنية استعيري أنية أخرى واملئيها، فإذا امتلأت فاستعيري أخرى،ففعلت المرأة كما قال لها إليسع عليه السلام فامتلأت الأواني والظروف التي كانت عندها ،واستعارت بعد ذلك الأواني والظروف التي للجيران وباعت من السمن قدر ما أدى دينها ،وبقيت منه بقية لها ولأولادها.

وأكثر أوقات اليسع عليه السلام كان ينزل عند شخص من أهل شونم[١] وكانت امرأة هذا الشخص عاقرا، فدعا له إليسع عليه السلام، فوهب الله له ولدا ذكرا، فاتفق أنه مات، فشق على الرجل موت ولده، فدعا له اليسع عليه السلام فأحياه الله ،ونقل عن بعض تلامذته أنه أخذ قطعة من الحنظل ورمى بها في القدر على سبيل السهو، فأوحى الله تعالى إلى إليسع عليه السلام أن من أكل من هذه القدر فإنه يموت من شدة مرارته، فأمر بأن يرمى في القدر قدرا يسيرا من الدقيق فرمي فيه فانصلح وحلي وأكلوه ولم يضر بالآكلين[٢]، وكان أيضا يخبر سلاطين بني إسرائيل بأحوال العساكر الذين كانوا يقصدونهم ليكونوا مستظهرين مستعدين ،وكان أيضا يعلمهم كيف يحاربون وكيف يخدعون العدو، ونقل أن ملكا من أعداء بني إسرائيل سأل من الناس عن أحوال إليسع، فقالوا الرجل الذي يخبر بني إسرائيل عن أحوال العسكر , وما يقال له قالوا لا يمكن أن يكون مثل هذا الرجل إلا إليسع عليه السلام فإنه هو الذي يخبر عن المغيبات، فغضب عليه ذلك الملك وبعث عسكرا عظيما في قصد إليسع عليه السلام، فاتفق أنهم قبضوا عليه ،فدعا هو إلى الله ليخفيه عن أعينهم إلى أن ساقهم إلى بلد سلطان بني إسرائيل وأدخلهم البلد، فلما حصلوا في البلد كشف الله الغطاء عن أعينهم فرأوا أنفسهم في بلد العدو محاصرين، فاضطربوا وقلقوا وخافوا على أرواحهم، فأراد ملك بني إسرائيل أن يؤذي عسكر العدو، فمنعه إليسع عليه السلام وردهم إلى أوطانهم سالمين [٣]،وقيل أنه يوما ورد عليه جماعة ضيوفا ،فقال له علّافه في البيت عشرون رغيفا،وقد ورد مائة نفر من الضيفان، فقال اليسع عليه السلام يأكل كلهم منه، ويبقى لنا منه بقية، وكان كما قال،فأكلوا من الرغفان وبقيت منه بقية[٤].

ونقل أن ملك دمشق ظهر به مرض صعب فبعث بوزيره إلى ملك بني إسرائيل يستشفعه في نفسه إلى إليسع عليه السلام ليدعو له لعل الله تعالى يشفيه من ذلك الداء، فبعث ملك بني إسرائيل إلى إليسع وشفع له والتمس منه الدعاء له، فقال اليسع عليه السلام ليدخل في دمشق النهر الفلاني ويسبح فيه فإنه يزول منه البرص في الحال، فقال الوزير لا يكون نهر دمشق خير من نهركم ،وكان ظني

[١]- مدينة كنعانية تقع على بعد ١٦ميل من جبل الكرمل. قاموس الكتاب المقدس ،ص٣٦١.
[٢]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٤-٥٦٦.
[٣]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٩-٥٧٠.
[٤]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٧.

أنك تجيء وتمسح يدك على جسمه ويزول ببركة يدك،فلما رجع الوزير إلى الملك حكا له ما أشار به إليسع عليه السلام ،فتعجب من تلك المعالجة الغريبة ،فشاور فيها أصحابه، فقالوا: لا بأس بالتجربة، فنزل الملك إلى بعض الأنهار واغتسل منه، فلما صعد من الماء زال المرض منه وشفي، فبعث على يد الوزير جائزة سنية إلى إليسع ،فلم يقبل اليسع عليه السلام ورد الجائزة بأسرها ،فلما رجع الوزير بالمال تبعه غلام إليسع من غير علم إليسع عليه السلام ،وأخذ منه بدرتين فكشف الله تعالى ذلك إلى اليسع عليه السلام ،فلما وصل الغلام لعنه إليسع عليه السلام ودعا عليه، فابتلاه الله تعالى بمرض الملك ،فشفى الله شخصا وابتلى شخصا [١]،ونقل أنه ظهر في بلاد الشام قحط وغلاء عظيم وكان ذلك بسبب مجيء عسكر الآرامين إلى بلاد بني إسرائيل ومحاصرتهم،فلما اشتد الأمر على بني إسرائيل بشرهم إليسع عليه السلام برخص الغلة بعد أن كان في غاية العزة، فقال تصبحون غدا في رخص ورفاهية من كثرة الغلات، فقال حاجب الملك مستهزئا: لو مطر الغلة من السماء لما رخصت الأسعار غدا ،فقال إليسع عليه السلام: والله تراها ولا تأكل منها ،فلما أصبحوا سمع عسكر العدو صهيل الخيل وقعقعة السلاح وصوت الطعن والضرب فأوقع الله تعالى في آذانهم هذه الأصوات، فخافوا وانصرفوا وتركوا الغلات والحبوب بحالها، وحيث انهزم عسكر الآرامين خرج أهل البلد وأخذوا جميع تلك الغلات التي كانت محرزة للعدو، وأدخلوها البلد، وباعوها بسعر رخيص ،وخلص الناس من الغلاء وتغلب عوام الناس على ذلك الحاجب الذي قد أستهزئ بإليسع ولم يبرحوا حتى قتلوه، فصح حينئذ قول إليسع عليه السلام يراه ولا يأكل منه، رأى الرخص بعينه ولم يأكل منه[٢]، ونقل عنه أيضا أنه لما حضرته الوفاة أخبر ملك بني إسرائيل وهو يوآش بأن عسكر المصرين يحاربونك ثلاث مرات وتكون النصرة والظفر لك عليهم، فكان كما قال بعينه[٣]،ثم تولى بعده[٤] السلطنة في بني إسرائيل ابن يهوأحاز مدة ثلاث عشرة سنة، وحاربه ملك دمشق وضيق الأمر عليه، ولطف الله وحفظه من شر عدوه[٥]، ثم تولى بعد يهوأحاز ابنه يوآش مدة سبعة عشرة سنة وكان اسمه مشابه اسم يوآش الداودي وهوا أمصيا ،وانتصر عليه، وخرب مقدار أربعمائة ذراع ،ثم تولى مملكة بني إسرائيل ابنه يربعام ومكث في المملكة إحدى وأربعين سنة، وهو الذي خلص القرى التي كانوا قد انتزعوها من بني إسرائيل وتلك القرى كانت من مدخل حماة إلى [بحر عربة][٦].

---

[١]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٦٧-٥٦٩.
[٢]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٧١-٥٧٢.
[٣]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٣.
[٤]- المقصود هنا ياهو ملك إسرائيل .
[٥]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٢.
[٦]- سقطت من الأصل وتم تداركها. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٥.

ذكر يونس عليه السلام

وأما قصة يونس بن متى عليه السلام فإنها هذه، وكان أول ظهور يونس بن متى في زمان يربعام، وهو اشتهر بذي النون أرسله الله تعالى إلى أهل نينوى وقيل أن بلدة الموصل هي الآن مكان نينوى، ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى ويعدهم برحمته ويبعدهم عن عصيانه ،وأمهلهم إلى ثلاثة أيام حتى يتوبوا،فإن لم يتوبوا ويرجعوا عما هم فيه فستقلب أرضهم ومن عليها وتقطع، فلما لم يسمعوا كلام يونس عليه السلام، ولا أقلعوا عن المعاصي (٣٤- ظ) رأى يونس عليه السلام من المصلحة أن يفر من تلك الورطة الهائلة ،فهرب من هناك ولم يصل إليه من أخبار وصول الآفات والعذاب إلى أهل نينوى، فركب يونس عليه السلام السفينة، فأرسل الله تعالى ريحا عاصفة إلى أن كادت السفينة تنكسر، فقال الملاحون لما رأوا تلك الواقعة، وخافوا على أنفسهم وعلى ركبانهم، والتجأ كل زاهد إلى الله سبحانه وتعالى، ودعوا إلى الله بالنجاة والخلاص ،ورمى كل واحد ما كان معه من المتاع لتسكن السفينة فلم يفدهم شيء، ثم اتفقوا على أن بينهم مجرم قد اضطرب البحر بسببه وجاش ،فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس عليه السلام،فأباح يونس نفسه للهلاك فقال : ألقوني في البحر حتى يسكن البحر وتمشي أموركم وتروج معايشكم، فألقوا به إلى البحر فلما رموا به سارت السفينة سالمة، فالتقم الحوت يونس عليه السلام ،وبقي في بطنه ثلاثة أيام بلياليهن وهو يسبح ويهلل في بطنه، فدعا الله فقذفه الحوت على الشط، ثم عاد يونس عليه السلام إلى نينوى ،وكان ذلك الموضع بلدا كبيرا بحيث كانت مسافة حدوده ثلاثة أيام ،وكان يونس عليه السلام ينادي في الأسواق والدروب، ويدعو الناس إلى الله وطاعته، فقبل القوم دعوته وآمنوا بوحدانية الله تعالى ،وتابوا من الكفر والمعاصي، ورجعوا إلى الله وصاموا جميعهم، فأمر ملكهم بأن يفرش له الرماد ،وجلس عليه، ولبس المسوح، وأمر بأن يصوم الناس حتى صوموا الحيوانات أيضا، فلما ظهرت توبتهم تجاوز الله عنهم وعفا عن ذنوبهم ودفع عنهم تلك الآفة، وكان يونس عليه السلام قائما على باب البلد يترقب نزول العذاب ويترصده، فأنبت الله عليه شجرة الخروع[1] لتصونه من الحرارة والبرودة، وترمي عليه ظلها، ثم استولى الدود على عروق تلك الشجرة ،فقطعت ويبست من شدة حرارة الشمس، فتألم يونس عليه السلام بالحر، فأوحى الله إليه أن يا يونس تألمت بفقدان شجرة ورثيت لها، وكان نباتها ويباسها في يوم وليلة ،فهلا أشفقت على أهل البلد وتأسفت عليهم، فإن فيهم كذا كذا ألف طفل صغير لم يذنبوا، وفيهم أيضا من

[1]- توهم الهمذاني هي شجرة اليقطين قال تعالى في سورة الصافات وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. سورة الصافات الآية١٤٦. العهد القديم (التوراة)،سفر يونان،ص١٢٦٠.

الحيوانات والدواب والوحوش والطيور مما لا يعرف شماله عن يمينه ،فمثّل الله ليونس عليه السلام بهذه الدقيقة[١].

ذكر الملك فلنسر وسبيه لبني إسرائيل

ثم تولى بعد يربعام ابنه زكريا، وكانت مدة مملكته ستة أشهر ،ثم خرج شلوم بن يابيش وقتل زكريا واستولى على المملكة مدة عشرين سنة، وهذا شلوم هو الذي استخلص بلدة غزة وفتحها،ثم تولى مكانه[٢] ابنه فقحيا مدة سنتين، ثم تولى بعده فقحيا بن رمليا مدة عشرين سنة، وفي زمان هذا فقحيا خرج الملك فلنسر[٣] عليه واستولى على طائفة من سبط روبين، وسبط جاد ، وملك نصف المملكة من سبط منشه وانطلق بهم أسرى إلى خراسان وأسكنهم بلدة بلخ ،ثم استولى على المملكة بعد فاقحيا،هوشيع بن أيلة مدة ثمان عشرة سنة ،وكان مدة تسع سنين منها مطيعا لملك الجزيرة فلنسر[٤]، ثم عصى عليه إلى آخر عهده، فبعث فلنسر إلى محاربته عسكرا وحاصره في بلده[٥] ثلاث سنين على التوالي ،وفي آخر الأمر فتح البلد وخربها، وكان الباقي من الأسباط سبعة أسباط ونصف سبط، فأخرجهم جميعا من تلك البلدة ورحلهم من تلك الأراضي وفرقهم في الآفاق، فمنهم من سكن بالعراق، ومنهم من سكن نهاوند[٦]،ومنهم من سار إلى خراسان وسكن ببلخ وهراة[٧]،وبعضهم سكن بابل، والكوفة، وبرس[٨] وغيرها من المواضع، ومنهم من سار إلى الشام، فصاروا ذليلين مساكين

---

[١]- انظر . سورة الصافات الآية :١٣٩-١٤٨. العهد القديم (التوراة)،سفر يونان،ص١٢٥٨-١٢٦١ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص٢٧٨-٢٨١.

[٢]- هنا نقص في الخبر فبعد صعود شلوم بن يابيش إلى سدة الملك في مملكة إسرائيل ثار عليه منحيم بن جادي وقتل شلوم وجلس على عرشه ثم خلفه في الحكم ابنه فقحيا . العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٦-٥٨٧.

[٣]- ورد أسمه في العهد القديم (تغلث فلاسر). العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٧.

[٤]- توهم الهمذاني والصحيح (شلمنأسر). العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٩٠.

[٥]- هي مدينة السامرة وكانت عاصمة مملكة إسرائيل. العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٩٠.

[٦]- نهاوند بفتح النون الأولى وتكسر والواو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام أي نوح وضعها وإنما اسمها نوح أوند فخففت وقيل نهاوند وقيل أصلها بنوهاوند فاختصروا منها ومعناه الخير المضاعف.الحموي: معجم البلدان، مج٥،ص٣١٣.

[٧]- مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان بقرب بوشنج وهي كثيرة البساتين والمياه. الحموي: معجم البلدان، مج٥،ص٣٩٦. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،،ص٥٩٤.

[٨]- برس بالضم موضع بأرض بابل به آثار لبخت نصر وتل مفرط العلو يسمى صرح البرس وإليه ينسب عبد الله بن الحسن البرسي كان من أجلة الكتاب وعظمائهم ولي ديوان بادوريا في أيام المعتضد العباسي . الحموي: معجم البلدان، مج١،ص٣٨٤.

بحيث تسلطت عليهم السباع والوحوش،[1]وذلك بسبب أنهم تجاوزوا حدود الله، وعملوا بخلاف نص التوراة فرفعوا هذه الحال إلى ملك الجزيرة ،فأمر فلنسر لبعض الأحبار السامرة أن يتعلموا التوراة ويعلموها الناس من بني إسرائيل، فلما تمت السنة الثامنة من سلطنة هوشيع بلغت ذلك الوقت السنة الخامسة من سلطنة حزقيا الداودي[2]، ومجموع سلاطين آل داود حكموا مائتين وتسعا وأربعين سنة،ومجموع زمان السلاطين غير الداودية (٣٥- و) كان مائتين وإحدى وخمسين سنة،وعدة سلاطين آل داود أربعة عشر سلطانا ،وعدة السلاطين غير الداودية تسعة عشر سلطانا، وبسبب مشاركتهم في السلطنة واتفاقهم في الحكم بحيث كان نفران يحكمان في سنة واحدة يسقط من السنين الأولى سبع سنين، ومن السنين الثانية تسع سنين ،فبقي مائتان وأربعون سنة ،فيكون حساب هذه السنين على هذا التقدير قد تم،وقد حدث في هذه السنين حوادث ووقائع كثيرة، وقد كان ذكرها مكتوبا في الدواوين فانعدم بالمرة لطول العهد والتشتيت الذي حدث لبني إسرائيل،ونقل أن في زمان يربعام بعض من الأعداء مد يده إلى نبي من الأنبياء بني إسرائيل ليقبض عليه،فيبست يده بالحال ،ثم تضرع إليه ذلك الشخص ليدعو له، فدعا له النبي فانصلحت يده في الحال وصارت كما كانت قبل هذا، وقيل أن سبط يهوذا وسبط بنيامين بقيا مكانهم بعد تفرق سائر الأسباط،ومكثوا في بلادهم مدة بعد التفرقة مائة وثلاث وثلاثين سنة ناقصة ،ويكون الحساب التام مائة كاملة وانتهت سلطنة حزقيا في آخر سنة ثلاث وعشرين [3].

ذكر بختنصر وخراب بيت المقدس

وفي السنة الرابعة من سلطنة حزقيا توجه ملك الموصل سنحاريب مع عسكر جرار إلى ملك حزقيا ،وقصده بالأذى ،وتكلم في حق الباري تعالى كلاما لا يليق بجنابه، وكذلك في حق حزقيا قال قولا فاحشا يوجب الكفر والزندقة ،فدعا الله حزقيا أن يدفع شره عنه، فبعث الله ملكا ألقى السم بالماء الذي كان يشربونه ،فمات في ليلة واحدة من عسكر سنحاريب قدر مائة وخمسة وثمانون ألف رجل، فلما أصبح سنحاريب ورأى أكثر عسكره قد هلك بغير سبب خاف وانهزم، واعترف جماعة من عسكره بوحدانية الله تعالى، فسلموا ومرض حزقيا فأوحى الله تعالى إليه أن أجلك قد قرب فينبغي أن

[1]- بلخ مدينة مشهورة وهي من أجل مدن خراسان وأكثرها خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم وقيل أن أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بخت نصر بيت المقدس وقيل بل الإسكندر. الحموي: معجم البلدان، مج١،ص٤٧٩ .

[2]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٨٧-٥٩٣.

[3]-. أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٦-٤٧.

توصي، فسأل حزقيا من الله تعالى أن يشفيه من ذلك المرض فشفاه الله تعالى وزاد في عمره خمس عشرة سنة ،وكان مرضه في البواصير والجراحات ،فأشار عليه اشعياء أن يطليه بالتين الأخضر فبرء في الحال وهذه معالجة بالضد[١]،ثم تولى بعده ابنه منسى وهو ابن اثني عشر سنة ،فمكث في السلطنة خمسا وخمسين سنة، فأسس الأمور الرديئة،وأظهر الشرك والكفر وعبادة الأصنام ،وبقي في هذا العصيان والفساد اثنتين وعشرين سنة، ثم خرج عليه ملك الجزيرة وقبض عليه ،واتخذه أسيرا إلى الجزيرة ،وحبسه في بطن جمل قد عمل من النحاس ،وسد المنافذ عليه وأمر بأن يوقد تحته، وترك منسى،فأخلص منسى في مضيق ذلك الحريق ،وتضرع إلى الله وتاب وأناب إليه، فاستجاب الله دعائه وخلصه من تلك الورطة الهائلة[٢]،وعاش بعدها ثلاثا وثلاثين سنة[٣]،وتولى السلطنة بعده ابنه آمون وحكم مدة سنتين، ثم بعده ابنه يوشيا ومكث في الحكم مدة سنة واحدة،فاستجد فيه عمارة بيت المقدس و رقمها، ثم تولى بعده ابنه[٤] وخرج عليه ملك مصر وحمله أسيرا إلى مصر وبقي هناك إلى أن مات، ثم بايع الناس أخاه يهوياقيم وبقي في المملكة إحدى عشر سنة.

وفي السنة الرابعة من مملكته ظهر سلطان عظيم الشأن من أرض نينوى اسمه بختنصر، وكان مقامه بأرض بابل، وغزا في السنة الخامسة اليهود وقتل فيهم قتلا ذريعاً،وحارب ملك بني إسرائيل وهو يهوياقيم،وظهر بختنصر عليه فأطاعه وانقاد له مدة ثلاث سنين، ثم عصى عليه بعد ذلك فبعث بختنصر عسكرا إلى بلاد يهوياقيم فقبضوا عليه واتوا به، فلما صار في الطريق مات وكان قد وصى إلى ابنه يهوياكين بالخلافة ،فلما مضى من وقت وفاته ثلاثة أشهر وعشرة أيام بعث بختنصر إلى يهوياكين واتى به إلى بابل ،وأمر بحبسه ،وولى مكانه عمه صدقيا أخو يهوياقيم ومكث مدة إحدى عشر سنة في طاعة بختنصر، وفي آخر عهده عصى عليه، وأما أرميا النبي الهاروني فإنه كان في عهد صدقيا وبختنصر، وكان يعظه ويعظ قومه ويأمرهم بالإنابة والتوبة ويرغبهم بالطاعات، فأنكر عليه بختنصر ولم يقبل نصيحته وقصد هلاكه ،فما تمكن منه وكان أرميا الهاروني يخوفهم ويهددهم بمجيء بختنصر، وقتلهم، ونهبهم ، وقتل أولادهم، وسبي ذراريهم، وحرقهم، وأسرهم، واستأصلاهم، وكان يعين لهم وقت مجيء عسكر بختنصر إليهم ،فلما صار ذلك الوقت جاء وزير بختنصر واسمه نبوزرادان بعسكر لا يمكن حصره ،ولا يدرك الوهم حده، فلما جاء إلى بيت المقدس حاصره مدة ثلاث سنين ناقصة، وكان ابتداء محاصرتهم اليوم العاشر من كانون الآخر الموافق من اليوم العاشر

---

[١]- نقل بتصرف .العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٥٩٣-٥٩٧.
[٢]- تفرد الهمذاني بهذه الرواية.
[٣]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر أخبار الأيام الثاني ،ص٦٩٩-٧٠٠.
[٤]- هو يهوآحاز بن يوشيا. العهد القديم (التوراة)،سفر أخبار الأيام الثاني ،ص٧٠٥.

من شهر طيبث[1] الذي يصوم به بني إسرائيل، وكان آخر المحاصرة في اليوم التاسع من شهر تموز من السنة الحادية عشر ،فوقع في البلد بسبب الحصار قحط وبلاء عظيم، وغلب الجوع على الناس حتى أكل بعضهم البعض فثقبوا في السور ثقبا وخرج أهل البلد من الثقب وانهزموا، فتبعهم العسكر فأدركهم وقبضوا على صدقيا وعلى الرؤساء الذين كانوا معه وأتوا بهم أسرى إلى خدمة بختنصر ببابل، وفي اليوم العاشر من شهر آذار أضرموا النار في البيت المقدس وأحرقوه وقتلوا من كان فيه جميعا بحيث لم يتركوا نفسا واحدة إلا الضعفاء والمساكين ،وولوا عليهم رجلا صالحا من غير آل داود اسمه جدليا بن أخيقام ،فمكث هذا اثنان وخمسين يوما في الملك ،فسلط أولاد عمون شخصا وحرضوه على قتل جدليا حتى قتله وتفرق الباقون إلى عمان، ومصر وغيرهما من الأطراف[2].

ذكر ذو الكفل عليه السلام

وظهر في الوقت الذي كانت هذه الفتنة ذو الكفل[3] الهاروني ،وكان معروفا بحزقيال بن بوزي الهاروني، ونسبه متصل بالنسب الشريف للإمام الأعظم هارون، وكان ذو الكفل مقيما بمدينة بابل بأرض الكلدانيين بعد انتقاله من بيت المقدس في السنة الثلاثين ،وكانت تظهر فيه الأسرار الإلهية والأقمار السماوية وينكشف عليه من الأسرار اللاهوتية وتنزل عليه الرسالات، فلما وصل إلى درجة النبوة حصل في نفسه العلو والانبساط ، وكان يرتفع عن أبناء منسي، ولما نزلت النبوة على ذو الكفل كان قد عبر خمس سنين من مملكة يهوياكين،ومن جملة كراماته أنه كان في أرض الكلدانيين في أعمال بابل فقال في بعض الأوقات أن الحرب قائمة في أرض الشام، فلما شاع الخبر لم يوجد بين التاريخين تفاوت أصلا [4]. ومن جملة كراماته(٣٦- ظ) أيضا أنه أحيي الموتى ،وهو أنه اجتاز على جبانة، فرأى فيها تلا من العظام البالية فقال ذو الكفل للعظام: تفرقي بإذن الله،وانتظمي،فافترقت

---

[1]- هو الشهر العاشر في التقويم العبري. البيروني:الآثار الباقية عن القرون الخالية ،ص٥٢.

[2]- نقل بتصرف .العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٦٠٤-٦٠٧.

[3]- ورد ذكر ذو الكفل في القرآن الكريم { وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}.
واختلفوا في ذا الكفل. فقيل إن نبيا من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل . سورة الأنبياء الآية ٨٥.الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن . ج١٨،ص٥١٠.البغوي(أبو محمد الحسين بن مسعود،ت٥١٦هـ/١١٢٢م):معالم التنزيل،تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م،ج٥،ص٣٤٨.

[4]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر حزقيال ،ص١١٧٤-١١٧٥.

العظام بإذن الله تعالى،ثم اجتمعت وظهرت بينهما العروق والأوتار ونبت عليه الحم وغشيها الجلد وتمت خلقة كل بدن، ثم أشار ثانية ذو الكفل عليه السلام إلى النفوس التي كانت مختصة بتلك الأبدان على أن ترجع إلى الأبدان فرجعت وعادت كما كانت أولا، فسبحان القادر على كل شيء[1].

في ذكر أنبياء بني إسرائيل

وقد ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب أن مجموع ملك آل داود في البلاد والأمصار كان مدة أربعمائة وخمسين سنة، ومجموع مدة إقامة بني إسرائيل في الشام من عهد يوشع بن نون خليفة موسى عليهما السلام كان ثمانمائة وخمسين سنة إلى آخر تولية الملك صدقيا الداودي، ولما خربت بلاد الشام، وخرب بيت المقدس، واحترق، فلم يبق في مجموع بلاد الشام من بني إسرائيل غير السامرة، فيقال أن سبب خراب الشام وإحراق بيت المقدس أن الله سبحانه وتعالى بعث نبيا صالحا في بني إسرائيل وكان هذا النبي يعظهم وينصحهم، فلم يكونوا يقبلون قوله، ولا يتعظون بنصيحته، فأرسل الله تعالى عليهم العذاب وأجلاهم عن مواطنهم المألوفة ومساكنهم القديمة , وأما الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام فإنهم على هذا التفصيل أولهم:اشعياء ، إرميا، حزقيال ، هوشيع ، يوئيل ، عاموس ، عزريا ، يونس ، ناحوم ، صفنيا ، حبقوق، محسيا ، زخريا ، ملاخي .

ثم بعد ملوك بني إسرائيل وبعد خراب بيت المقدس استولت على ملوك الشام ملوك الكلدانية، وكان أولهم الملك المعظم بختنصر، وبقي في الملك والحكم مدة خمس وأربعين،وكان منها ثمانية عشر سنة في دولة ملوك بني إسرائيل وسبع وعشرون في إهانة بني إسرائيل[2].

---

[1]- نقل بتصرف .العهد القديم (التوراة)،سفر حزقيال ،ص١١٨٢-١١٨٣.

[2]- انظر أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر،ج١،ص٤٨-٥٠.

ذكر دانيال عليه السلام

وحيث استولى بختنصر على ممالك بني إسرائيل، وأجلاهم عن أوطانهم ومساكنهم وأملاكهم،وأحرق البيت بجميع ما كان فيها من أسفار التوراة ،وكان الإمام الكبير الهاروني في ذلك الوقت يهوصاداق ،فأخذوه أسيرا مع جملة الأسرى ثم أمر بختنصر وزيره يختار له من زمرة بني إسرائيل صبية صبيحي الوجوه، حسنت سيرتهم،وكبرت عقولهم أصحاب قوة وقدرة، يتمكنون من ملازمة خدمتي فاختار له الوزير من فضلاء بني إسرائيل أربعة أنفس وهم دانيال، وحننيا ،وميشائيل وعزريا، وسلمهم إلى الملك وأوصاهم ملازمة خدمته ورعاية مصالحه ومحاوطة أسراره، وجعلهم من المعتمدين لديه ،وعين لهم الوظائف اليومية والشهرية من المأكول والمشروب والملبوس الضروري، فلما أراد دانيال أنه لا يلوث نفسه بأطعمة المشركين،وكان يبدل طعامه بالحبوب ويتناول منها ويتعلل مع أصحابه ،وكان دانيال يشتغل دائما بالرياضات البدنية، فألهمه الله تعالى تعبير المنامات، ففاق الناس في هذا المعنى، واطلع على الأسرار الإلهية، فاتفق أن بختنصر رأى مناما واستشعر منه فجمع المعبرين وسألهم عن تعبير تلك الرؤيا فعجزوا عنها، فأظهر الله تعبير تلك الرؤيا على دانيال،فجاء إلى بختنصر وأعلمه بتعبير رؤياه[1]، ثم اتخذ بختنصر صنما ونصبه في موضع معين ،وكان طوله ستين ذراعا ،وأمر بأن ينادى في الناس بأن كل من لا يسجد لهذا الصنم يلقى في النار ويترك حتى يحترق، فلم يكن دانيال هناك حاضرا وكان وزيراً في الأعمال يدور في النواحي ويشتغل بالعمارات ،وأما حننيا و عزريا وميشائيل[2] فإنهم كانوا حضورا، والموضع الذي كان الصنم فيه منصوبا يقال له دورا من أراضي بابل، فكان الناس يأتون إلى الصنم فوجا بعد فوج ويسجدون له، فلم يلتفت هؤلاء الأنبياء الثلاثة إلى بختنصر ولا سجدوا للصنم، فانحرج منهم بختنصر، وغضب عليهم فأخذ يكرر عليهم الأمر ليسجدوا فأبوا وقالوا إنا لا نسجد إلا لله تعالى الذي خلق السماوات والأرض، فأمر بهم بختنصر أن يلقوا في النار ،فألقوا في النار فنجاهم الله من النار، ولم يصل إليهم ضرر من النار بحيث أن رائحة الدخان أيضا لم تمس ثيابهم، فصانهم جبريل وخلصهم[3].

---

[1]- نقل بتصرف .العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص١٢٠٥-١٢٠٨.

[2]- وردت أسمائهم في العهد القديم على هذه الصورة (شدرخ , ميشخ، عبد نغو) وكان دانيال طلب من الملك تعيينهم على بعض الوظائف في ولاية بابل وهم غير حننيا وميشائسل وعزريا المتقدمة أسمائهم. العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص١٢١٠.

[3]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص ١٢٠٩-١٢١١.

وفي السنة السادسة والثلاثين من مملكة بختنصر رأى مناماً عجيباً قيل أنه رأى كأن ملكا نزل من السماء وقلع شجرة كبيرة الأغصان، وكانت تحت الأغصان وحوش كثيرة، وعلى رأس تلك الشجرة طير جالس، وبقيت تلك الشجرة مقلوعة مدة سبع سنين وعروقها كانت ثابتة،فبعث إلى دانيال وطلبه إليه وقص عليه الرؤيا والتمس منه تعبيرها، فقال دانيال :إن هذه الشجرة هو بختنصر وقلعها هو زوال عقله ،ويبقى على تلك الحالة مدة سبع سنين يدور في الجبال والبراري، يصحب الوحوش والضباع ،ثم بعد سبع سنين يعود إليه عقله وذهنه وترجع إليه المملكة ،فنصحه دانيال عليه السلام ليرفع عنه البلاء،فأمهله الله تعالى بواسطة الصّدقة سنة كاملة، ثم تكبر مرة أخرى فجاءه البلاء، وتغير عقله،وتشوش ذهنه ،وخرج عن المملكة وسكن البراري والقفار وصحب الوحوش والسباع، وألف العري والجوع حتى نبت على جسده من الشعر ما وارى جسده جميعا، وكان واق له من الحر، والبرد،ومياه الأمطار، وطالت أظفاره حتى صارت كمخالب السباع، ثم لطف الله به ورحمه وأعاد إليه عقله ، فخضعت نفسه وذلت، وظهرت فيه المسكنة ،والتواضع ،والتجمل، والوقار،واعترف بتحقيره وتقصيره ورجع إلى ممالكه ،ثم بعد ذلك حكم بموجب العقل والعدل إلى أن مات[١]، ثم تولى السلطنة بعده ابنه أويل مدة ثلاث وعشرون سنة ،وفي السنة الأولى من مملكته أمر بإخراج يهوياكين الداودي من الحبس ،وأحسن إليه ،وخلع عليه خلعة سنية،وأمره بملازمة الحضرة، وصار نديمه وجليسه إلى أن مات[٢]، وقبره بنهر الملك[٣] من أعمال بغداد، وقيل أن هذا النهر يعرف به، ثم تولى السلطنة بيلشاصر ثلاث سنين ناقصة ،وفي اليوم الأخير من أيام عمره أمر بإخراج أواني بيت المقدس،وأمر ندمائه بأن يشربوا فيها، وكانت تلك الأواني مكرمة ومحترمة عند جميع السلاطين فتعدى هو فيها واستهان بها ،فلما أمسى دخل الخلوة وعنده المشاعل والشموع، فرأى أن الحائط قد انكسر وبرزت منه يد وكتبت على الحائط خطاً لم يقدر أحد من الكتاب على قراءته، ولا من معرفة فحواه ،وكان مضمون هذا: احصى احصى، وزن وزن، كسر كسر، فطلب دانيال حتى يفسر ذلك الخط فقال دانيال : (٣٧- و) إن الله تعالى قد أحصى مدة عمرك وانقضى أجلك ،وقد وزن أعمالك فوجدها ناقصة وانكسر عليك ملكك ،فتوفي في هذه الليلة وانتقل الملك إلى دار الحق[٤].

واجتهدت أعداء دانيال في هذه المدة أن يؤذوه، واجتهدوا في إهلاكه والتمسوا من السلطان أن كل من يعرض حوائجه على غير السلطان يلقى في المطمورة ،وكان لدانيال غرفة معدة لأجل

---

[١]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص١٢١٢-١٢١٣.

[٢]- العهد القديم (التوراة)،سفر الملوك الثاني،ص٦٠٧.

[٣]- هي كورة واسعة تتبع لبغداد بعد نهر عيسى وتشتمل على ثلاثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة وقد قيل أن أول من حفرها سليمان بن داود عليهما السلام وفي قول أخر أن الإسكندر حفرها لما خرب السواد. الحموي: معجم البلدان، مج٥،ص٣٢٤ .

[٤]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص١٢١٤-١٢١٦.

صلاته وأوقات خلوته ،وكانت لها مناظر كثيرة مفتوحة إلى بيت المقدس، وكانت هذه الغرفة تعرف بدار دانيال عليه السلام في جوار قلعة الملك ببابل مما يلي شط الفرات،وهذه الدار والقلعة قريبة من بلدة الحلة[١]،وكان دانيال عليه السلام يصعد كل يوم إلى تلك الغرفة وحده ويغلق عليه الباب ويشتغل بالصلوات والعبادات، وكان الأعداء يراقبونه ويذكرون مسبته عند الملك ،ويقولون بأنه يعتقد خلاف عقيدة الفرس،لأن من عادة الفرس أن الرعية تكون على اعتقاد الملك ودينه، وكان السلطان يتعصب لدانيال عليه السلام ويرد غيبته، إلا أن الأعداء لما كرروا القول فيه فأثر ذلك عند السلطان فطلبه وقال له: إني أريد أن أحبسك في حبس مضيق في الحبس الذي تكون فيه السباع الضاريات حتى يرسل الله الذي أنت تعبده وتصلي لأجله ملائكته ويخلصك منها، ثم أمر به ،فألقي في بئر فيها سباع ضارياً وختموا على رأس البئر بختم السلطان حتى لا يصل إليه أحد،ومضى السلطان إلى داره مفكرا في أحوال دانيال عليه السلام،وصار قلقا مضطربا إلى الصباح ،فلما مضى إلى رأس البئر ونادى بدانيال فأجابه دانيال بأعلى صوته، ثم قال له السلطان:هل آذتك السباع الضارية ،فقال دانيال عليه السلام: إن الله الذي أعبده وأصلي له بعث الملائكة حتى شدوا أفواه السباع وخلصني من شرهم، فأمر السلطان بإخراج دانيال وإكرامه وإحسانه وأن يخلع عليه خلعة سنية ،وجعله وزيره ومشيره وأمر بإلقاء أعدائه في تلك البئر بين تلك السباع حتى تهلكهم ،وتعجب دانيال عليه السلام ،وكتب هذه العجيبة وبعث بها إلى سائر البلاد حتى يعترفوا بوحدانية الله تعالى، وحمدوا الله وشكروه واثنوا عليه[٢].

ذكر أخبار بني إسرائيل في عهد خلفاء بختنصر

ثم توفي دارا وتولى بعده السلطنة ابنه دارا بن دارا[٣] مدة ثلاث سنين ناقصة، وفي السنة الأولى اختار لبني إسرائيل في الرجوع إلى الشام وأمرهم ببناء بيت المقدس، فصار الناس من بني إسرائيل يرحلون إلى الشام أفواج بعد أفواج إلى أن اجتمع مقدار اثنين وأربعين ألف نفر ووضعوا أساس بيت القدس مرة ثانية مستجدة، فذهبت طائفة السامرة وتعاونوا عليهم ،فلم يغنهم، والسبب في ذلك أن الله سبحانه وتعالى كان قد وعد بني إسرائيل أنهم يرجعون إلى الشام بعد سبعين سنة ،وكان

---

[١]- مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي وتمتد بطوله، و بها أسواق عامرة. الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،،ص١٩٧.

[٢]- نقل بتصرف.العهد القديم (التوراة)،سفر دانيال،ص١٢١٦-١٢١٨ .

[٣]- ورد اسمه في العهد القديم كورش.العهد القديم (التوراة)،سفر عزرا،ص٧٠٨.

قد بقي إلى ذلك الميعاد ثماني عشرة سنة من خراب بيت المقدس، ثم تولى السلطنة أردشير[1] مدة أربعة عشر سنة، وفي السنة الثامنة عشر من سلطنته اشترى وزيره هامان بني إسرائيل منه .

وأما قصة أردشير فقيل أنه في مدة يسيرة استولى على مائة وسبعة وعشرين بلدة، فلما مضى من مملكته ثلاث سنين أمر بأن تعمل ضيافة عظيمة وجمع الأكابر والرؤساء والوجوه، وزين المجلس بالأواني الذهبية والفضية والستائر الملونة ،وأجلس كل واحد من الوزراء والأمراء في مجلسه وخصص كل منهم بزينة وأنعام وخلعة ،وأمر ساقي الشراب أن يمزج الشراب ويسقي الناس بحسب مراتبهم وأمزجتهم ،وكل واحد منهم بحسب حاله ،وأمر أيضا بان تحضر زوجته المسماة وشتي وكانت من أجمل النساء، فأبت الحضور ولم تمتثل أمره فارتج أردشير وغضب عليها فتشاور مع وزرائه في هلاكها، فرخصوا له في ذلك واختار زوجة أخرى عليها ،فوضعوا له امرأة جميلة اسمها أستير وكانت ابنة عم مردخاي وكانت يهودية ،فخطبها أردشير وأجلسها مجلس وشتي،وقال لها مردخاي:لا تعلمي السلطان بنسبك، وحسبك.وكان أردشير يكرم هامان كثيرا ويحترمه ويوقره ويجلسه فوق الوزراء ،وأمر الناس بأن تسجد له، ولم يكن مردخاي يسجد له وكان يعتقد أن السجود لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى، فغضب عليه هامان وقصد هلاكه واشترى قومه من أردشير بعشرة ألاف بدرة ،كل بدرة منها عشرة آلاف درهم ،فكتب أردشير إلى ممالكه أن لا يبقى من اليهود على وجه الأرض أحد إلى مدة سنة من هذا التاريخ، فلما سمع مردخاي هذه القضية شق عليه وشق ثيابه ولبس المسوح، وأخذ يستغيث إلى أن أتى باب السلطان ،فسمعت أستير صوت ابن عمها، فخافت عليه وسألته عن حاله ،فلما حكا لها القصة قالت: لا بأس عليك ،وأمرت بأن تخلع عليه خلعة سنية وقبلت بأن تنهي الخبر إلى السلطان، فصامت أستير ثلاثة أيام،وأمرت جواريها أيضا بأن يصمن معها لعل الله سبحانه وتعالى يهيئ خلاص مردخاي، وكان هامان قد عين نفرين خاصين ليقتلا مردخاي، فعلم مردخاي ذلك ،فأنهى الحال إلى أستير، فأنهت أستير تلك الحال إلى أردشير، فتفحص أردشير عن أحوال هامان ومردخاي فتبين له صحة قول مردخاي وبراءة ساحته، وخبث وعداوة هامان له بسبب أنه لم يسجد له، فأمر في الحال بقتل ذينيك النفرين .

وعملت أستير دعوى والتمست من أردشير أن يحضر دعوتها ولا يكون معه من الوزراء سوى هامان ،فأجابها أردشير إلى ما لتمست إلا أنه توهم تخصيص هامان دون غيره من الوزراء، فبات تلك الليلة متفكرا في تلك القضية، وأمر بإحضار كتب التواريخ وقرأها إلى الصباح ،فخرجت في فوائد التاريخ نصيحة حسنة كان مردخاي قد أنهاها للسلطان ،وقد سلمت نفس السلطان بواسطة تلك النصيحة من الهلاك ،فأعجبت أردشير، فلما أصبح أردشير قال في نفسه :إني أجازي مردخاي على

[1]- ورد اسمه في العهد القديم أحشويروش. العهد القديم (التوراة)،سفر أستير،ص٧٤٧.

هذه النصيحة ،فدخل عليه هامان واستأذنه في صلب مردخاي، فقال السلطان: يا هامان بأي شيء نأمر بمكافئة شخص نصح السلطان بنصيحة أدى فيها الأمانة، وحفظ نفس السلطان بسبب تلك النصيحة من الهلاك ؟ فقال هامان :جزاؤه أن يخلع عليه السلطان خلعته الخاصة من بدنه ويركبه مركوبه الخاص ويتوجه بتاجه وينادي مناد في البلدان[1]:هذا جزاء من نصح السلطان نصيحة مرضية وأدى-----[2].

[1]- نقل بتصرف. العهد القديم (التوراة)،سفر أستير،ص٧٤٧-٧٥٥.

[2]- هنا ينتهي نص هذه القطعة من المخطوط انظر التتمة. العهد القديم (التوراة)،سفر أستير،ص٧٥٦-٧٦٠.

الفصل الثاني

ذكر أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم وعدد سراياه وغزواته

سرية[1] حمزة بن عبد المطلب[2]

لأجل خروج حمزة رضي الله عنه لواء[3] أبيض بيده الشريفة (١ - و)،وكان يحمله أبو مرثد الغنوي[4]، فانطلق حمزة بموجب أوامر النبي عليه السلام في صحبة الرجال المذكورين،فلما وصلوا إلى أبي جهل، تلقاهم أبو جهل وكان معهم ثلاثمائة رجل،فلما اصطفوا للقتال دخل معهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان صديقا لأبي جهل أيضا،ولم يزل يتردد بين الفريقين حتى أخمد نار

---

[1]- السرية: هي في الأصل الطائفة من الجيش تخرج ثم تعود إليه وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية نهارا وهي من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، ص ٢٢٦. الحلبي(علي بن برهان الدين،ت٨٤١هـ/١٤٣٨م):السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون،دار المعرفة،بيروت،د.ط، ١٤٠٠هـ،ج٣،ص١٤٣.

[2]- وكان خروجها في رمضان لسبعة أشهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهي السرية المعروفة بسيف البحر. الواقدي(محمد بن عمر،ت٢٠٧هـ/٨٢٣م):المغازي ،تحقيق مارسدن جونس،عالم الكتب،ط٤، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج١،ص٩.ابن هشام(عبد الملك بن أيوب،ت٢١٨هـ/٨٣٤م):السيرة النبوية،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،ط٣، ١٤١٠-١٩٩٠،ج٢،ص٢٣٧-٢٣٨. ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٢،ص٦. ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الارنؤوط و عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان،ط١،١٤٣٠-٢٠٠٩م، ص ٣٨٢.

[3]- اللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوي عليه وهو دون الراية وهو علامة للكتائب والأمراء، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى يصفقه الرياح وهي علم جميع الجيش وتكون عند القائد وتكنى بأم الحرب . البعلي(أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح،ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): المطلع على ألفاظ المقنع،تحقيق محمود الأرناؤوط - ياسين محمود الخطيب ، مكتبة السوادي للتوزيع،جدة ،ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م،ص٢٥٢. ابن منظور:لسان العرب،مج١٥،ص٢٦٦. رضا(إبراهيم،ت ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م): معجم متن اللغة، مكتبة الحياة ،بيروت، ط١، ١٩٥٩،ج٥،ص٢٣٥.

[4]- هو كناز بن الحصين بن يربوع بن عمرو بن خراشة الغنوي ينتهي نسبه إلى قيس عيلان كان حليفا لحمزة بن عبد المطلب ومن أوائل المهاجرين شهد بدرا وغيرها وروى الحديث سكن الشام واختلف في تاريخ وفاته.البغوي(عبدالله بن محمد،ت٣١٧هـ/٩٣٣م):معجم الصحابة، تحقيق محمد الأمين الجنكي، دار البيان، الكويت،د.ط،د.ت،ج٥،ص١٣٤-١٣٥-١٣٦ . ابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة،تحقيق علي محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ،ج٧،ص٣٦٩.

الفتنة،وأسكن نيران تلك الحرب وأصلح بينهما من غير قتال، وقيل كان هذا أول لواء عقده النبي عليه السلام في الإسلام .

سرية عبيدة بن الحارث

وقيل بل كان أول لواء عقده النبي عليه السلام في الإسلام لواء عبيدة بن الحارث بن عبد مناف[١]، وكان أيضا أبيض، وكان يحمله مسطح بن أثاثة المطلبي[٢]، وكان سعد بن أبي وقاص مع عبيدة في هذه السنة ،وكان معه من فرسان المهاجرين ستون رجلا ،فأدركوا مشركي مكة بموضع يسمى [رابغ] [٣] وهو قريب من الجحفة[٤]،وكان قائد المشركين عكرمة بن أبي جهل المخزومي[٥]،وفي رواية أخرى كان كبيرهم مكرز بن حفص بن الأحنف من بني عامر بن لؤي[٦]، وقال بعضهم كان كبيرهم أبو سفيان بن حرب الأموي، وكانوا قد خرجوا إلى محاربة النبي عليه السلام في مائتي فارس وكان معهم جماعة من المسلمين الذين لم يتمكنوا من الهجرة مثل المقداد بن

---

[١]- هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف يكنى أبا الحارث وقيل أبا معاوية وأمه سخيلة بنت خزاعي الثقفية كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم أسلم قبل دخول النبي إلى دار الأرقم هو وأبي سلمة المخزومي وعثمان بن مظعون في وقت واحد شهد بدرا وقطعت قدمه وتوفي في الصفراء في طريق العودة إلى المدينة وله من العمر ٦٣سنة . أبو نعيم(احمد بن عبد الله الأصبهاني،ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م): معرفة الصحابة،تحقيق عادل بن يوسف العزاوي،دار الوطن للنشر، الرياض،ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨،ج٤،ص١٩١٤ . ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج٤،ص٨١١-٨١٢.

[٢]- هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف يكنى أبا عباد وقيل أبو عبدالله شهد بدرا قيل انه توفي سنة ٣٤وهو أبن ٥٦سنة وقيل شهد صفين في جيش علي بن أبي طالب ومات سنة ٣٧للهجرة. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم،بيروت لبنان،ط١، ١٤٣٣-٢٠١٢، ص١١٢٣ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج٣،ص٤٥

[٣]- كتبت في الأصل مريسع والصحيح هو رابغ وهو ماء على عشرة أميال من الجحفة. الواقدي:المغازي، ج١،ص١٠ . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢ ،ص٧. ابن حبيب(الحسن بن عمر،ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم،تحقيق د مصطفى محمد حسين الذهبي،دار الحديث، القاهرة ،ط١، ١٤١٦-١٩٩٦، ص٣٨.

[٤]- قرية بين مكة والمدينة كان اسمها مهيعة وإنما سميت بالجحفة لأن السيل أجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام وهي ميقات أهل الشام في موسم الحج . البخاري:صحيح البخاري ، باب ميقات أهل الشام، ص٣٧١. الحموي: معجم البلدان، مج٢،ص١١١.

[٥]- هو عكرمة بن عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي وأمه أم خالد من بني هلال أسلم عام الفتح وأستعمله النبي ومن بعده أبو بكر واستشهد في خلافة عمر في اليرموك . أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج٤،ص٢١٧١. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨٦٣-٨٦٤.

[٦]- هو مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبد الحارث بن منقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر بن لؤي القرشي العامري ذكره بن حبان في الصحابة وهو الذي أقبل لافتداء سهيل بن عمرو يوم بدر. ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج٦،ص٢٠٦.

الأسود[١] ،وعتبة بن غزوان[٢] وغيرهما، فلما التقى الفريقان انحاز المسلمون إلى المسلمين،ولم يتفق أيضا في هذه السرية محاربة، وإنما وقفت الفرقتان كل واحدة منهما في مقابلة الأخرى وتناضلوا وتراشقوا بالسهام ،و أول سهم رمي في الإسلام كان سهم سعد بن أبي وقاص الزهري[٣]، فترجل ونفض جعبته على الأرض ولم يزل يرمي حتى نفدت سهامه، وكان سعد صائب الرمية يصيب الفارس والفرس،ولم يجر في هذه المحاربة زيادة قتل ،وطعن، وضرب، ورجعوا سريعاً،وسبب ذلك أنه لما انحاز المقداد بن الأسود، وعتبة بن غزوان إلى المسلمين انكسرت سورة[٤] المشركين ورجعوا من غير قتال، وحيث كان خروج هذه السرية قريباً من خروج سرية حمزة اختلف في تقديمهما لكنه قد روى أكثر الناس تقديم سرية حمزة رضي الله عنه .

سرية سعد بن أبي وقاص

وفي هذه السنة [٥]أيضا في شهر ذي القعدة بعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في سرية من الأنصار، وكان عددهم عشرين رجلا, وعقد لهم لواء، ودفعه إلى المقداد بن الأسود، وأمرهم أن يقصدوا موضعا يسمى الخرار[٦]،وهو أيضا قريب من الجحفة، وقال لسعد:((إن عير قريش تأتي من الشام فإذا لقيتموها فأتوا بها إلى المدينة))،فلما وصل سعد وأصحابه إلى ذلك الموضع كانت العير قد سبقتهم فلم يظفروا بها ،ورجعوا من غير حرب.

---

[١]- هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن قضاعة البهراني المعروف بالمقداد بن الأسود وقيل له ذلك لأنه أصاب دما في بهراء فلحق بمكة وحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فنسب إليه وأما كنيته فأبي معبد وكان من السابقين في الإسلام هاجر إلى الحبشة وشهد جميع المشاهد وشهد فتح مصر وكانت وفاته في المدينة في خلافة عثمان . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١١٦٣-١١٦٤.

[٢]- هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني ينتهي نسبه إلى قيس عيلان كان حليفا لبني عبد شمس وقيل لبني نوفل هاجر إلي الحبشة وشهد بدرا وغيرها و ولاه عمر في الفتوح وهو من أختط البصرة وله رواية في الحديث وقد أختلف في تاريخ وفاته. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص ٩٨ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨١٦-٨١٧.

[٣]- انظر البخاري: صحيح البخاري،باب فضائل سعد،ص ٩١٧.

[٤]- هي الشرف والجاه والمنزلة العالية، ومثل ذلك قول النابغة الذبياني مادحاً النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، ص٢٥٣.

[٥]- هي السنة الأولى للهجرة النبوية.

[٦]- هو موضع في الحجاز وقيل وادي من أودية المدينة . الحموي: معجم البلدان،مج٢،ص٣٥٠.

وقد ذكر الواقدي رضي الله عنه هذه السرايا الثلاث في هذه السنة[١].

وأما محمد بن إسحاق صاحب المغازي رحمه الله ذكر هذه السرايا في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة ودان ،وهي الغزوة المعروفة بغزوة الأبواء.[٢]

ونقل أن كمية غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كانت سبعا وعشرين غزوة، وأما كمية سراياه فإنها كانت سبعا وأربعين سرية ،وأما الغزوات التي شهدها بنفسه الشريفة فإنها تسع: غزوة بدر، وغزوة أحد ،وغزوة مريسع ،وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة ،وغزوة خيبر، وغزوة مكة، وغزوة الطائف ،فهي الغزوات التي حضرها عليه الصلاة والسلام وباقي الغزوات بعث بها بعوثا ولم يحضرها بنفسه والسلام[٣].

ذكر مبتدأ غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه وأحوال النبي والحوادث التي حدثت بالمدينة إلى زمان وفاته عليه السلام

غزوة الأبواء

أما غزوة الأبواء فإنها كانت في السنة الثانية من الهجرة [٤]،وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أن عيرا لقريش مقبلة من الشام ، فركب بنفسه في عدة فرسان من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم وساروا حتى انتهوا إلى موضع يسمى الأبواء[٥]، وبقرب هذا الموضع قرية تسمى ودان[٦] ،فلقوا هناك قبيلة من كنانة يقال لهم بني ضمرة، فعاهدوا النبي عليه السلام أنهم لا يساعدوا أعدائه ولا يحاربونه،وكتبوا بهذا الموجب بينهم مكتوبا ورجعوا إلى المدينة وغاب في هذه السرية

---

[١]- نقل بتصرف الواقدي:المغازي، ج١ ،ص٢.
[٢]- نقل بتصرف ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٣٤إلي٢٤٠.
[٣]- نقل بتصرف لكنه اسقط غزوة حنين سهوا .انظر. الواقدي:المغازي ، ج١،ص٧.
[٤]- وكان ذلك في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مقدم النبي صلي الله عليه وسلم للمدينة . ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢،ص٢٣٣. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢ ،ص٧.
[٥]- هي قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا سميت الأبواء لتبوء السيول بها. الحموي: معجم البلدان ،مج١،ص٧٩.
[٦]- هي قرية جامعة من نواحي الفرع بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة وهي لضمرة وغفار وكنانة . الحموي: معجم البلدان ،مج٥،ص٣٦٥.

مدة خمسة عشر يوما،وولى في هذه الغيبة على المدينة،سعد بن عبادة[١]،وكان لواءه أبيض ،يحمله عمه حمزة رضي الله عنه .

غزوة بواط

وأما غزوة بواط فهي الغزوة التي خرج فيها عليه السلام حين سمع أن أمية بن خلف الجمحي، وكان من صناديد قريش، يسعى في أذى المسلمين سعياً بليغاً قد أقبل من الشام في تجارة ،ومعه مائة رجل من قريش، ومعه ألف وخمسمائة جمل محملة من الميرة[٢] وغيرها ،وكان خروجه عليه السلام في هذه الغزوة في شهر ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار ،فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى موضع يسمى بواط [٣]وهو موضع من نواحي ذات خشب فسمعت قريش خبره،فعدلوا عن الدرب المستقيم فمكث النبي عليه السلام ببواط أياما ،حتى وصل الخبر أن قريش قد عدلوا عن الطريق وبعدوا، فرجع النبي عليه السلام إلي المدينة، وحمل لواءه في هذه السرية سعد بن أبي وقاص وولى بالمدينة في هذه الغيبة سعد بن معاذ الأنصاري[٤]، فعاد عليه السلام إلى المدينة قبل انسلاخ الشهر المذكور.

غزوة ذات العشيرة

وأما غزوة ذات العشيرة فهي الغزوة التي خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسريته، حين اتصل به الخبر، أنه قد خرجت قافلة عظيمة من مكة تريد الشام، وفيها من رجال قريش مائتي

---

[١]- هو سعد بن عبادة: بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ويكنى أبا ثابت أحد النقباء الذين اختارهم النبي في العقبة شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها وتوفي في حوران في خلافة عمر سنة١٥هـ. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٥٦٦ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٤٦٨-٤٦٩.

[٢]- الميرة:هي المؤنة والطعام يجمع للسفر ونحوه يقال مار أهله أي حمل إليهم الميرة. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٣، ص ٣٨٥.

[٣]- بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى . الحموي: معجم البلدان ،مج١،ص٥٠٣.

[٤]- هو سعد بن معاذ بن النعمان الأشهلي ثم الأوسي يكني أبا عمرو أسلم علي يد مصعب بن عمير شهد بدر واحد واستشهد إثر سهم أصابه يوم الخندق . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٣٨٨ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٤٧٧.

نفر، وفي رواية مائة وخمسون نفراً، وفي صحبتهم أموال عظيمة وخيرات كثيرة ،وكان خروجه عليه السلام إلى هذه الغزوة أوائل جمادى الأولى من السنة الثانية بعد الهجرة وسار عليه السلام بأصحابه إلى أن وصلوا إلى الموضع المعروف بذات العشيرة[١]، واتفق أن قريشا اتصلت بهم الأخبار قبل خروج النبي عليه السلام فاستعجلوا في السير وبعدوا ،فلما وصل النبي عليه السلام (٢ - ظ) إلى الموضع المذكور لم يلحق من القافلة غير أخبارها وأنها قد أبعدت، وهذه القافلة هي التي وقعت من أجلها حرب بدر الكبرى كما سنذكره فيما بعد.

ومكث الرسول عليه السلام تمام الشهر في ذلك الموضع ،وكان قد ولى على المدينة في هذه الغيبة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي[٢].

وعاهده في هذه الغزوة طائفة من العرب يقال لهم بني مدلج وحلفائهم ،كما عاهد بني ضمرة، وصالحهم على ما صالحهم عليه.

ونقل أن في هذه الغزوة كنى عليا عليه السلام وأخبره بأنه يستشهد ولا يقتله إلا أشقى العالم .

وقصته أن عمار بن ياسر روى أنه قال: " كنت يوما في صحبة علي وقد خرجنا من السرية على سبيل النزهة، فرأينا جمعا من بني مدلج يحفرون نهرا ويغرسون فسلانا من النخل ،فوقعنا عليهم ساعة نتفرج على ما يعملون من الحفر والغرس ،فعمل علي عليه السلام ونام تحت ظل تلك الأشجار على الرمال والتراب، فوافقته أنا أيضا ونمت في ذلك الظل ،ولم نستيقظ حتى رأينا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على رؤوسنا وهو يشير إلينا لنستيقظ وقال لعلي:قم يا أبا تراب، فنهض علي عليه السلام، ووقف بين يديه مغبر الوجه والرأس ،فأخذ النبي عليه السلام رداءه وجعل يمسح وجهه من التراب وهو يقول : ((يا علي لم يخلق الله في الدنيا أشقى من اثنين، أحدهما من يقتلك ويسيل الدم على وجهك يضرب بها رأسك، وثانيهما الذي عقر ناقة صالح عليه السلام))[٣]. وكان علي كرم الله وجهه يفتخر بهذه الكنية وكانت هذه الكنية أحب إليه من سائر الكنى".

---

[١]- قيل العسير والصحيح العشيرة وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة . البخاري:صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٧٠. الحموي: معجم البلدان ،مج٤،ص١٢٧. ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد،ص ٣٨٣.

[٢]- هو عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمة النبي أمه برة بنت عبد المطلب وهو أخو النبي وعمه الحمزة بالرضاعة هاجر إلى الحبشة و شهد بدرا وأحد وتوفي سنة ٤هـ. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص ص٣٢٦ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦٩٤.

[٣]- انظر ابن هشام :السيرة النبوية،ج٢،ص٢٤٢ .ابن سعد:الطبقات الكبير،٢ ،ص٩. البخاري:صحيح البخاري،كتاب فضائل الصحابة،ص٩١٣. ابن سيد الناس(محمد بن محمد اليعمري،ت٧٣٤هـ/١٣٣٤):عيون

وفي هذا التاريخ لم يكن تزوج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام، وإنما خطبها في آخر هذه السنة قيل كانت خطبتها في صفر من هذه السنة من الهجرة.

ذكر إغارة كرز الفهري على سرح المدينة[1]

فيما النبي عليه الصلاة والسلام نازل بذات العشيرة ،إذ وردت الأخبار أن كرز ابن جابر الفهري القرشي[2] قد أغار على سرح[3] المدينة وساقها على غير المسلك المعهود ،فغضب النبي عليه السلام، وركب بسريته، وساق خلفه إلى موضع يسمى بدرا فلم يجد أحدا،فمكث هناك مرتقبا ثلاثة أيام ،ثم سار إلى المدينة ،وحمل لواءه في هذه السرية عمه حمزة رضي الله عنه[4] وولى المدينة زيد بن حارثة مولى النبي عليه السلام .

الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي –محي الدين مستو،دار التراث، المدينة المنورة،ط١، ١٣٥٨هـ، ج١،ص٣٥٨.

[1]- هي غزوة سفوان وبدر الأولى. انظر الواقدي:المغازي،ج١،ص١٢.ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢،ص٢٤٣.الطبري:تاريخ والرسل والملوك ،ج٢،ص١٣.ابن عبد البر(يوسف بن عبدالله النمرى القرطبي،ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):الدرر في اختصار المغازي والسير،تحقيق شوقي ضيف،دار التحرير للطبع والنشر،القاهرة،ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م،ص١٠٦.

[2]- هو كرز بن جابر: بن حسيل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي كلن من المشركين ثم هاجر وأسلم واستعمله النبي واستشهد في فتح مكة سنة ٨٧هـ وكان في خيل خالد بن الوليد . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٥ ،ص٩٨ البخاري:صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص١٠٤٨ . الطبراني: المعجم الكبير،ج٧،ص٦ .ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٠٣٤.

[3]- السرح: المال السائم أي ما يرعى من الماشية والأنعام . الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج ٢، ص ٣٩٧.

[4]- توهم الهمذاني والصحيح علي بن أبي طالب أنظر ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢ ،ص٨، ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١،ص٣٥٩ .ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد،ص٣٨٣

سرية بطن نخلة[1]

وأما سرية بطن نخلة، فهي السرية التي بعثها النبي عليه السلام في رجب من السنة الثانية من الهجرة، وصورتها أنه طلب النبي عليه السلام عبدالله بن جحش[2]، وثمانية من رجال المسلمين، وأمر عبدالله عليهم، وفي رواية أخرى كانوا اثنا عشر رجلا ،وكتب معهم مكتوبا، وناوله عبدالله وقال:((يا عبد الله إذا سرت منزلين فانشر المكتوب واقرأه بصوت عال ، فمن تخلف عنك من أصحابك فلا تبال به، وسر أنت ومن تابعك))، وهذه أسماء هذه الجماعة : عبدالله بن جحش ، أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة[3]، عكاشة بن محصن الأسلمي[4] ، سعد بن أبي وقاص ، عتبة ابن غزوان واقد بن عبد الله[5] ، عامر بن ربيعة[6] ، خالد بن أبي البكير[7]، سهيل ابن بيضاء[8].

---

[1]- نخلة:واد في الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ويقال له نخلة اليمانية وهو بستان ابن عامر. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص ٩. الحموي: معجم البلدان ،مج٥،ص٢٧٧-٢٧٨.

[2]- عبدالله بن جحش: بن رياب بن يعمر ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمة كنيته أبو محمد وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي اسلم قبل دخول النبي غلى دار الأرقم هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وأستشهد في أحد قتله أبو الحكم بن الأخنس الثقفي ودفن مع خاله الحمزة في قبر واحد. أنظر ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٨٤-٨٥-٨٦ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦٤٧.

[3]- هو أبو حذيفة بن عتبة: بن عبد شمس أمه فاطمة بنت صفوان من السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة آخا النبي بينه وبين عباد بن بشر الأنصاري شهد بدرا وجميع المشاهد مع النبي وقتل يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٨٠. أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج٥،ص٢٨٥٩ .ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٣٠٤.

[4]- هو عكاشة بن محصن: بن حرثان بن قيس بن مرة الأسدي كنيته أبو محصن كان حليفا ابني عبد شمس كان من سادة الصحابة هاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا حتى كسر سيفه وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها واستشهد في خلافة أبي بكر تعاون على قتله طليحة وسلمة ابني خويلد الأسدياً ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٨٦-٨٧. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨٦١.

[5]- هو واقد بن عبدالله :بن عبد مناة بن عبد مناف بن عرين التميمي حليف بني عدي بن كعب أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم هاجر إلى المدينة وآخى النبي بينه وبين بشر بن البراء بن معرور شهد بدرا وجميع المشاهد وتوفي في خلافة عمر وليس له عقب ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٣٦٢-٣٦٣ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٢٣٥-١٢٣٦.

[6]- هو عامر بن ربيعة: بن حجير بن ربيعة بن مالك ينتهي نسبه إلى عنز بن وائل كنيته أبا عبدالله كان حليفا للخطاب بن نفيل أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وآخى النبي بينه وبين يزيد بن المنذر بن سرح الأنصاري شهد جميع المشاهد مع النبي وتوفي بعد فتنة مقتل عثمان بأيام ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٣٥٩-٣٦٠. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦١١.

[7]- خالد بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب الكناني آخى النبي بينه وبين زيد بن الدثنة شهد بدرا واحدا واستشهد يوم الرجيع سنة ٤هـ وعمره حينها أربعا وثلاثين سنة ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٣٦١. أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج١،ص٩٥٤ .ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٣٢١.

[8]- سهيل بن بيضاء:وهي أمه وأبوه وهب بن ربيعة الفهري القرشي كان قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة مرتين ثم إلى المدينة شهد بدرا وغيرها وتوفي في حياة النبي في المدينة سنة ٩هـ وليس له عقب . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣ ،ص٣٨٤. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٥٣٠.

فلما صاروا من المدينة على منزلين فتح عبدالله بن جحش الرقعة، فإذا فيها مكتوب :((سر يا عبدالله أنت ومن معك حتى تصل بين الطائف ومكة، وأقم هناك وأعلمنا بما يتصل بك من إخوانك أهل مكة، ومن رجع عنك فلا تكرهه على المسير)) ،فقرأ عليهم الرقعة ،فتبعوه جميعا، وحرضوه على المسير ولم يرجع منهم أحد ،وكان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان يتعقبان ناقة ،فضلت ناقتهما في الطريق، فتخلفا في طلب الناقة ،ولم يتصلا بأصحابهم إلا بعد رجوعهما إلى المدينة، فسار عبدالله وأصحابه إلى بطن نخلة ،فوجدوا قافلة لقريش مارة من الطائف إلى مكة، وكان أكثر حمولتهم الأدم[١] والزيت ومتاع الطائف .

وكان كبير القافلة عمرو بن الحضرمي[٢]، والحكم بن كيسان[٣]، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة[٤]، فلما رأوا المسلمين عرفوهم، وخافوهم وتواروا منهم،فصعد عكاشة على ربوة مكشوف الرأس وقد حلق رأسه ،فرآه أهل القافلة وقالوا:هؤلاء جماعة الحجاج قد حجوا وحلقوا ورجعوا، فأمنوا عند ذلك، فاجتمع المسلمون وتشاوروا في أمرهم ، فقال عبد الله : إن اعترضنا لهم اليوم فهو آخر يوم من شهر رجب شهر الله الحرام ولا يجوز فيه سفك الدماء، وإن لم تتعرضوا لهم ففي غد يدخلون البلد الحرام ولا نتمكن من التعرض لهم ،فقال واحد[٥]:قد وجدنا اليوم فرصة فلا ينبغي أن نضيعها.قال هذا، وصعد ربوة من تلك الربا فأصاب عمرو بن الحضرمي فقتله،فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم دفعة واحدة، وأسروا حكيما[٦]،وهرب نوفل وتمكنوا من الحمولة والأمتعة التي كانت معهم ،فقال عبدالله ابن جحش:افرزوا الخمس من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرجوا الخمس كما قال عبد الله، واقتسموا الباقي ،وذكر عبد الله الخمس قبل نزول آية الخمس، فهذه أول غنيمة تيسرت في الإسلام ،وأول أسير أسر،وأول قتيل قتل في الإسلام.

---

[١]- الأدم: الجلود المدبوغة. ابن منظور:لسان العرب ،مج١٣،ص١٠.

[٢]-عمرو بن الحضرمي: بن عماد بن بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي وكان عبد الله الحضرمي أبوه قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان وكان لعمرو عدة إخوة منهم العلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور وهو أول قتيل من المشركين وماله أول مال خمس في المسلمين . ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج٤،ص٥٤١.

[٣]- الحكم بن كيسان:مولى هشام بن المغيرة والد أبي جهل أسلم في الأسر وحسن إسلامه واستشهد يوم بئر معونة. أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج١،ص٧١٧ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢٩٢.

[٤]- نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي القرشي قتل في غزوة الأحزاب عندما حاول اقتحام الخندق قتله علي ابن أبي طالب وقيل الزبير بن العوام. الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص ٩٥. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج١،ص٨٨ .ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢،ص٩١.

[٥]- هو واقد بن عبدالله التميمي . أنظر ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٤٥. الماوردي(علي بن محمد بن حبيب البصري،ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):الحاوي الكبير، تحقيق علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م،ج١٤،ص٢٥.

[٦]- أسقط الهمذاني عثمان بن عبدالله بن المغيرة أخو نوفل وكان معهم في القافلة . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص١٠. السيوطي: الدر المنثور،ج١،ص٦٠.

فلما رجع المسلمون بالأسير والغنيمة إلى المدينة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني لم أرخص لكم سفك الدماء في شهر الله الحرام فكيف هممتم على ارتكاب هذا الأمر العظيم))[1] ؟ وأمر أن توقف المتاع والأسيران لينظر ما ينزل من الله في ذلك،فخاف عبد الله وأصحابه من عاقبة ذلك، وعيرتهم المسلمون بذلك وشرعت قريش في التشنيع على النبي عليه السلام وفي تقريعه، وقالوا:أن محمدا أحل ما حرمه الله تعالى من شهر رجب، وسفك فيه الدماء.

وأما يهود المدينة فإنهم تفاءلوا بفعل أولئك الرجال على الحرب، فقالوا : واقد وقدت الحرب، وعمرو عمر القتال[2]. وبقي أمر القوم على هذه الحالة حتى نزل قوله تعالى : { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه }[3]. إلى آخر الآية ،ونزلت هذه الآية على أن الله تعالى لم يؤاخذهم على تلك الجناية، وعد هذه الغزوة من جملة الغزوات المعتبرة عنده، ففرح المسلمون حينئذ بذلك، وأمر الله رسوله أن يأخذ ذلك الخمس منهم ،وقسمه بموجب ما نص الله عليه ،والقسمة التي كانوا اقتسموها أقرها عليهم ولم يغيرها، وأمر الأسرى أن يستفدوا أنفسهم ،فأنفذوا إلى مكة يطلبون ما يستفدون به .

غزوة بدر[4]

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، بوصول قافلة عظيمة لقريش من الشام، وكان يسير بهم أبو سفيان بن حرب الأموي(٣ - و)، و فيها أموال كثيرة لقريش من النقود، والأمتعة يزيد على الحصر والحد ،وكان بها من أكابر قريش: مخرمة بن نوفل الزهري أبو مسور[5]، وعمرو بن العاص السهمي في أربعين فارسا وفي رواية سبعين فارسا ،وهذه القافلة هي التي خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبها عند مسيرها إلى الشام (٤ - ظ) حتى وصل إلى ذات العشيرة، وقد تقدم

---

[1]- انظر . البيهقي:السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز،مكة المكرمة،ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م،ج٩،ص٢١

[2]- نقل بتصرف ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٤٥-٢٤٦.

[3]- سورة البقرة الآية ٢١٧.

[4]- بدر ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر ليلة ويقال إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه . الحموي: معجم البلدان ،مج١،ص٣٥٧.

[5]- هو مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي وهو ابن عم سعد بن أبي وقاص كان من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم توفي سنة ٥٥هـ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١١١٠. الذهبي:المقتنى في سرد الكنى ،تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد،دار نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،ط١،١٤٠٨هـ،ج٢،ص٧٨.

ذكر ذلك فيما مضى ،فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بوصول هذه القافلة العظيمة وما فيها من الأموال الغزيرة ،واستعد للخروج إليها وقال لهم: إن الله تعالى وعدني النصرة، وعسى أن يكون لكم في ذلك فوائد كثيرة،فتجهز معه للخروج طائفة من المسلمين لما غلب على ظنهم من عدم وقوع الحرب هناك.

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث من شهر رمضان من المدينة متوجها إلى القافلة المذكورة، وخلف بالمدينة أبا لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه[١] أميرا عليها، وكان عدة من خرج مع النبي عليه السلام من المسلمين ثلاث مائة وثلاثة عشر نفراً، وقيل ثلاث مائة وأربعة عشر نفراً، وقيل ثلاث مائة وثمانية عشر نفراً،وكان من المهاجرين ثلاثة وثمانون نفراً،وقيل سبعة وسبعون نفراً والباقون من الأنصار[٢].

فلما خرجوا أمرهم بعرض العسكر عليه فحين عرضوا عليه كان فيهم جماعة لم يبلغوا الحلم مثل :عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج[٣] ،والبراء بن عازب[٤] ،وأسيد بن ظهير[٥] رضي الله عنهم ، وسيأتي ذكرهم في موضعه إن شاء الله تعالى .

فأمرهم بالرجوع إلى المدينة، وكان زيد بن أرقم[٦]،وزيد بن ثابت[١]، وعمير أخو سعد بن أبي وقاص[٢] يختفون في العسكر، حيث أنه لم يكونوا قد بلغوا الحلم، فقيل لهم ما شأنكم تختفون، فقالوا:

---

[١]- واسمه بشير بن عبد المنذر بن رفاعة الأوسي شهد العقبة سار مع النبي إلى بدر فرده إلى المدينة واستخلفه عليها وضرب له بسهما من غنائم بدر وشهد جميع المشاهد مع النبي وتوفي في خلافة على بن أبي طالب ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٢٣ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٣٨٨-١٣٨٩.

[٢]- انظر :صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٧٣.

[٣]- هو أبو عبدالله رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأوسي أجازه النبي يوم أحد شهد صفين مع علي بن أبي طالب وله رواية للحديث وتوفي سنة ٧٣هـ في المدينة أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج١،ص١٠٤٤ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٣٧٤ .

[٤]- هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة له ولأبيه صحبة شهد أحد وروى عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أربع عشرة غزوة وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين وشهد غزوة تستر مع أبي موسى وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل الكوفة وابتنى بها دارا ومات في إمارة مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٠٥ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج١،ص٢٧٨.

[٥]- أسيد بن ظهير بن رافع بن عدي بن جشم بن حارثة الأنصاري الأوسي ابن عم رافع بن خديج يكنى أبا ثابت شهد العقبة و له ولأبيه صحبة مات في خلافة عبد الملك بن مروان ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٥٠ .ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج١،ص٨٤.

[٦]-هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج مختلف في كنيته قيل أبو عمر وقيل أبو عامر كان يتيما في حجر عبد الله بن رواحة واستصغر يوم أحد وأول مشاهده الخندق وغزا مع النبي صلى الله عليه و سلم سبع عشرة غزوة وله حديث كثير ورواية أيضا شهد صفين مع علي ومات بالكوفة سنة ٦٦هـ. ابن حجر العسقلاني ، الإصابة، ج٢،ص٥٨٩.

نخاف أن يقع علينا نظر النبي صلى الله عليه وسلم فيأمرنا بالرجوع ،ونحن لا نؤثر ذلك، فبينما هم كذلك إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمير فأمره بالرجوع، فبكى عمير فأذن له النبي عليه السلام بالمسير معه وقد استشهد ببدر رضي الله عنه[٣]. ولم يكن لأحد من هؤلاء الجماعة الذين خرجوا مع النبي عليه السلام فرس سوى المقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وقيل كان لمرثد بن أبي مرثد الغنوي[٤] فرس ،ولم يكن لهؤلاء القوم بأجمعهم سوى سبعين بعيرا بحيث كان لكل ثلاثة نفر، وأربعة نفر بعير واحد يتعاقبون عليه ،وكان للنبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ومرثد بن أبي مرثد، بعير واحد يركبونه على التناوب، وكان حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ،وزيد بن حارثة ،وأبو كبشة [٥] وأنس[٦] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناوبون على بعير واحد ،وكان عبيدة بن الحارث، وأخواه[٧] ،ومسطح بن أثاثه رضي الله عنهم على بعير ،وأبو بكر الصديق،وعمر بن الخطاب،وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عليهم على بعير،وكذلك باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكان أبو سفيان بن حرب يتنسم الأخبار، فلما سمع بمسير النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه إليهم استأجر على الفور رجلا من بني غفار يقال له ضمضم ابن عمرو الغفاري، وأرسله إلى مكة ليخبر قريشا بذلك ،فيبادروا إلى حفظ أموالهم.

---

[١]-هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي كان عمره لما قدم النبي إحدى عشرة سنة قتل أبوه يوم بعاث قبل الهجرة و استصغره النبي يوم بدر وأجازه في الخندق وهو أحد كتبت الوحي واستعمله النبي ودفع إليه راية بني مالك بن النجار في غزوة تبوك وهو من الذين كلفوا بجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعمر وعثمان واستعملوه في غير ذلك وكان من الراسخين في العلم توفي سنة ٤٥هـ. البخاري:صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار،ص ٩٣٣ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٤٢٤-٤٢٥.

[٢]- هو عمير بن أبي وقاص بن وهيب أخي سعد ب أبي وقاص آخى النبي بينه وبين عمرو بن معاذ أستشهد في بدر هو ابن ست عشرة سنة قتله عمرو بن عبد ود. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص.١٣٨-١٣٩.

[٣]- نقل بتصرف الواقدي:المغازي ، ج١،ص٢١.

[٤]- هو مرثد بن كناز الغنوي تقدم نسبه في ترجمة أبيه وكان من المهاجرين آخى النبي بينه وبين أوس بن الصامت وكان يتخطف المشركين من مكة إلى المدينة لشدته وقوته واستشهد في غزوة الرجيع مع عاصم بن ثابت سنة ٣هـ. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١١١٥.

[٥]- هو أبو كبشة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه النبي وأعتقه واسمه سليم وكان من مولدي أرض دوس شهد بدرا والمشاهدة كلها وتوفي سنة ١٣هـ في اليوم الذي ولي فيه عمر بن الخطاب الخلافة وقيل في سنة ٢٣هـ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٣٨٦-١٣٨٧.

[٦]-أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي كنيته أبو حمزة خادم الرسول صلى الله عليه و سلم قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وهو بن عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو بن عشرين سنة وانتقل إلى البصرة وتوفى بها سنة ٩١هـ و أمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب .ابن حبان(أبو حاتم محمد بن أحمد،ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):الثقات،تحقيق السيد شرف الدين أحمد،دار الفكر،بيروت،ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م،ج٣،ص٤.

[٧]- هما الطفيل والحصين ابنا الحارث بن المطلب بن عبد مناف انظر الواقدي:المغازي، ج١ ، ص٢٤ .

وكان قبل وصول ضمضم إلى مكة، قد رأت عاتكة بنت عبد المطلب [1]عمة النبي صلى الله عليه وسلم، لقريش مناما مشوشا، فخافت من ذلك، فذكرته لأخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وشرطت عليه أن لا يذكره لأحد، وقصة المنام هي أنها قالت : رأيت في المنام أن رجلاً جاء على بعير حتى وقف ببطحاء مكة[2]، فنادى بأعلى صوته: يا معشر قريش اعلموا أنكم بعد ثلاثة أيام ستخرجون من مكة إلى مصارعكم ،فاجتمع الناس عليه ،فسار كذلك إلى المسجد الحرام ورقي بعيره على ظهر الكعبة شرفها الله تعالى،وقد شق منخريه[3] ،وهو ينادي كذلك ،ثم تناول بيده حجرا عظيما ودحرجه من قلة الجبل[4]، فلما انتهى إلى ذيل الجبل انفصل قطعا، فلم يبق دار إلا ودخلها قطعة من ذلك الحجر، فلما قصت عليه ذلك المنام خرج العباس، فلقيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقا للعباس،فأخبره بصورة ذلك المنام،وشرط عليه أن لا يذكره لأحد، فذكر الوليد ذلك لأبيه عتبة ، فشاع خبر ذلك المنام بمكة، فأتى أبو جهل بن هشام العباس رضي الله عنه ،فقال له: يا أبا الفضل ما هذه النبية التي قد ظهرت فيكم ،ثم قال: يا بني عبد المطلب أما يكفيكم أن يدعي رجالكم النبوة حتى تدعيها نسوتكم أيضا ،لأن نتربص بكم وننتظر منام عاتكة ثلاثة أيام ، ثم نقف نحن معاشر قريش ونكتب كتابا أنه ليس في قبائل العرب أكذب من بني عبد المطلب ، فقال العباس: لما سمعت هذا الكلام السمج[5] من أبي جهل لعنه الله ، لم ألاحه[6]، وأنكرت منام عاتكة. فلما دخلت منزلي اجتمعت علي نساء أقربائي من بني عبد المطلب، وأخذن في لومي ،وقلن لي هذا السفيه أبا جهل الشقي لعنه الله كان يطعن في رجالكم من قبل ،فلم تردعوه، وصبرتم على ذلك حتى أفضى به ذلك إلى قدحه في نسائكم ،فخجل العباس منهن، وقال: الحق معكن وقد أخطأت حيث لم أجبه، وفي غد أجيبه عما قال، وأجازيه على سوء فعله إن شاء الله تعالى، وبات تلك الليلة مغتاظا، فلما أصبح أتى المسجد عازما على خصامه وكان ذلك اليوم هو اليوم الثالث من منام عاتكة ،فرأى أبا جهل هناك ،فأراد أن يخاصمه ،فقام أبو جهل مسرعا وخرج من المسجد ،فظن العباس أنه يهرب لأن لا يخاصمه، وكان أبو جهل لعنه الله قد سمع نداء ضمضم بن عمرو الغفاري، الذي أرسله أبو سفيان لإعلام قريش ،ولم

---

[1]-هي عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في إسلامها فقال ابن إسحاق وجماعة من العلماء لم يسلم من عمات النبي غير صفية وكانت عاتكة عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي ولها من الأبناء عبدالله وأم زهير وقريبة . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٥٤٨.

[2]- يقال لقريش الداخلة، وهم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة: قريش البطاح، والذين ينزلون خارج الشعب قريش الظواهر؛ فقريش البطاح قبائل بني عدىّ، وجمح، وتيم، وسهم، ومخزوم، وأسد، وزهرة، وعبد مناف .وقريش الظواهر بنو عامر بن لؤي: مخلد بن النضر، والحارث، ومالك ، والحارث، ومحارب ،وفهر، وتيم . ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،ج٢،ص٢٠٣

[3]- أشق المنخرين :واسعهما . رضا: معجم متن اللغة ،ج٣،ص٣٥٢.

[4]- قلة الجبل أعلاه. الزبيدي:تاج العروس ،ج٣٦،ص٢٢.

[5]- هو الكلام القبيح الذي ليس فيه ملاحة . الزبيدي:تاج العروس،ج٦،ص٤٤.

[6]- هي المخاصمة والملامة والمنازعة . ابن منظور:لسان العرب،مج١٥،ص٢٤١.

يكن العباس قد سمع ذلك ،وكان وصول ضمضم في تلك الساعة على بعير قد شق منخريه ،وهو مشقوق الجيب[١] ينادي بأعلى صوته: يا معاشر قريش اللطيمة[٢]، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد و أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

فلما سمع العباس ذلك استعد للحرب هو وأبو جهل وجميع صناديد قريش، ولم يتخلف منهم أحد سوى أبي لهب بن عبد المطلب ،وأمية بن خلف الجمحي ،فأما أبولهب فأنه استأجر العاص بن هاشم المخزومي، وأنفذه عوضا عن نفسه، وكان العاص خال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقتل في غزوة أحد على يدي عمر، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وأما أمية بن خلف الجمحي، وكان قد علت سنه، وكان مربوطا يعسر عليه الحركة، فلم يتمكن من الخروج معهم، فأتاه عقبة بن أبي معيط الأموي[٣] بمجمرة فيها بخور، وقال له: يا أبا علي بخر ثيابك فإنك من النساء (٥ – و)لا من الرجال حيث هربت من الحرب، فلما سمع أمية ذلك اغتاظ منه، وسبه، وسفه عليه، واستعد للخروج ، ثم خرج معهم .

وكان عتبه بن ربيعة حينئذ مقدم قريش ،وكان رجلا داهية فقال لأخيه شيبة: إن هذا ابن الحنظلية[٤]يعني أبا جهل رجل مشئوم، وبينه وبين محمد عداوة عظيمة، وليس بينه وبينه قرابة قريبة كقرابتي من محمد، فقد عزمت أيضا على التخلف عنهم، فقال أخوه شيبة: متى تخلفنا ذكرنا بالسوء، ولامتنا قريش فالمصلحة تقتضي أن تخرج معهم، فخرج عتبة أيضا كارها.

فلما خرجوا كانوا قريبا من ألف نفر، و كان بينهم وبين بني بكر المجاورين لهم عداوة، سببها أن قريش قتلوا رجلا منهم ،فخافوا أنهم إذا خرجوا يتبعهم بنو بكر[٥]، فيكون المسلمون من بين أيديهم، وبنو بكر من وراء ظهورهم ،فيهلكون بين الطائفتين، فرأوا أن يصالحوا بني بكر أولاً،

---

[١]- وفي رواية الواقدي وابن هشام (قد جدع بعيره وشق قميصه وحول رحله). الواقدي:المغازي ، ج١،ص٣١ . ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢،ص٢٥٢. ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١،ص٣٨٠. الحاكم:المستدرك على الصحيحين، ج٣،ص٢١.

[٢]- اللطيمة هي جميع ما حملت العير للتجارة وقيل هي العير تحمل المسك والطيب . الواقدي:المغازي ،ص ٣٢ . الزبيدي:تاج العروس،ج٣٣،ص٤٢٤.

[٣]- عقبة بن أبي معيط واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان عقبة أشد الناس عداوة وأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسر يوم بدر أسره عبدالله بن سلمة العجلاني فلما وصل النبي إلى عرق الظبية أمر بقتله فقال عقبة فمن للصبية يا محمد فقال النار فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري . الواقدي:المغازي ،ص١١٤ .ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١١٨-١٢٠.

[٤]- الحنظلية أم أبي جهل وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٦٥-٢٦٦.

[٥]- هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة . ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٥٣ .

ليأمنوا شرهم، ثم يتوجهوا مفرغين لقتال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاء إبليس لعنه الله على الفور في صورة سراقة بن مالك المدلجي[١]،وكان سراقة هذا يوم إذ رئيس في بكر ومقدمهم، وقد تقدم ذكره فيما مر يوم الهجرة، وقال لهم :أنا رئيس بني بكر أعاهدكم على أن لا يقصدكم أحد منهم ولا يتعرض لكم بسوء، فلتطمأن قلوبكم ،فاطمأنت قريش حينئذ بذلك، وساروا في تسع مائة وخمسين نفراً، وقيل ألف نفر، ومعهم مائة فرس فغنم المسلمين عند هزيمتهم ثلاثين فرساً، وكان معهم أيضا سبعمائة بعير للركوب، وتوجهوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم في عدة كاملة وصحبوا معهم كثيراً من الخمر، وما يحتاجون إليه من آلات مجلس الشراب .

ولما خرج النبي عليه السلام من المدينة سلم لواءه الكبير الأبيض إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه ،وكان من بني عبد الدار، وسلم الراية السوداء التي كان يسار بها بين يديه صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب ،وأمر قيس بن أبي صعصعة الأنصاري[٢] رضي الله عنه على الراجلة، ولما وصلوا إلى الصفراء[٣] وهو منزل مشهور فأنفذ النبي عليه السلام رجلين يقال لأحدهما بسبس بن عمرو الجهني[٤] وللآخر عدي بن أبي الزغباء الجهني[٥] بين يديه إلى بدر ليتحسسا الأخبار، وسمي ذلك الموضع ببدر، لعين هناك تسقى منها الماء منسوبة إلى رجل اسمه بدر،فلما وصلا إلى بدر رأيا امرأتين تستقيان الماء من بئر بدر وكانت إحداهما تطالب الأخرى بدين كان لها

---

[١]- سراقة بن مالك بن جعشم الكناني سيد بني مدلج يكنى أبا سفيان وهو الذي اعترض النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في طريق الهجرة إلى المدينة أسلم بعد فتح مكة وله رواية للحديث توفي سنة ٢٤هـ. البخاري:صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار،ص ٩٥٨ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٤٥٥-٤٥٦. الشنقيطي :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٢،ص١٠٣.

[٢]- هو قيس بن أبي صعصعة الأنصاري عمرو بن زيد بن عوف بن مازن بن النجار شهد العقبة مع السبعين من الأنصار شهد بدرا وأحدا واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المشاة يوم بدر. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٧٩ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٠١٩.

[٣]- الصفراء من ناحية المدينة وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج وسلكه رسول الله صلى الله عليه و سلم غير مرة وبينه وبين بدر مرحلة. الحموي: معجم البلدان ،مج٣،ص٤١٢.

[٤]- هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خراشة بن زيد بن عمرو بن سعد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة حليف بني ساعدة بن الخزرج شهد بدرا وأحدا وليس له عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٥١٩. ابن حجر العسقلاني:الإصابة ،ج١،ص٣٥٨

[٥]- عدي بن أبي الزغباء بن سبيع بن ربيعة بن زهرة بن بديل الجهني حليف بني مالك بن النجار له صحبة شهد المشاهد مع النبي صلى الله عليه و سلم توفي في خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٦٠. ابن ماكولا(علي بن هبة الله بن أبي نصر،ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤١١هـ،ج٤،ص ١٨٦.

عليها، فقالت لها :اصبري فإن القافلة قد نزلت بالروحاء[١] وستصل في هذين اليومين إلى هاهنا، فإذا وصلوا عاملتهم ووفيتك دينك.

فلما سمع بسبس وعدي، ووعيا منهما ذلك ،رجعا مسرعين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبراه بأن القافلة واصلة بعد يومين إلى بدر، ولما وصل أبو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص إلى حدود بدر في القافلة، وكانوا يخافون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،فتقدما إلى بدر ليتعرفا أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ،فرأيا مجدي بن عمرو الجهني، وكان يسكن بدر، فسأله عن النبي عليه السلام وأصحابه فقال لهما :لم أر سوى راكبين جاؤوا واستقيا من البئر ماء وذهبا به فجاء أبو سفيان وعمرو بن العاص إلى مبرك بعيري بسبس وعدي فتناول أبوسفيان من بعرهما، بعرة وفتها ،فوجد فيها نوى التمر ،فقال لعمرو بن العاص : ليس في العرب من تعلف الإبل بنوى التمر سوى أهل المدينة، لكثرة التمر هناك فلا شك أن هذين الرجلين من أصحاب محمد، فرجعا من فورهما ولم يمكنا القافلة من المسير إلى بدر ،وعدلوا عن الطريق إلى ساحل جدة[٢]، وأسرعوا حتى دخلوا مكة ولم يدركهم النبي عليه السلام .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من وادي الصفراء بلغه الخبر أن صناديد قريش قد خرجوا في جمع كثير، وجم غفير ،وعدة كاملة لحفظ أبي سفيان والقافلة ،وأنهم قد نزلوا على أقل من مرحلتين من المنزل الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما وصل النبي عليه السلام قريب من بدر، تقدم هو و أبو بكر الصديق رضي الله عنه على طريق آخر ليتعرفا الأحوال،فلما انتهيا إلى بعض الطريق رأيا أعرابي[٣]، فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه،فقال لهما الأعرابي: لا أقول لكما شيئا من ذلك حتى تعرفاني حالكما ومن أنتما : فقال له رسول الله صلى عليه السلام:((أخبرنا أولا لنخبرك أيضاً))، فقال الأعرابي سمعت أن قريش رحلوا يوم كذا من الجحفة، وفي هذا اليوم ينزلون بذات عرق[٤]،ويصلون غدا إلى هنا، وأما محمد وأصحابه فإنهم خرجوا يوم كذا من وادي

---

[١]- من عمل الفرع على نحو من أربعين يوما وقيل في تسميتها أن تبع لما رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسماها الروحاء وسئل كثير لم سميت الروحاء روحاء فقال لانفتاحها ورواحها . الحموي: معجم البلدان ،مج٣،ص٧٦.

[٢]- بلد على ساحل بحر اليمن وهي فرضة مكة بينها وبين مكة يوم وليلة وهي في الإقليم الثاني وهي من منتهى ذات عرق إلى حيز البحر من السهل إلى الجبل قال أبو المنذر وبجدة ولد جدة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فسمي جده باسم الموضع . الحموي: معجم البلدان ،مج٢،ص١١٤-١١٥.

[٣]- وقيل أسمه سفيان الضمري ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٥٩.

[٤]- ذات عرق سمي به لأن به عرقا والعرق هو الجبل الصغير وهو موضع على مرحلتين من مكة وهو الحد بين نجد وتهامة وهو ميقات أهل العراق. البخاري:صحيح البخاري،كتاب الحج،ص٣٧٢. مسلم: الجامع

الصفراء ويصلون اليوم إلى هنا ،وكان الأمر كما قال، ثم أنه سألهما فقال: من أنتما وما حالكما فأجابه النبي عليه السلام بجواب مبهم، فقال : ((نحن من ماء))، فقال الأعرابي أي المياه فقال : ((من ماء العراق وغيره))، ثم رجعا إلى العسكر ، فلما أمسوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم: علياً، والزبير، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم إلى بدر ليتحققوا أحوال المشركين، فلما وصلوا إلى بئر بدر رأوا راوية قريش مملوءة من الماء محملة على الإبل، ومعها رجلان يقال لأحدهما أسلم مولى بني الحجاج السهمي ،والآخر أبي يسار مولى بني العاص الأموي[1]، فقبضوا عليهما وأحضروهما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي عليه السلام في الصلاة فسألهما من حضر من الصحابة، وسأل عن أحوالهما، فقالا: نحن من قريش خرجنا لقتال محمد وأصحابه، ونحن إنما جئنا إلى بئر بدر لنستقي لهم الماء، وكره المسلمون ذلك لكونهم قصدوا القافلة ،وفضلوا الفوز بالغنائم ففاتهم ذلك ووقعوا فيما كانوا يحذرونه من قتال قريش فأوجعوهما ضربا ،فقالا :كذبنا إنما نحن من أصحاب أبي سفيان من القافلة، فكفوا عن ضربهما، وكان النبي عليه السلام يسمع محاورتهم وهو في صلاته، فلما فرغ منها أقبل على أصحابه وقال: ((إنكم لتضربوهما إذا صدقا، وتتركوهما إذا كذبا، إنهما من راوية قريش))[2]، ثم سألهما عن مكان قريش ،فقالا: إنهم بالعدوة القصوى، وكان النبي عليه السلام بالعدوة الدنيا، وهما موضعين معروفين ببدر كما ورد في القرآن المجيد قوله تعالى:{ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى }[3]، فسألهما النبي عليه السلام عن كمية عدد عسكرهم، فقالا: هم كثيرون كثيرون لا يعرف عددهم ،فسألهما عما ينحرون في كل يوم من الإبل، فقالا في يوم تسعة وفي يوم عشرة، فقال النبي عليه السلام :عددهم يزيد عن مائة وينقص عن ألف.

وكان الأمر كما قال،ثم سألهما عمن صحبهم من أكابر قريش فقالا : عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة ،وأبو البختري بن هشام [4]،و حكيم بن حزام[1]، ونوفل بن خويلد[2]،والحارث بن

الصحيح المسمى صحيح مسلم ، باب مواقيت الحج والعمرة ،ج٢،ص٨٤٠. البدر . ابن الملقن (سراج الدين عمر بن علي ،ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م): المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،تحقق مصطفى أبو الغيط - عبدالله بن سليمان - ياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض-السعودية،ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،ج٦،ص٨٣.

[1]- زاد الواقدي عليهما أبو رافع غلام أمية بن خلف. الواقدي:المغازي، ج١ ،ص٥٢.

[2]- البيهقي: دلائل النبوة ،تحقيق عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ،ط١،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،ج٣،ص١٠٩.

[3]- سورة الأنفال الآية ٤٢.

[4]- هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أصحابه عن قتله إن لقوه لأنه خرج مكرها مع قريش ولأنه كان أكف القوم عن النبي وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه

عامر[٣] (٦ - ظ)، وطعيمة بن عدي[٤] ، و النضر ابن الحارث[٥]، وزمعة بن الأسود[٦] ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجاج السهمي[٧] ، وسهيل بن عمرو[١]، وعمرو بن

وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم ، فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار فأخبره بوصية النبي فاشترط أبو البختري على المجذر أن يأمن زميل له كان من مكة فأبى فقال أبو البختري لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة فقتله المجذر. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢،ص٢٧١-٢٧٢-٢٧٣ . ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١١٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج٢،ص٢٥.

[١]- هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو من مسلمة الفتح وكان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة وعاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة ٥٤هـ في أيام معاوية ابن أبي سفيان. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢٩٤.

[٢]- هو نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ويقال له ابن العدوية نسبت على أمه الخزاعية وهو الذي قرن بين أبي بكر وطلحة بن عبيد الله حين أسلما بمكة في حبل واحد فكانا يسميان القرينين وكان من شياطين قريش قتله على بن أبي طالب يوم بدر وقيل قتله الزبير . الواقدي:المغازي ، ج١،ص١٤٩ . ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٨.

[٣]- هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قتله خبيب بن يساف أخو بني الحارث بن الخزرج وكان من المطعمين في قريش يوم بدر. الواقدي:المغازي، ج١ ،ص١٤٨. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٨ . ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١١٩.

[٤]- هو طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف قتل يوم بدر قتله حمزة بن عبد المطلب وقيل علي بن أبي طالب وكان من المطعمين في قريش وهو عم جبير بن مطعم بن عدي الذي أرسل غلامه وحشي ليقتل الحمزة ثأرا لعمه طعيمة في أحد.ابن إسحاق(محمد بن يسار المطلبي،ت١٥١هـ/٧٦٨م):السيرة النبوية،تحقيق أحمد فريد المزيدي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١٤٢٤،١هـ-٢٠٠٤م،ج١-٢،ص٣٣١. الواقدي:المغازي ، ج١،ص١٤٨. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١١٨.

[٥]- هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار وهو الذي كان يقول للنبي عليه الصلاة والسلام حين كان بمكة ادع ربك يمطر علينا بحجارة من السماء أسره المقداد بن عمرو يوم بدر وكان النضر قد ناشد مصعب بن عمير بحكم القرابة بينهما أن يكلم النبي في أمره فأبى مصعب ذلك ثم أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يقتل فقتله علي بن أبي طالب صبرا بالسيف بالأثيل بعد ما نصرفوا من بدر. الواقدي:المغازي ، ج١،ص١٠٦-١٠٧.ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٨ . السيوطي: الدر المنثور،ج٤،ص٥٥.

[٦]- هو زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي يكنى بأبي حكيمة وكان زمعة أحد المطعمين يوم بدر مع المشركين وقتل يومئذ كافرا قتله أبو دجانة الأنصاري ولما وصل خبر مصرعه وإخوته إلى أبيه الأسود بن المطلب أرد أن يبكيهم وكانت قريش قد اتفقت على منع البكاء والنياحة على قتلا بدر لكي لا يشمت بهم المسلمون فبينما هو كذلك إذ سمع صوت نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره انظر هل بكت قريش قتلاها لعلي أبكي على أبي حكيمة فإن جوفي قد احترق فلما رجع الغلام قيل له إنما هي امرأة تبكي بعير لها أضلته فقال الأسود:

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

.الواقدي:المغازي ،ص١٤٤.ابن حبان:الثقات،ج٣،ص ٢١٧. ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١،ص٤١٠.

[٧]- وكانا من المطعمين يوم بدر فأما منبه فقتله أبو أسيد الساعدي الأنصاري وهو صاحب السيف المسمي ذو الفقار فكان عند النبي عليه الصلاة والسلام وأما نبيه فقتله علي بن أبي طالب. الواقدي:المغازي، ج١،ص١٢٨-١٥١-١٥٢. ابن هشام :السيرة النبوية،ج٢، ص٣٥١.

عبد ود[٢] ،وكان قد صحبهم أيضا من عظماء قريش العباس بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب[٣] . فلما سمع النبي صلي الله عليه وسلم ذلك أقبل على الصحابة وقال:((هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها))[٤]، يعني أنه لم يبق بمكة أحد من صناديد قريش وعظمائها إلا وقد خرج إلى حربكم .

ثم جمع النبي عليه السلام أصحابه ليشاورهم في أمره ،فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أولا، وزين المجامع بحسن كلامه، ثم قام بعده عمر بن الخطاب والحارث رضي الله عنهما وتكلما أيضا فأحسنا، ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه وقال: يا رسول الله نفديك بأرواحنا، فقم وامتثل ما أمرك الله تعالى فنحن بأجمعنا متفقون معك، منقادون لأوامرك، فسر حيث شئت فإنا متبعوك، ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى:{ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون }[٥].بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون[٦]، والذي بعثك بالحق نبيا لو أمرتنا أن نضرب بها برك الغماد[٧] لفعلنا، فأعجب النبي عليه السلام كلامه، وأثنى عليه ودعا له ،ثم قال: أيها الناس تكلموا، وكان غرضه أن يسمع كلام الأنصار،لأنهم كانوا أكثر من المهاجرين عددا ومددا،فقال سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه، وكان مقدم الأوس : لعل رسول الله يستنطقنا معشر الأنصار؟ فقال النبي

---

[١]- هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري خطيب قريش أبو يزيد أسر في بدر أسره مالك بن الدخشم وقدم في فدائه مكرز بن حفص بن الأخيف وكان عمر بن الخطاب قد أشار على النبي حين أُسر سهيل أن ينزع ثنيته حتى لا يقوم خطيبا يحرض على المسلمين فلم يفعل النبي وقال لعله يقوم مقاما لا تكرهه فكان كما قال وذلك حين وصل خبر وفاة النبي مكة فقام خطيبا يشد أمر المسلمين وسهيل هو من صالح النبي في الحدبيبة وخرج من مكة إلى حنين مع النبي وهو كافر فأسلم بالجعرانة وأعطاه النبي يومئذ من غنائم حنين مائة من الإبل وحسن إسلامه سكن المدينة ثم هاجر إلى الشام وتوفي سنة ١٨هـ في خلافة عمر . الواقدي:المغازي، ج١ ،ص ١٤٣.ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٦،ص ١١٩-١٢٦ . ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ،ج٣،ص٢١٢ .

[٢]- هو عمرو بن عبد ود بن أبي بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وكان من أبطال العرب قاتل يوم بدر قتالا شديدا فأثخن بالجراح وهرب إلى مكة ولم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما وهو يومئذ ابن سبعين سنة فبرز له على بن أبي طالب فقتله . ابن إسحاق:السيرة النبوية،ج١-٢،ص٤٠١. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٣، ص١٧٦ . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص ٦٤. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١٨٥ .ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢،ص.٩٢-٩٣-٩٤.

[٣]- هو عقيل بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخو علي وجعفر وهو أكبرهما يكنى أبا يزيد وزوجته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة وكان عقيل أعلم قريش بالنسب و ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرها فأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه عمه العباس ثم أتى مسلما قبل الحديبية سنة ثمانية وشهد غزوة مؤته وتوفي في خلافة معاوية. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٤،ص٣٨-٤٠ .البيهقي:السنن الكبرى،ج٧،ص ٣٠٦.ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨٥٩-٨٦٠-٨٦١ .

[٤]- البيهقي: دلائل النبوة ،ج٣،ص٤٢.

[٥]- سورة المائدة الآية ٢٤.

[٦]-انظر صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٧٢.

[٧]- برك الغماد هي موضع وراء مكة بخمس ليال وقيل بلد باليمن دفن فيها عبدالله بن جدعان التيمي القرشي وقيل موضع في أقصى هجر. الحموي: معجم البلدان ،مج١،ص٣٩٩-٤٠٠.

عليه السلام :((نعم)) فقال سعد: يا رسول الله نحن آمنا بنبوتك ،وصدقنا برسالتك، وقد أكدنا بيننا وبينك العهود والمواثيق ،فافعل ما تريد، وتمم عزيمتك، فو الذي بعثك بالحق نبيا لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر الأسود لفعلنا، ولم نتخلف عنك ،ولفديناك بأرواحنا فلا تبالي بقتالنا أعداءك وحربنا لهم ،فإنا معشر الأنصار صادقون في الحرب ،صابرون على الطعن والضرب ،ونرجو من الله الكريم أن لا يصدر منا إلا ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فسر على خيرة الله تعالى. فسر النبي صلى الله عليه وسلم بكلام سعد ،وظهرت البشاشة على صفحات وجهه ،وسار من فوره بأصحابه وبشرهم بأن الله تعالى وعدهم إحدى الحسنيين: إما النصر على كفار قريش، وإما الظفر بالقافلة ، وأما أبو سفيان فسار بالقافلة إلى ساحل جدة، وترك بدر على شماله وعجل في السير،فلما أمن، أرسل إلى صناديد قريش الذين كانوا بعد في الجحفة وقال: إن أموالكم والقافلة قد خلصت من شر محمد وأصحابه، وإنا قد مضينا إلى مكة مشمولين بالسلامة فالمصلحة في أنكم ترجعون وحيث كان ولداه: حنظلة، وعمرو مع قريش، فخاف عليهما، وأراد أن يرجعا عاجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا بواد كثير الحجارة، فقال حباب بن المنذر[1]: يا رسول الله إن هذا الموضع لا يليق بك والمصلحة في أنا نستقبل الأعداء، وإن هناك ماء عذب يعني بدرا، فنصنع حوضاً من الأدم، وندخر الماء، ونتوجه إلى الأعادي باستظهار وتمكن تام، فنزل جبرائيل عليه السلام في الحال، وقال:((إن الرأي ما أشار به حباب))[2]، فنزل النبي عليه السلام على بئر بدر،وصنعوا له من سعف النخل عريشا أعلى من السرير، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه على باب ذلك العريش ،وغشي تلك الليلة نعاس بالمسلمين ،وغلب عليهم، وعبأ النبي صلى الله عليه من الغد العساكر، وأقام الصفوف، ووصلت صناديد قريش وتحيروا ،لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قد أخذوا عليهم الماء،وهبت ريح عاصفة ثلاث مرات، فكان في المرة الأولى جبرائيل عليه السلام في ألف من الملائكة ، وفي الثانية ميكائيل عليه السلام مع ألف أخرى على الميمنة، وفي الثالثة إسرافيل عليه السلام في ألف ملكا على الميسرة، وكانت

---

[1]- هو الحباب بن المنذر الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي . يكنى أبا عمر وقيل أبا عمرو وشهد بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكان يقال له ذو الرأي لما أشار على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد الحباب المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو القائل يوم سقيفة بني ساعدة عند بيعة أبي بكر : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير وتوفي الحباب في خلافة عمر بن الخطاب . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٥٢٥-٥٢٦ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢٤١-٢٤٢.

[2]- الحاكم: المستدرك على الصحيحين،ج٣،ص٤٨٢.

علاماتهم أنهم كانوا قد ألقوا العمائم على مناكبهم حمراً، وخضراً، وصفراً من النور ،وقد ركبوا الخيول البلق[١] والصوف في نواصيها[٢].

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام :((حيث أن الملائكة لهم علائم، فاجعلوا أنتم أيضا العلامات على قلانسكم[٣] ومعافركم))[٤] ، فاطمأن المسلمون بوجود الملائكة وقويت قلوبهم ،وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي[٥] لتفتيش المكامن وليتفحص عن أحوال المسلمين ،فرجع وقال إنه لا مدد لهم ولا كمين، وهم ثلاثمائة نفر تقريبا ومعهم سبعين بعيرا وفارسان ،ولكن البلايا[٦] تحمل المنايا، وهم قوم لا ملجأ لهم ولا ملاذ إلا السيوف، وكأنهم بكم أدهم[٧] لا يتكلمون، ولكنهم كالأفاعي يتلمظون، وهم مترصدون المحاربة، والقتال والمبارزة والنضال،فلو قتل كل واحد منهم واحدا منا فماذا يبقى بعد ذلك بيننا من الخير والسلامة ،وأنتم أعلم وأخبر، فقال حكيم بن حزام الذي كان أعقل القوم وأكملهم لعتبة وشيبة :بأن يرجعوا بالناس ويسلكوا طريق السلامة .

فلما سمع أبو جهل هذا الكلام هزته حمية الجاهلية ، و بعث إلى عامر بن الحضرمي الذي كان قد قتل أخوه بوادي نخلة ،وقال له يجب عليك أن تقتص لدم أخيك، فكشف عامر رأسه، وأخذ في الصياح والالتهاب ،فلما رأى عمير بن وهب الحال ،كذلك حرض قريش على قتال المسلمين ومناوشتهم،وهيجهم،وثبت المسلمون في صفوفهم واستعرت نار الحرب ،وأخذوا في الطعن

---

[١]- البلق هي الدابة التي اختلط سوادها ببياضها. ابن منظور:لسان العرب،مج١٠،ص٢٥.

[٢]- انظر. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص ١٤-١٥. البخاري:صحيح البخاري،كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا،ص٩٨٠-٩٨١.

[٣]- القلانس غطاء يلبس في الرأس من الجلد أو الصوف. الزبيدي:تاج العروس،ج١٦،ص٣٩٣.

[٤]- المعافر: برود باليمن منسوبة إلى معافر وهي قبيلة باليمن. انظر .البيهقي: دلائل النبوة ،ج٣،ص٥٥. ابن منظور:لسان العرب،مج٤،ص٥٨٣.

[٥]- هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي يكنى بابي أمية شهد بدرا كافرا فلما انهزم المشركون كان عمير فيمن نجا واسر ابنه وهب ثم أسلم بعد بدر بالمدينة ، قدمها ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم فهداه الله فأسلم ، ثم رجع إلى مكة مسلما وتوفي في خلافة عثمان بن عفان. الحاكم الكبير(محمد بن إسحاق،ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) :الأسامي والكنى،تحقيق يوسف بن محمد الدخيل، مكتبة الغرباء الأثرية،ط١،د.ت،ج١،ص٥٣. أبو نعيم: معرفة الصحابة،ج٤،ص٢٠٩٣. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٩٦٦-٩٦٧.

[٦]- الناقة أَو الدابة التي كانت تعقل في الجاهلية تشد عند قبر صاحبها لا تعلف ولا تسقى حتى تموت كانوا يقولون إن صاحبها يحشر عليها. ابن منظور:لسان العرب،مج١٤،ص٨٣. الزبيدي:تاج العروس،ج٣٧،ص٢٠٥.

[٧]- أدهم الدُّهْمَةُ السواد والأَدْهَمُ الأَسْود يكون في الخيل والإبل وغيرهما والعرب تقول ملوك الخيل دُهْمُها والدهم الداهية سميت بذلك لإِظْلامِها فقيل للقُدور وقد دَهَّمَتْها النارُ دَّهْماء ويقال مثل ذلك للرجل ادهم إذا تغيرت سَحْنَته وفَعَلَ به ما أَدْهَمَهُ أي ساءَه. ابن منظور:لسان العرب،مج١٢،ص٢٠٩.

والضرب،وكان أول من برز من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب[١]،فقتله عامر الحضرمي، وكان أول من قتل من المسلمين ،وبرز من بعده عمير بن الحمام[٢]،فقتل على يد خالد بن الأعلم العقيلي[٣]،وقويت قلوب قريش وتشجعوا، وخرج شيبة وعتبة والوليد بن عتبة وطلبوا المبارزة وجالوا، فخرج ثلاثة من الأنصار وهم: معاذ[٤]، ومعوذ، وعوف، أولاد عفراء[٥]الذي كان أبوهم الحارث، ولما قتل في المبدأ رجلا من الأنصار، فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج أحد منهم، فردهم باللطف والرأفة، ونادى عتبة وشيبة وقالا: يا محمد أبرز إلينا المبارزين من أكفائنا (٧ - و) وأقربائنا، ولا تبرز الضعفاء ،فالتفت النبي عليه السلام إلى بني هاشم وقال : ((قاتلوا في سبيل الله، وأدوا حقوق الله تعالى حيث أرسل إليكم رسولا،وحيث قد جاء هؤلاء بالباطل يريدون به إطفاء نور الحق))[٦]، فخرج: حمزة بن عبد المطلب ،وعلي بن أبي طالب كالأسد الأزور، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقال لهم عتبة :إن سلاحكم حجاب المعرفة، فتكلموا لنعرف من أنتم؟ فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسوله ، فقال له عتبة:ونعم أنت كفء كريم ،وأنا أسد الحلفاء، فمن هذان الشخصان اللذان بصحبتك؟ فقال: هما علي بن أبي طالب ،وعبيدة بن الحارث،فقال عتبة :هما

---

[١]- هو مهجع مولى عمر بن الخطاب يقال أنه من أهل اليمن أصابه سبي فمن عليه عمر بن الخطاب وأعتقه وكان من المهاجرين الأولين ولا عقب له. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٢٦ . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٣٦٤.

[٢]- هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب وأمه النوار بنت عامر بن نابىء بن زيد بن حرام بن كعب. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين عمير بن الحمام وعبيدة بن الحارث وقتلا يوم بدر جميعا وفي الحديث أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان في قبة يوم بدر فقال: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فقال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لم تبخبخ؟ قال: أرجو أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. قال: فانتثل تمرات من قرنه فجعل يلوكهن ثم قال: والله لئن بقيت حتى ألوكهن إنها لحياة طويلة. فنبذهن وقاتل حتى قتل.وكان أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام قتله خالد بن الأعلم وقيل حبان بن العرقة وليس لعمير بن الحمام عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٥٢٣-٥٢٤. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٩٦٢.

[٣]- هو خالد بن الأعلم العقيلي وقيل الخزاعي حليف بني مخزوم شهد بدرا وأسر وهو القائل:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وهو أول من فر يوم بدر فأدرك وأسر وشهد أحدا فقتل فيها قتله قزمان بن الحارث حليف للأنصار من بني عبس . ابن هشام :السيرة النبوية،ج٣، ص٣٥٥ .ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١٢٠.

[٤]- هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار الخزرجي وأمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وإليها ينسب أبنائها الثلاثة ومعاذ أول من اسلم من الأنصار بمكة وشهد العقبتين وأخي النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معمر بن الحارث،شهد المشاهد كلها مع النبي وتوفي بعد مقتل عثمان بن عفان وله عقب. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص ٣٤٢ . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٥٥-٤٥٦.

[٥]- هو معوذ وعوف ابنا الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار شهدا العقبتين وهما الذين ضربا أبا جهل يوم بدر فأثبتاه لكنه عطف عليهما وعطف عليهما أبو جهل فقتلهم ثم أجهز عليه عبدالله بن مسعود ولعوف عقب و أما معوذ فليس له. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٥٦-٤٥٧.البخاري: صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٧٨ . ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١٣٥.

[٦]- تفرد بها الهمذاني.

قريبان وكريمان، فقال عتبة لولده الوليد: قم فاستعد للحرب ،فأقدم عليه علي بن أبي طالب، لأنه كان مساويا له في العمر، وواجهه، فجالا واعتركا، فاختلفت بينهما ضربتان، فضربه علي عليه السلام، ضربة أهلكه فيها وأرداه، فلما رأى عتبة ذلك الحال، برز في الحال، فواجهه حمزة وتصافا وجرت بينهما ضربات ،فأهلكه حمزة، فعندها خرج شيبة وخرج في مقابلته عبيدة بن الحارث، الذي كان أسن من جميع الصحابة، فأصاب شيبة بذبال سيفه عضلة ساق عبيدة، وجرحه، فلما رأى حمزة وعلي ذلك اتفقا، وقتلا شيبة، ونزلت سورة الأنفال موافقة لحال القرشين والهاشميين الذي كان بعضهم خصماء بعض[1]، ولما رأى الكفار أن رؤسائهم قد قتلوا، ولوا الأدبار،وتوجه المسلمون عقبهم واستشهد أربعة عشر رجلا من المسلمين في ذلك: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار،وكان من المهاجرين عبيدة بن الحارث ،وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، ومن الأنصار عاقل بن أبي البكير[2]، ومهجع مولى عمر، وصفوان بن البيضاء[3] ،وسعد بن خيثمة[4] ،ومبشر بن عبد المنذر[5] والحارثة بن سراقة[6]، وعوف، ومعوذ ابنا عفراء، وعمير بن

---

[1]-أنظر البخاري: صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٧٤.

[2]- هو عاقل بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان اسم عاقل غافلا فلما أسلم سماه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عاقلا. وكان أبو البكير بن عبد ياليل حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فهو وولده حلفاء بني نفيل وقد أسلم عاقل وعامر وإياس وخالد بنو أبي البكير جميعا في دار الأرقم وهم أول من بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيها.ثم خرج عاقل وخالد وعامر وإياس بنو أبي البكير من مكة إلى المدينة للهجرة رجالهم ونساؤهم فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين عاقل بن أبي البكير وبين مبشر بن عبد المنذر وقتلا جميعا ببدر، ويقال بل آخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين عاقل بن أبي البكير ومجذر بن زياد، وقتل عاقل بن أبي البكير يوم بدر شهيدا وهو بن أربع وثلاثين سنة، قتله مالك بن زهير الجشمي أخو أبي أسامة. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٣٦٠. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦٠٨.

[3]- هو صفوان البيضاء وهي أمه وأبوه وهب بن ربيعة الفهري هاجر إلى المدينة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين رافع بن المعلى واستشهد في بدر قتله طعيمة بن عدي . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٣٨٥. الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١،ص٣٨٤.

[4]- هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب الأوسي يكنى أبا عبدالله شهد العقبة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي سلمة بن عبد الأسد وكان أحد النقباء الإثني عشر من الأنصار شهد بدرا واستشهد فيها قتله عمر بن عبد ود العامري وقيل طعيمة بن عدي .ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٤٤٦ -٤٤٧. الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١،ص٣٦٦.

[5]- هو مبشر بن عبد المنذر بن رفاعة بن أمية بن زيد وأمه نسيبة بنت زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، وليس له عقب. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين مبشر بن عبد المنذر وعاقل بن أبي البكير ويقال بل بين عاقل ابن أبي البكير ومجذر بن زياد. وشهد مبشر بدرا وقتل يومئذ شهيدا قتله أبو ثور ، أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لمبشر بن عبد المنذر وأعطى سهمه أخوه رفاعة ابن عبد المنذر. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٤٢٢. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٠٨١.

[6]- هو الحارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأمه أم حارثة واسمها الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وهي عمة أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين الحارثة بن سراقة والسائب بن عثمان بن مظعون. وشهد حارثة بدرا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

حمام، ورافع بن المعلى[١]، ويزيد بن الحارث[٢]ويقال له ابن فسحم وكان قد قتل من المشركين سبعون نفراً ،وأسر سبعون من الرؤساء: شيبة، وعتبة ،والوليد بن عتبة، والعاص بن سعيد ابن العاص[٣] ،وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري، وحنظلة بن أبي سفيان[٤] أخو معاوية، والحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف ،وطعيمة بن عدي، وزمعة بن الأسود،ونوفل بن خويلد الذي كانت أمه العدوية ،والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط قتل بمنزل الصفراء، والعاص بن هاشم بن المغيرة المخزومي خال عمر ابن الخطاب[٥]، وأمية بن خلف الجمحي وابنه علي بن أمية ومنبه بن الحجاج السهمي،ومعبد بن وهب.[٦] وأسامي مقدمي الأسرى هو هذا: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[٧]، وعقيل بن أبي طالب، وأبو العاص بن الربيع[٨]،وأبو عزيز بن عمير[١] والوليد بن الوليد

وقتل يومئذ شهيدا، رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فقتله، وليس لحارثة عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٤٧٣. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢١٧.

[١]- هو رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة، وأمه إدام بنت عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بينه وبين صفوان بن بيضاء، وشهدا جميعا بدرا وقتلا يومئذ . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٥٥٥. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٣٧٩.

[٢] - هو يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وأمه فسحم، وهي من بلقين بن جسر من قضاعة وإليها ينسب. وكان ليزيد وآخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه وبين ذي الشمالين . شهد بدرا ولا عقب له قيل إنه قتله طعيمة بن عدي القرشي أحد بني نوفل ابن عبد مناف . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٤٩٥. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٢٥٦.

[٣]- سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قتله علي بن أبي طالب. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٧ .ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١١٨.

[٤]- هو حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، قتله زيد بن حارثة في بدر وقيل بل اشترك في قتله زيد وعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٧.

[٥]- هو أخو أبو جهل عمر بن هشام وقتل يوم بدر على يد ابن أخته عمر بن الخطاب. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٤٩.

[٦]- قتله أبو دجانة الأنصاري . الواقدي:المغازي ،ص٨٦.

[٧]- هو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه غزية بنت قيس بن طريف بن عبد العزى. وكان لنوفل من الولد الحارث ولما أسر ببدر قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أفد نفسك يا نوفل، قال: ما لي شيء أفدي به نفسي يا رسول الله، قال: أفد نفسك برماحك التي بجدة، قال: اشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح.قيل فداه عمه العباس وكان أسن من أسلم من بني هاشم، ورجع نوفل إلى مكة ثم هاجر هو والعباس إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أيام الخندق،وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بينه وبين العباس بن عبد المطلب، وكانا قبل ذلك مشركين في الجاهلية متفاوضين في المال متحابين متصافين وشهد نوفل مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتح مكة وحنين والطائف، وثبت يوم حنين مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فكان وتوفي بعد أن استخلف عمر بن الخطاب بسنة وثلاثة أشهر فصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن في البقيع . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٤،ص ٤١. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٢١٠.

[٨]- أبي العاص مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأم أبي العاص هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة و كان فيمن شهد بدرا مع المشركين فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع وبعثت معه زينب بنت رسول الله، وهي يومئذ بمكة، بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد وكانت خديجة أدخلتها بتلك القلادة على أبي

ابن المغيرة[٢]،ووهب بن عمير بن وهب[٣]، وأبو وداعة بن ميسرة السهمي [٤]، وسهيل ابن عمرو العامري . وكان فداء كل نفس من الأسرى أربعة آلاف ،وثلاثة آلاف، وألفي درهم ،وألف درهم، والجماعة الذين كانوا فقراء عفا النبي عليه السلام عنهم، وكان منهم أبو عزة الجمحي الشاعر[٥]، ولما لم يكن أهل المدينة كتابا ،وكان أهل مكة كتابا، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأسرى

العاص بن الربيع حين بني بها، فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص، فلما رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، القلادة عرفها ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم. قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها وأخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه فوعده ذلك ففعل. أسلم أبو العاص سنة ٧هـوهاجر إلى المدينة ولم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا وتوفي سنة١٢هـ في خلافة أبي بكر. ابن هشام :السيرة النبوية،ج٢، ص٢٩٨- ٣٠١ .ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٥،ص ٥-٨. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٣٥٣.

[١]- أبو عزيز وأسمه زرارة بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أخو مصعب بن عمير وأمه أم مصعب أم خناس بنت مالك من بني عامر بن لؤي وقع في الأسر يوم بدر ففدته أمه وقتل في أحد كافرا . ابن هشام :السيرة النبوية،ج٢، ص٣٥٥. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٣٦٥-١٣٦٦.

[٢]- هو الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد شهد بدرا مشركا فأسره عبد الله بن جحش فقدم في فوائده أخوه خالد وهشام وكان هشام أخا الوليد لأبيه وأمه فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم فجعل خالد لا يبلغ ذلك فقال له هشام : ليس بابن أمك والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت . ويقال : إن النبي صلى الله عليه و سلم قال لعبد الله بن جحش : لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد - وكان الشكة : درعا فضفاضة وسيفا وبيضة . فأبى ذلك خالد وأجاب هشام فأقيمت الشكة بمائة دينار فسلماها إلى عبد الله بن جحش . فلما افتدى أسلم فقيل له : هلا أسلمت قبل أن تفتدي قال : كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الإسار . فحبسوه بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو له فيمن دعا لهم من المستضعفين المؤمنين بمكة ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله صلى الله عليه و سلم وشهد مع النبي صلى الله عليه و سلم عمرة القضاء ولما شهد العمرة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج خالد بن الوليد من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه بمكة . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم للوليد : لو أتانا خالد لأكرمناه وما مثله سقط عليه الإسلام في عقله . فكتب الوليد بذلك إلى خالد فوقع الإسلام في قلبه وكان سبب هجرته. الواقدي:المغازي ، ج١،ص١٤١ ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص١٢٤٥.

[٣]- وهب بن عمير القرشي الجمحي وهو تقدم ذكره في ترجمة أبيه فإن أباه هو الذي أرسله صفوان بن أمية بن خلف ليقتل النبي صلى الله عليه و سلم بعد بدر وكان وهب هذا قد شهد بدرا مع المشركين وأسلم وأرسله النبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح إلى صفوان بن أمية الجمحي يؤمنه ويدعوه إلى الإسلام وكان قد هرب يوم الفتح من النبي صلى الله عليه و سلم ومات وهب في الشام مجاهدا . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص١٢٤٨.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٦،ص٦٢٧.

[٤]- هو أبو وداعة السهمي واسمه الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب كان فيمن شهد بدرا مع المشركين فأسر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن له ابنا كيسا بمكة له مال وهو مغل فداءه ، فخرج ابنه المطلب من مكة إلى المدينة في أربع ليل ؛ فافتدى أباه فكان أول من افتدى من أسرى قريش وأسلم أبو وداعة يوم الفتح وبقي إلا خلافة عمر . ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٦،ص١٠٥ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص ١٤١٥ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٧،ص٤٥٨.

[٥]- هو أبو عزة واسمه عمرو بن عبدالله بن عمير الجمحي وكان شاعرا فأعتقه النبي صلى الله عليه وسلم يوم اسر بعد أن قال إن لي خمس بنات فتصدق بي عليهن يا محمد ففعل النبي بعد أن أخذ من ميثاقا أن لا يحارب النبي أو يعين عليه فلما كانت غزوة أحد حرضه صفوان بن أمية بن خلف على الخروج فأسر ولم يؤسر غيره فقال أبو عزة يا محمد إنما خرجت مكرها فقال له النبي إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فأمر عاصم بن ثابت فقطع رأسه.الواقدي:المغازي، ج١ ،ص١١٠-١١١. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٠١.

الفقراء الذين لم يكن عندهم طاقة للفداء، ولم يلق بهم العفو، عشرة من صبيان المدينة ليعلموهم الخط، وكان إذا صدق الصبيان، ومهروا في الكتابة عفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، وكان زيد بن ثابت من جملتهم .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم، وأمر عبدالله بن كعب المازني الأنصاري[1]على ذلك .ولما وصل إلى شعب الصفراء وهو من المدينة على ثلاث منازل ، قسم ذلك على المسلمين والأصحاب وأفرز قسم للثمانية الذين كانوا قد تخلفوا بإذن النبي في المدينة[2]، وكان من جملتهم عثمان بن عفان، وكان (٨- ظ) قد تخلف بسبب مرض رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الجملة سهما، من جملته بعير أبي جهل الذي كان في غاية الجودة،وذو الفقار الذي كان لمنبه،وأرسل من هناك زيد بن حارثة على سبيل البشارة إلى المدينة ، فوصل زيد إلى المدينة حين دفنوا رقية بالبقيع .

وقيل أن من وصل بمصاب أهل بدر إلى مكة كان الحيسمان بن إياس الخزاعي[3] ، وكان وصوله موجبا للنياحة والبكاء والصياح، وكانت واقعة بدر ضحى نهار الجمعة في السابع عشر رمضان ،وقد مر من الهجرة تسعة عشر شهرا، وكان عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مئة، وثلاث عشرة نفرا كعدد أصحاب طالوت يوم حرب جالوت، وكان المهاجرون ستين نفرا ونيف، والأنصار مائتين وأربعون.

وقد روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج من المدينة لغزوة بدر دعا لأصحابه وقال:((اللهم إنهم حفاة، فاحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم،اللهم إنهم جياع

---

[1] - هو عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن غنم بن مازن يكنى أبا الحارث شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وتوفي في خلافة عثمان بن عفان وله عقب في المدينة وبغداد. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص ٤٧٩-٤٨٠ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص٧٣٠.

[2]- وهم (عثمان بن عفان،طلحة بن عبيدالله، سعد بن زيد بن عمر بن نفيل ، أبا لبابة بن عبد المنذر ،الحارث ابن حاطب ، عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان ، خوات بن جبير بن النعمان ، الحارث بن الصمة). الواقدي:المغازي، ج١ ،ص ١٥٣. ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٣٢٢-٣٣٢ .

[3]- الحيسمان بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن زمان بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي كان أول من قدم بهزيمة المشركين يوم بدر كان شريفا في قومه ثم أسلم فحسن إسلامه.الواقدي:المغازي، ج١ ،ص١٢٠.ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٢، ص٢٨٨. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص١٤٩ .

فأشبعهم))[١]. فاستجاب الله تعالى دعاء النبي عليه السلام، فلما رجعوا كان لكل واحد منهم عدة رؤوس من الجمال ، وغنائم كثيرة قد اكتسوا من العري وشبعوا من الجوع.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((أتى علينا رمضانان في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ،ولم نصم في غزوة بدر وفتح مكة))[٢].

وروى عكرمة أنهم قالوا للرسول : حيث أنا قد قتلنا الرؤساء، نأخذ القافلة أيضا، ونغنم أموالهم، لأنهم لم يكونوا بعد قد وصلوا إلى مكة، فقال العباس: لا يجوز ذلك لكم، فقال له الرسول صلوات الله عليه:((لم)) ؟ فقال العباس: لأن الله تعالى وعدك بإحدى الحسنيين وحيث أنه أعطاك ما وعدك به فدع القافلة[٣].

ويروى عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في مكة قبل الهجرة على سبعة أنفس على: أبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة ،وشيبة ،وعقبة بن أبي معيط وعلى الباقين، فرأيتهم بعد ثلاث سنين، يوم بدر قتلوا صرعا بموجب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الشمس المحرقة قد أسودوا، وجافوا، وانتفخوا، والسلام[٤].

ذكر سرية عمير بن عدي

وفي الخامس والعشرين من رمضان المذكور أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمير بن عدي ابن خرشة الخطمي[٥]، وهم قبيلة من الأنصار إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد[٦]،

---

[١]- أبو داود(سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،د.ط،د.ت،ج٢،ص٨٨ .الحاكم: المستدرك على الصحيحين،ج٣،ص١٤٤. البيهقي:السنن الكبرى،ج٦،ص٤٩٧.

[٢]- انظر . ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص ١٩.

[٣]- ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١،ص٣٢٦. ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، ج٧،ص٣٦١.

[٤]- البخاري: صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،ص٧٢٣.

[٥]- عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة كان أبوه عدي شاعرا وأخوه الحارث بن عدي قتل بأحد وأمه أمامة بنت الواهب من بني حوار وكان عمير ضريرا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم البصير و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يزوره في بني واقف ولم يشهد بدرا لضرارته وكان أول من أسلم من بني خطمة. ابن حبان:الثقات،ج١،ص٢٠٨. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٤،ص٢٠٩٦ .ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٤،ص٧٢١.

[٦]- أنظر .الواقدي: المغازي،ص١٧٢.

وكانت دائما تذم الإسلام، وتغتاب المسلمين، وتهجوهم، وتحرض الناس على قتلهم، وكانت في ذلك الزمان عند يزيد بن زيد بن الحصين الخطمي ، فمضى عمير إليها في الليل، ودخل منزلها، وكان حولها جماعة من أهلها نياماً، وكانت تسقي ولدها اللبن، فأفرد الولد عنها وضربها بالسيف في صدرها بحيث أخرجه من ظهرها ،وجاء عند طلوع الفجر إلى خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، وقال : ((ما فعلت بابنة مروان)) ؟ فقال قتلتها يا رسول الله ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا ينتطح فيها عنزان))[1]. يعني به لا يتلفظ بأمرها أحد وصار هذا من أمثال النبي عليه السلام .

ذكر سرية سالم بن عمير

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم في شوال في الشهر العشرين من الهجرة سالم بن عمير العمري[2] إلى أبي عفك اليهودي، من بني عمرو بن عوف، وكان قد بلغ سنه مائة وعشرين سنة، وهو يهودي، وكان يقصد المسلمين، ويؤذيهم، ويهجوهم وكان سالم قد نذر قتل أبي عفك، أو يهلك دونه ،وكان انتهز الفرصة إليه ليلة حارة في الصيف، كان قد نام فيها أبو عفك في موضع بارد، فمضى إليه سالم وضربه بالسيف على عاتقه فأهلكه وأرداه ،ولم يتكلم أحد في الأخذ بثأره، والسلام .

---

[1]- معناه أن شأن قتلها هين ولا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف . الواقدي:المغازي، ج١،ص١٧٣. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٢٥. القضاعي:(أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر،ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م): مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط٢، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م،ج٢،ص٤٦. الزمخشري:المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط٢ ، ١٩٨٧م،ج٢،ص٢٧٧ . المقريزي:إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م،ج٢،ص١٢٠. القسطلاني(أحمد ابن محمد بن أبى بكر،ت٩٢٣هـ/١٥١٧م): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،د.ت،ج٣،ص٣١.

[2]- هو سالم بن عمير بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف شهد سالم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يريد أن يخرج إلى تبوك فقالوا: احملنا، وكانوا فقراء، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون. وكانوا سبعة نفر منهم سالم بن عمير وبقي سالم بن عمير إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وله عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٤٥. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص٤٨٠ .ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص١٠.

ذكر غزوة بني قينقاع

ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزو بني قينقاع الذين كانوا جماعة من اليهود، وكانوا حلفاء عبدالله بن أبي بن أبي سلول، وأشجع اليهود،وكانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، ونقضوا العهد بسبب الحسد والبغض، وأوحى الله تعالى إليه وأنزل هذه الآية: { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين} [1]،وكان النبي عليه السلام يخاف من بني قينقاع، فلما نزلت هذه الآية زال خوفه ،وقوي قلبه ،وسلم لوائه الأبيض إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه،واستخلف على المدينة أبا لبابه بن عبد المنذر، وتوجه ،فلما وصل إليهم حاصرهم خمسة عشر يوما إلى أن هل هلال ذي القعدة،وهم أول من غدر من اليهود وحاربوا (٩ - و) ، وتحصّنوا بالحصون حتى قذف الله في قلوبهم الرعب ، فخافوا ونزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يعطوا المال، وتسلم لهم نسائهم وأولادهم ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم، فكتفوا وسلمهم إلى المنذر ابن قدامة[2] ،فعندها جاء عبدالله بن أبي وشفع فيهم، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة وأمر عبادة بن الصامت[3] أن يخرجهم منها إلى أذرعات[4] الشام وهي قرية من أعمال الشام ،وأخذ الرسول عليه السلام من أسلحتهم ثلاثة قسي اسم أحدها الكتوم، ورمى عليه في أحد إلى أن انكسر، واسم الآخر الروحاء، والآخر البيضاء ، وأخذ أيضا درعين اسم أحدهما السعدية والأخرى فضّة، وثلاثة أسياف اسم أحدها القلعي، والآخر بتار، ووجد ثلاث رماح

---

[1]- سورة الأنفال الآية ٥٨ .

[2]- هو المنذر بن قدامة بن عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وأخوه مالك بن قدامة شهد المنذر بدرا و أحدا وليس له عقب. سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٤٨. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٥،ص٢٥٢٠.

[3]- هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ويكنى أبا الوليد وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الخزرجية. وكان لعبادة بن الصامت من الولد الوليد وأمه جميلة بنت أبي صعصعة، ومحمد وأمه أم حرام بنت ملحان . وشهد عبادة العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا وهو أحد النقباء الاثني عشر. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي. وشهد عبادة بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان عبادة عقبياً نقيباً بدرياً أنصاريا و كان عبادة بن الصامت رجلا طوالا جسيما جميلا، ومات بالرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين وهو بن اثنتين وسبعين سنة وله عقب.ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص. ابن حبان:الثقات ،ج٢،ص٢٥٦٥٧٣. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٤،ص١٩١٩.

[4]- هو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ينسب إليه الخمر. الحموي: معجم البلدان، مج١،ص١٣٠.

فأخذها[1]، وكان لهؤلاء القوم صيّاغاً ،فلما وصل إلى بيوتهم وجد كثيرا من آلات الصياغة، والسلاح والسلب، فأخذ الخمس بالتمام ،وقسم الباقي على الأصحاب والمسلمين بالسوية والله أعلم بالصواب .

ذكر غزوة السويق

وكانت يوم الأحد الخامس من ذي الحجة وهو الشهر الثاني والعشرين من الهجرة واستخلف أبا لبابه بن عبد المنذر على المدينة ، وكان سبب تلك الغزوة أن أبا سفيان بن حرب قال لما رجع المشركون من بدر من الغيرة والحمية : إني لا أدهن رأسي، حتى أبلغ غرضي من محمد وأصحابه، وخرج في مائتي فارس من مكة ،وسار على طريق نجد الذي ينتهي إلى خيبر، وجاء إلى بني النضير وحيي بن أخطب[2] الذي كان رئيس اليهود ليسأله عن أحوال النبي عليه السلام، فلم يقريهم حيي بن أخطب ، فمضوا إلى سلام بن مشكم[3] فأنزلهم، وضيفهم، وسقاهم الخمور وعلموا بأحوال النبي والمسلمين وما تيسر لهم من الفتوحات ،وسار أبو سفيان ومن معه من السحر وجاء إلى

---

[1]- الواقدي:المغازي،ج١،ص١٧٨-١٧٩.ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٢،ص٢٧.الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢،ص٣٧٦.ابن عساكر: تاريخ دمشق ،ج٤،ص٢١٧.ابن حبيب:المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص٣٠. الحلبي:السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ،ج٢،ص٤٧٨. ابن جماعة(عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني،ت٧٦٧هـ/١٣٦٥م): المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،تحقيق سامي مكي العاني ،دار البشير ،عمّان، ط١، ١٩٩٣م،ص١٢٤- ١٢٥.

[2]- هو حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وزوجته برة بنت السموأل وهو والد صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان من أشهر زعماء اليهود في المدينة ومن سادات بني النضير أجتهد في أذى المسلمين والنبي عليه الصلاة والسلام وهو من ذهب إلي قريش يحرضهم على حرب النبي فكانت غزوة الأحزاب وهو ومن أقنع بني قريظة بالغدر بالمسلمين فقتل فيمن قتل من بني قريظة.ابن هشام: السيرة النبوية،ج٣،ص١٩١. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص١٥٤١.

[3]- كان من سادات بني النضير وكان قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة في جماعة من اليهود فدعاهم إلى الإسلام فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله {وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وهو الذي نصح قومه ونهاهم عن الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم أتاهم فكلمهم أن يعينوه في دية الكلابين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري وهو زوج زينب بنت الحارث اليهودية التي أهدت النبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة في خيبر . ابن إسحاق:السيرة النبوية،ج١-٢،ص ٤٧٩. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٥٣ الماوردي:الحاوي الكبير،ج١٤،ص٥٣-٥٤. الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي،ت٧٤١هـ/١٣٤١م):لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م،ج٣،ص٨٢.

العُرَيْضُ[1] ،وهي من المدينة على ثلاثة أميال ،وقبض رجلا من الأنصار وقتله مع غلام له، ورمى النار وأحرق عدة بيوت ،وقال إني بررتُ يميني.

ولما سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بوصوله ،وخرج للقائه في مائتي نفر من المهاجرين والأنصار، انهزم من هناك وتوجه إلى مكة ، وكانوا يرمون الأثقال في الطريق من الخوف، مثل ظروف السويق[2] التي كان زادهم ونفقتهم ، ولما وصل المسلمون وجدوا ذلك السويق، ولم يلحقوهم وسمو ذلك السفر غزوة السويق ، ورجع النبي عليه السلام بعد خمسة أيام إلى المدينة بالنصر، والظفر، ورجع أصحابه بسويق كثير، والله أعلم .

ذكر غزوة قَرَارَةَ الْكُدْرِ[3]

ويقال قرقرة الكدر، ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم على تمام ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة غزوة قرقرة الكدر، وهي موضع بناحية معدن بنى سليم بالأرحضية[4] ، وهي منزل قريب، وبين معدن وبين المدينة فرسخان. وحمل الراية علي بن أبي طالب عليه السلام،واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم ،وبلغه صلى الله عليه وسلم أنه قد اجتمع في ذلك الموضع جماعة من بني سليم، وغطفان، فمضى النبي عليه السلام إلى ذلك المكان، فلم ير منهم أحدا، وكان(١٠ - ظ) جماعة من المسلمين يسيرون فوق الوادي ويفتشون، فوصل النبي عليه السلام إليهم في بطن الوادي، ورأى دواب كثيرة ترعى،ورأى عبدا اسمه يسار[5] يرعاها فسأله النبي صلى الله عليه وسلم وقال:((أين مضى القوم)) ؟يعني أصحاب الدواب فقال العبد:لا أدري، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم دوابهم من الغنم، والجمال، وظفر بها،وأخذ الخمس لنفسه، وكانت خمسمائة

---

[1]- واد بالمدينة به أموالًا لأهلها، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم "أصح المدينة من الحمى مابين حرة قريظة إلى العريض". الفيروزابادي(محمد بن يعقوب،ت ٨١٧هـ/١٤١٥م):المغانم المطابة في معالم طابة،تحقيق محمد جاسر،دار اليمامة، الرياض،ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ج٢، ص٢٦٠.

[2]- السويق ما يتخذ من الحنطة والشعير وقيل هو الخمر. ابن منظور:لسان العرب ،ج١٠،ص١٦٦.

[3]- قرقرة الكدر بناحية المعدن قريبة من الأرحضية وقيل ماء لبني سليم القرقرة الأرض الملساء. الحموي: معجم البلدان، مج٤،ص٣٢٦-٤٤١.

[4]- موضع قرب بئر معونة في ديار بني سليم . الفيروزابادي:المغانم المطابة في معالم طابة، ج٢، ص١٤.

[5]- هو يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلم فأعتقه النبي وبعثه راعيا لإبله فأتى العرنيون وقتلوا يسارا وقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات وستاقوا الإبل فحمل يسار ميتا إلى قباء ودفن فيها. الواقدي:المغازي، ج١،ص١٨٣. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٥،ص٢٨٠٩. الحلبي:السيرة الحلبية، ج٣،ص١٩٠.

رأس،وقسم الباقي بالسوية على المسلمين، وكانوا مائتي نفر، وكان يسار في سهم النبي عليه الصلوات والسلام، وكانت غيبته خمسة عشر يوماً، والسلام .

ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي[1]

وذلك في الرابع عشر من شهر ربيع الأول لمضي خمسة وعشرين شهراً من الهجرة، وكان سبب قتله أنه كان شاعراً ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، ويغتاب المسلمين، ويذمهم، فلما وقعت واقعة بدر قال:بطن الأرض خيراً من ظهرها اليوم، والموت خير من الحياة، ومضى إلى مكة،فكان يرثي قتلا بدر، ويهيج الناس على القتال،ويحرضهم على القصاص، و بأذى المسلمين، ثم رجع إلى المدينة وعلم به النبي صلى الله عليه وسلم فقال :((اللهم اكفني شر ابن الأشرف بما شئت فقد آذاني)). فقال محمد بن مسلمة[2]:أنا له، وعنى قتله ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((افعل ذلك)). فتشاور محمد بن مسلمة وسعد بن معاذ في أمره، فأرسل سعد معه جماعة من الأوس من جملتهم عباد بن بشر[3]، وأبو نائلة سلكان بن سلامة[1]، والحارث بن أوس بن معاذ[2]، وأبو عبس بن

---

[1]- هو كعب بن الأشرف اليهودي الشاعر وقيل إنه من طيء ، ثم أحد بني نَبْهان ،وكانت أمه من بني النَّضير.وكان يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم فبعث إليه محمدَ بنَ مسلمة في جماعة فقتلوه. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١٥٠ . مجد الدين(أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ت٦٠٦هـ/١٢١٠م): جامع الأصول في أحاديث الرسول،دار الفكر، تحقيق بشير عيون، ط١،د.ت،ج١٢،ص٨١٨ .

[2]- هو محمد بن مسلمة بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس وأمه أم سهم، واسمها خليدة بنت أبي عبيد بن وهب بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب من الخزرج. وكان لمحمد بن مسلمة من الولد عشرة نفر وست نسوة وأسلم محمد بن مسلمة بالمدينة على يد مصعب بن عمير وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين محمد بن مسلمة وأبي عبيدة بن الجراح. وشهد محمد بدرا وأحدا. وكان فيمن ثبت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يومئذ حين ولى الناس. وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما خلا تبوك فإن رسول الله استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك وتوفي في المدينة سنة ٤٦هـ. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٠٨-٤٠٩-٤١٠. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٦،ص٣٣.

[3]- عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل كان يكنى أبا بشر، وقيل أبا الربيع، وأمه فاطمة بنت بشر بن عدي بن أبي بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حلفاء بني عبد الأشهل. وكان لعباد بن بشر من الولد ابنة لم يكن له ولد غيرها فانقرضت فلم يبق له عقب. وأسلم عباد بالمدينة على يد مصعب بن عمير وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة و بدرا وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وبعثه رسول الله، عليه السلام، إلى بني سليم ومزينة يصدقهم فأقام عندهم عشرا وانصرف إلى بني المصطلق وشهد اليمامة وكان له يومئذ بلاء عظيم حتى قتل فيها شهيدا سنة ١٢هـ وعمره خمس وأربعين سنة. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٠٦. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص٦١١.

جبر[٣]، فأقدموا على ذلك الأمر. وكان أبو نائلة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، فمضى أبو نائلة إليه ،فخافه كعب، فقال له أبو نائلة: إني جئت من أجل هذا الرجل كان قدومه بلاء علينا ،وقد حاربنا العرب عدة محاربات، وإني أريد مباعدته عدة أيام ،فجئناك لنأخذ طعامنا من الحنطة والشعير، ونجعل عندك رهنا على سبيل التذكرة، فقال له كعب :نعم ما تفعل فامضي وآت بأصحابك.فمضوا إليه في ليلة مقمرة ونادوه من حصنه، فنهض ليدخلهم الحصن ،فتعلقت امرأته بأذياله وقالت له :لا تمض، فقال:لا بأس فإنه أخي، فنزل إليهم وحادثهم وفاوضهم ساعة ،فغافله أبو نائلة وأخذ بشعره، وقال لأصحابه: اقتلوا عدو الله ،فقتلوه وكبروا،وجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم،فكبر النبي أيضا وحمد الله على قتله[٤]، فاستشعر اليهود من هذه الحال،ولم يجسروا أن يتكلموا، والله أعلم .

---

[١]- أبو نائلة الأنصاري اسمه سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي أخو سلمة بن سلامة ثبت ذكره في الصحيح في قصة قتل كعب بن الأشرف وشهد أحدا وغيرها وكان شاعرا ومن الرماة المذكورين. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٤،ص٢٤٢. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٣،ص١٤٤١ . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص١٤٠٨ .ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٧،ص٤٠٩.

[٢]- الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، ويكنى أبا أوس وأمه هند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهي عمة أسيد بن الحضير بن سماك، وكانت من المبايعات، وليس للحارث بن أوس عقب وهو ابن أخي سعد بن معاذ سيد الأوس آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الحارث بن أوس وعامر بن فهيرة.
وشهد الحارث بن أوس بدرا وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف وأصابه بعض أصحابه تلك الليلة بسيفه وهم يضربون كعبا فكلمه في رجله فنزف الدم فاحتمله أصحابه حتى أتوا به إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وشهد بعد ذلك أحدا وقتل يومئذ شهيدا وكان يوم قتل بن ثمان وعشرين سنة. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٠٣. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج١،ص٧٥٢.

[٣]- أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة، واسمه عبد الرحمن وأمه ليلى بنت رافع بن عمرو ابن عدي بن مجدعة بن حارثة. وكان أبو عبس يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلا، وكان أبو عبس وأبو بردة بن نيار يكسران أصنام بني حارثة حين أسلما. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين أبي عبس بن جبر وبين خنيس بن حذافة السهمي من أهل بدر وهو زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وشهد أبو عبس بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف مات أبو عبس في سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وهو بن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع ولأبي عبس بقية وعقب كثير بالمدينة وبغداد. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٤،ص٤١٥-٤١٦ .ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٧،ص٢٦٦.

[٤]- البخاري: صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص٩٩١-٩٩٢. مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود،ج٣،ص١٤٢٤.

ذكر غزوة النبي صلى الله عليه وسلم غطفان بذي أمر[1]

وكان ذلك في ربيع الأول أيضا لخلو خمس وعشرين شهرا من الهجرة، وسببه أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن جمعا من بني ثعلبة ومحارب اجتمعوا بذي أمر من منازل نجد ليأخذوا من النبي والمسلمين شيئا ،وكان رئيسهم دعثور بن الحارث[2] من بني محارب، فلما سمع النبي عليه السلام هذا الخبر، خرج في أربعمائة وخمسين رجلا ،وعدة من الخيول،واستخلف عثمان بن عفان على المدينة ،فوجدوا رجلا من بني ثعلبة اسمه جبار، فجاءوا به إلى النبي عليه السلام، فسأله خبر العدو، فقال لهم خيار: إنهم إن سمعوا بخبر وصولك فإنهم ينهزمون إلى رؤوس الجبال، وإني سائر معك، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ،فأسلم، ولما سمع الأعداء بوصوله هربوا إلى رؤوس الجبال ،وجاء في هذه السفرة مطر كثير بحيث بل ثياب النبي صلى الله عليه وسلم ،فخلعها النبي عليه السلام ،وبسطها على نخلة، ونام عريانا[3] ،فلم يستيقظ حتى وقف دعثور على رأسه وبيده سيف مسلول، وقال: من يمنعك اليوم مني.فقال النبي عليه السلام :((الله))، ونزل جبريل ووضع يده على صدره فسقط السيف من يده فأخذه النبي عليه السلام،[وقال له: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ثم أتى][4] إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام ،ورجع النبي عليه السلام إلى المدينة بعد أحد عشر يوما،والله أعلم بالصواب[5] .

---

[1]- ذي أمر موضع في نجد من ديار غطفان بناحية النخيل .ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٢،ص٣١. الحموي:معجم البلدان، مج١،ص٢٥٢.

[2]- دعثور بن الحارث الغطفاني ذكره أبو سعيد النقاش وقصت دعثور شبيهة بقصة غورث بن الحارث المخرجة في الصحيح من حديث جابر فيحتمل التعدد أو تصحف أحدهما من الأخر. البخاري: صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص١٠١٥-١٠١٦. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص٣٥٩.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص٣٨٧.

[3]- تفرد الهمذاني بهذا الفظ رغم أنه نقل بتصرف عن الواقدي انظر.الواقدي:المغازي،ج١،ص١٩٥.

[4]- سقطت من الأصل وتم تداركها. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٣١-٣٢.

[5]- الماوردي:الحاوي الكبير،ج١٤،ص٣١. البيهقي: دلائل النبوة ،ج٣،ص١٦٨.

ذكر غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني سليم

وكان ذلك في السادس من جمادى لمضي سبعة وعشرين شهرا من الهجرة ومضى إلى بحران، وبحران في ناحية الفرع ،وبين الفرع والمدينة ستة فراسخ[١] وكان سبب ذلك أنه سمع صلى الله عليه وسلم باجتماع جمع كثير، وجم غفير في بحران، فخرج من المدينة في ثلاثمائة من الصحابة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم[٢]، فلما وصل هناك تفرق جمع الأعداء ولم يعلم بخبرهم ، فرجع وكانت مدة غيبته عن المدينة عشرة أيام، والسلام .[٣]

ذكر غزوة أحد

-----[٤] فوقف على حمزة رضي الله عنه، ثم قبض النبي صلى الله عليه وسلم على لحيته، وعليها الدم، وقال:((كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم مثل هذا ،وهو يدعوهم إلى عبادة الله تعالى))[٥]، (١١- و) فنزلت في الحال هذه الآية :{ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } [٦]. وكان حذيفة[٧] يبكي على أبيه، ويقول:قتلك المسلمون خطأً يا ليت قتلك على يد الكفار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((إنه قد أثيب على ذلك وجوزي من الله))[١]، والسلام[٢] .

---

[١]- انظر.الحموي :معجم البلدان ،مج١،ص٣٤١. الفيروزابادي:المغانم المطابة في معالم طابة، ج٢، ص٥٠.

[٢]- ابن أم مكتوم أختلف في أسمه فأما أهل المدينة فيقولون عبد الله، وأما أهل العراق عمرو، ثم اجتمعوا على نسبه فقالوا: ابن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي. وأمه عاتكة وهي أم مكتوم بنت عبد الله بن عنكشة ابن عامر بن مخزوم بن يقظة. أسلم ابن أم مكتوم بمكة قديما وكان ضرير البصر وقدم المدينة مهاجرا بعد بدر وكان يؤذن للنبي، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة مع بلال. وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزوات رسول الله، صلى الله عليه وسلم وتوفي في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٤،ص١٩١-١٩٨. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٣،ص١٦٥٧.

[٣]- نقل بتصرف ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٣٢.

[٤]- هنا سقط من الأصل انظر . ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٣،ص٢٣- ٥٨.

[٥]- ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٣،ص٤٢.

[٦]- سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

[٧]- وهو حذيفة بن حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك ويقال اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث ابن مازن بن ربيعة بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث يكنى أبو عبد الله العبسي كان أبوه قد أصاب دما فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية وتزوج والدة

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمراء الأَسد[٣]

ولما رجع المسلمون يداوون جراحاتهم، فنادى فيهم بعد أسبوع : إني عازم على حمراء الأسد، وهي منزل بين مكة والمدينة، يعني أنه يريد أن يمضي عقب المشركين فلا يصحبني أحد إلا من كان معي في أحد .

وعقد اللواء وسلمه إلى علي بن أبي طالب، عليه السلام.

وفي رواية إلى أبي بكر رضي الله عنه.

وخرج النبي عليه السلام وجراح وجهه مشدودة ،وهو متوهنٌ من جراح جبينه أيضاً، لكنه ركب واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم ،وأرسل ثلاثة جواسيس من بني أسلم، عقب المشركين،فوصل منهم اثنان إلى حمراء الأسد ومنها إلى مكة ثلاثة فراسخ فقبض المشركون ذينك النفرين من طليعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقتلوهما فوصل النبي عليه السلام تلك الليلة إلى حمراء الأسد ،وأمر أن يضرموا النار في خمسين موضعا ،ليخاف الأعداء، فرحل المشركون وأمعنوا إلى مكة، ورجع النبي عليه السلام بعد خمسة أيام إلى المدينة يوم الجمعة، فصلى وخطب بها، والسلام [٤].

حذيفة فولد له بالمدينة وأسلم حذيفة وأبوه وشهدا أحدا فاستشهد اليمان بها وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره من المهاجرين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وسكن الكوفة وتوفي في المدائن سنة ٣٦هـ . صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار،ص٩٣٦. النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب،ت٣٠٣هـ/٩١٥م): السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م،ج٥،ص٨٠. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج١،ص٦٨٦.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص٤٤.

[١]- ابن هشام :السيرة النبوية،،ج٣،ص٥٠.

[٢]- نقل بتصرف ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٤٢.

[٣]- حمراء الأسد وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة إليه انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم أحد في طلب المشركين. الحموي :معجم البلدان ،مج٢،ص٣٠١.

[٤]- الواقدي:المغازي،ج١ ،ص٣٣٤-٣٤٠.ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٤٥-٤٦. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،ص١٦٧.ابن سيد الناس:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،ج٢،ص٥٧-٥٨.

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى جبل قطن[1]

وكان ذلك في غرة المحرم، لمضي خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة ، وكان سبب ذلك أن طليحة،و سلمة بن خويلد[2] عزما على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم مع جماعة، فعقد النبي عليه السلام لوائه وسلمه إلى أبي سلمة بن عبد الأسد وأرسل معه مائة وخمسين نفر من المهاجرين والأنصار، وقال:((امضوا إلى بني أسد)).فمضوا واستاقوا دوابهم،وغنموا أموالهم ،ورجعوا مظفرين منصورين من غير أن يراق دم، والسلام[3] .

ذكر سرية عبدالله بن أنيس[4]

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي،فقال عبد الله: صفه لي يا رسول الله ،فقال: ((إذا رأيته فرقت منه، وذكرت الشيطان)). فقال عبدالله :إني لا أرهب أحدا ولا أخافه، وكان ذلك في الخامس من المحرم ،لمضي خمس وثلاثين شهرا من الهجرة، وكان سفيان قد جمع جماعة في منزلة عرنة[5]، ليحارب النبي عليه السلام والمسلمين ،فقال عبدالله بن أنيس لما:رأيته خفت، وقلت، صدق رسول الله ،ثم قال لي سفيان: من أنت؟ قلت: رجل من بني خزاعة، وقد سمعت أنك تجمع القوم لتحارب محمدا ، والمسلمين، فجئت لمساعدتك، فقال له

---

[1]- قطن ماء ويقال جبل من أرض بني أسد بناحية فيد وقيل جبل لبني عبس كثير النخل والمياه بين الرمة وبين أرض بني أسد الحموي :معجم البلدان ،مج٤،ص٣٧٥.

[2]- هما طليحة وسلمة ابنا خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس الأسدي الفقعسي وكان وفد بني أسد قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم سنة٩هـ فيهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، ووابصة ابن معبد وقتادة بن القائف وسلمة بن حبيش وطليحة بن خويلد فأسلم طليحة ثم ارتد طليحة وأخوه سلمة وهما من قتلا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم بعد أن ادعى طليحة النبوة فلقيهم خالد بن الوليد ببزاخة فأوقع بهم وهرب طليحة إلى الشام ثم عاد وأسلم إسلاما صحيحا ويقال إنه استشهد بنهاوند سنة ٢١هـ . الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص٥٢٥.ابن حبان:الثقات،ج ٣،ص٣٢١. ابن حزم:جمهرة أنساب العرب،دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٣ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،ج٢،ص٤٤٣. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص٥٤٢.

[3]- الواقدي:المغازي،ج١ ،ص٣٤٠. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٤٦-٤٧. الماوردي:الحاوي الكبير،ج١٤،ص٣٥

[4]- هو عبدالله بن أنيس بن سعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب الجهني حليف بني سلمة من الأنصار شهد بدرا وأحدا وما بعدها وله رواية للحديث وكان من أهل الصفة وتوفي سنة٧٤هـ. أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط٤ ، ١٤٠٥هـ ،ج٢،ص٥. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ص٦٣٩-٦٤٠.

[5]- موضع قرب عرفة. الحموي :معجم البلدان ،مج٤،ص١٠٤.

سفيان:مرحبا بك، ثم سار وسرت معه ،وكنت أحادثه وأغره بالكلام الطيب، إلى أن وصل قريبا من خبائه، وتفرق عنه أصحابه، فلما دخل الليل وخلا إلى خبائه، دخلت فحززت رأسه، وأخذته، وهربت إلى مغارة ،وتواريت فيها فسدى العنكبوت على بابها ، فطلبوني الغداة وركبوا فلم يجدوني، فرجعوا، فكنت أتوارى بالنهار، وأسير ليلا حتى وصلت إلى المدينة، فدخلت إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد، فلما رآني قال :((أفلح الوجه))، قلت: أفلح وجهك يا رسول الله ،ووضعت الرأس المقطوع بين يديه ،وقصصت القصة عليه ،فأعطاني النبي صلى الله عليه وسلم عصا وقال لي:((توكأ عليها في الجنة)).[1] وكان يحافظ عليها ولما قربت وفاته أوصى أن تدفن معه في القبر، فكانت غيبته سبعة عشر يوما ووصوله يوم السبت الثالث والعشرين من المحرم، لمضي ستة وعشرين شهراً من الهجرة، والسلام .

ذكر سرية المنذر بن عمرو الساعدي[2]

وكان ذلك في بئر معونة[3] لمضي ستة وثلاثين شهراً من الهجرة ، وسببه أن عامر بن مالك بن جعفر الكلابي الملقب بملاعب الأسنة[4]، جاء إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأتى

---

[1]- ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٢،ص٤٧-٤٨. البيهقي : دلائل النبوة،ج٤،ص٤٠. السيوطي: الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م،ج١،ص٣٩٠.

[2]- المنذر بن عمرو بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة وأمه هند بنت المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة. وكان المنذر يكتب بالعربية قبل الإسلام وكانت الكتابة في العرب قليلا، ثم أسلم فشهد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا، وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد المنذر بن عمر بدرا وأحدا وبعثه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أميرا على أصحاب بئر معونة فقتل يومئذ شهيدا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة. وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أعنق المنذر ليموت، أي مشى إلى الموت وهو يعرفه، وليس للمنذر عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٥٧٠. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٥،ص٢٥١٧. مجد الدين ابن الأثير ت:جامع الأصول في أحاديث الرسول،ج١٢،ص٨٦٢.

[3]- بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم وهي في طريق المصعد من المدينة إلى مكة. الحموي :معجم البلدان ،مج١،ص٣٠٢.

[4]- هو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر:

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراج له حظ الكتيبة أجمع

وهو من فرسان العرب في الجاهلية وكان سيد قومه وأخرج بإسناد صحيح عن أبي سعيد أن ملاعب الأسنة بعث إلى النبي صلى الله عليه و سلم يسأله الدواء من وجع بطن بن أخ له فبعث إليه النبي صلى الله عليه و سلم عكة عسل فسقاه فبرأ قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم بتبوك فعرض عليه الإسلام فأبى فأهدى إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال إنا لا نقبل هدية مشرك . ابن خياط (خليفة العصفري،ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة – الرياض،ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م،ص٥٩ . ابن الأثير:أسد

بالهدايا، فلم يقبلها النبي عليه السلام ،وعرض عليه الإسلام فلم يسلم، ولم يصرح بالإنكار، وقال: يا محمد أرسل معي جماعة من أصحابك لأدعو قومي إلى الإسلام ،وإني أرجو أنهم يتبعون أمرك،فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إني أخاف عليهم أهل نجد))،فقال عامر:لا تخف عليهم أنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد فأرسل النبي عليه السلام سبعين رجلا من الأنصار، وكانوا قراء وجعل المنذر بن عمرو الساعدي مقدمهم، فلما نزلوا ببئر معونة، وهي مرحلة مابين أرض بني عامر وأرض بني سليم، وجميعهم من قيس عيلان، فحيث نزلوا وسكنوا ورعوا الجمال مضى ابن ملحان[1] بكتاب النبي عليه السلام إلى عامر بن الطفيل[2]، وكان رئيسهم ،فلما وصله الكتاب(١٢- ظ) نهض وقتل حراما، وأمر قبيلته بقتل المسلمين، فقالوا: إن المسلمين كلهم في جوار ملاعب الأسنة، وإنا لا نقدر على نقض ميثاقه، فأمر بني سليم بقتلهم، فجاءت:عصية،و رعل،و ذكوان لقتل المسلمين، ولما أبطأ حرام في الرجوع مضوا عقبه، فوصل إليهم الجماعة القصاد وداروا عليهم ليقتلوهم.

فلما رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عمدوا إلى أسيافهم فسلوها،وأخذ أخو حرام سليم بن ملحان[3] والحكم بن كيسان مع سبعين من المسلمين في القتال، فلما كان عسكر المشركين كثيراً أهلكوا جماعة المسلمين فرفعوا أيديهم بالدعاء وقالوا: اللهم إنك تعلم أنه ليس لنا من يخبر النبي بحالنا وما نحن عليه فأخبره اللهم، فجاء جبريل عليه السلام في الحال وقال: إن جميع أصحابك قتلوا

الغابة في معرفة الصحابة، ص٦٢٠.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص٥٩٩. الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام،ت٤٥٠هـ/١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط١١ ، ١٩٨١م،ج٢،ص٩٤٥.

[1]- هو حرام بن ملحان واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وأمه مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. شهد بدرا وأحدا وبئر معونة وقتل يومئذ شهيدا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة،وليس له عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٧٦. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج١،ص٨٨٧.

[2]- هو عامر بن الطُّفَيل هو أبو علي، عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة. من أشهر فرسان العرب وهو ابن أخي ملاعب الأسنة وقدم عامر بن الطفيل وأبن عمه أربد بن ربيعة بن مالك على النبي،صلى الله عليه وسلم و هو يريد الغدر، فقال عامر: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ فقال: لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: ليس ذاك لك ولا لقومك، قال: أفتجعل لي الوبر ولك المدر؟ قال: لا فقال عامر لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً! ثم وليا، فدعا عليهما النبي صلي الله عليه وسلم فهلكا. ابن هشام :السيرة النبوية،ج٤، ص٢١١-٢١٢ .ابن سعد:الطبقات الكبير، ج١،ص.٢٦٨-٢٦٩ . مجد الدين ابن الأثير:جامع الأصول في أحاديث الرسول،ج١٢،ص٧٣٤.ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦١٤.

[3]- هو سليم بن ملحان تقدم نسبه في ترجمة أخيه حرام وأمه مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وهما أخوا أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك امرأة أبي طلحة وأخوا أم حرام امرأة عبادة بن الصامت. وشهد سليم بدرا وأحدا ويوم بئر معونة وقتل يومئذ شهيدا مع من قتل من الأنصار وليس له عقب. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٧٨. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص١٦٩.

إلا عمرو بن أمية الضمري[١]، وقال عامر بن الطفيل: إن أمي قد نذرت أن تعتق واحدا فلهذا السبب أخلى سبيله، وقطع ناصيته، وأعتقه ،وقتل عامر بن فهيرة[٢]على يد جبار بن سلمى ،فقال عامر: فزت والله ورفع إلى السماء، فلما رأى قاتله تلك المعجزة أسلم، وعلم النبي بحاله فقال: إن الملائكة رفعوه ،ثم قال أن هذا من عمل ملاعب الأسنة ،حيث قال :يكونون في جواري. وصعب على النبي صلى الله عليه الصلوات ذلك ،وكان يدعو عليهم في صلاة الصبح [٣]،وجاء عمرو بن أمية الضمري في أربعة أيام راجلاً إلى المدينة ،ورأى رجلين في الطريق، من بني كلاب كانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساهما،ولهما منه أمان،ولم يعلم بذلك عمرو فقتلهما، والسلام .

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي

ومضى مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع[٤] ،وهو منزل بين نجد، والمدينة في صفر لخلو سنة وثلاثين شهرا من الهجرة ،وسبب مضيه أن رهطا من عضل والقارة، وهم أولاد الهون بن خزيمة جاؤوا إلى خدمة النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا قد أسلمنا ، فأرسل معنا جماعة يعلمونا القرآن وأركان الشريعة. فأرسل النبي عشرة من أصحابه من جملتهم عاصم بن ثابت بن الأقلح[٥]،

---

[١]- هو عمرو بن أمية لن خويلد بن عبدالله بن إياس بن ناشرة بن كعب الكناني يكنى أبا أمية كان حليف لقريش قديم الإسلام وكان من مهاجري الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم وكيلا ورسولا إلى النجاشي فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم عينا إلى قريش فحل خبيب بن عدي من خشبته له رواية للحديث وتوفي في أيام معاوية . أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٤،ص١٩٩٣.

[٢]- هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق وكان مولدا من مولدي الأزد وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم فاشتراه أبو بكر وأعتقه شهد بدرا وأحدا يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦١٨-٦١٩.

[٣]- انظر الأمام مالك (ابن أنس ،ت١٧٩هـ/٧٩٥م):الموطأ، تحقيق تقي الدين الندوي،دار القلم ،دمشق،ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م،ج٣،ص٣٩١. البخاري : صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص١٠٠٤-١٠٠٥. مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم،باب استحباب القنوت،ج١،ص٤٦٨.أبو داود:سنن أبي داود،ج١،ص٤٥٧.أبو نعيم:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،ج١،ص١٢٣. البيهقي:السنن الكبرى،ج٢،ص ١٩٩.

[٤]- الرجيع ماء لهذيل قرب الهدأة بين مكة والطائف. الحموي :معجم البلدان ،مج٣،ص٢٩.

[٥]- هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف الأنصاري جد عاصم بن عمرو بن الخطاب لأمه من السابقين الأولين من الأنصاري بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم في سرية وأمره عليهم فأصيب فيها وكان عاصما قال لا أنزل في ذمة مشرك وكان قد عاهد الله ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فأرسلت قريش ليؤتوا بشيء من جسده وكان قتل أثخن فيهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٤،ص ٢١٤١.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص٥٦٩.

ومرثد بن أبي مرثد،وعبدالله بن طارق[١] ،وخبيب بن عدي[٢] ،وزيد بن الدثنة[٣]، وخالد بن أبي البكير[٤] ومعتب بن عبيد[٥]،وكان مقدمهم عاصم بن ثابت،فلما وصلوا إلى الرجيع غدروا بهم أيضا، وهيجوا بني هذيل عليهم ،وجاء بنو لحيان، وأشهروا سيوفهم، فأخذ المسلمون سيوفهم فقالوا :إنا لا نريد قتلكم لكن لنا على أهل المدينة قصاص نريد أن نحفظكم لنقتص منهم، فلم يرض بهذا العهد أربعة من المسلمين: عاصم بن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد ،وخالد بن أبي البكير و معتب بن عبيد، فقتلوهم ورضي الستة الآخرون بالأسر.

ولما كان عاصم بن ثابت قد قتل في أحد: مسافع ،وحلساً أولاد طلحة رافعي لواء المشركين،وكانت أمهما سلافة بنت سعد نذرت أن تشرب في قحف رأسه الخمر،فطمعوا في بيع رأسه لها ، فقصدوه ليحزوه، فاجتمع عليه كثير من الزنابير، ولم يتركوا أحد يصل إليه، فتركوه إلى الليل لتتركه الزنابير، فجاء تلك الليلة سيل وأخذه ، وحملوا الباقين إلى مكة وباعوهم إلى المشركين وكانوا يعذبونهم بأنواع العذاب ويذيقونهم أليم العقاب،والسلام[٦] .

---

[١]- هو عبدالله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف الأنصار شهد بدرا وأحدا وهو أحد النفر الذين أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رهط عضل والقارة ليفقهوهم في الدين فلم غدروا بهم أخذ أسيرا فلما كانوا بالظهران أنتزع عبدالله يده من الحبل وأخذ سيفه فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره بالظهران. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٦٨٨-٦٨٩.

[٢]- هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي أحد المأسورين في وقعة الرجيع وأول من صلب في ذات الله في الإسلام وأول من سن الركعتين عندما يقتل المسلم صبرا وهو بدري وقاتل الحارث بن عامر بن نوفل كان الله عز وجل يطعمه وهو في الأسر إكراما له أطيب الثمار وهو القائل حين قدم للموت:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج١،ص ٩٨٦. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٣٣٩-٣٤٠.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص٢٦٢.

[٣]- هو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي شهد بدرا وأحدا وكان في سرية الرجيع فأسره المشركون وباعوه لقريش فقتله نسطاس مولى صفوان بن أمية بن خلف بالتنعيم. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٣،ص ١١٨٢.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص٦٠٤.

[٤]- هو خالد بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين خالد بن أبي البكير وبين زيد بن الدثنة. وشهد خالد بن أبي البكير بدرا وأحدا وقتل يوم الرجيع شهيدا وكان يوم قتل بن أربع وثلاثين سنة. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٣٦١.

[٥]- هو معتب بن عبيد بن سواد بن الهيثم بن ظفر وقيل في نسبه غير ذلك وأمه من بني عذرة من بني كاهل وأخوه لأمه عبد الله بن طارق بن عمرو البلوي حليف بني ظفر وليس لمعتب عقب، وورثه بن عمه أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم بن ظفر. وشهد معتب بن عبيد بدرا وأحدا وقتل يوم الرجيع شهيدا. ابن سعد:الطبقات الكبير، ج٣،ص٤٢١. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٥،ص ٢٥٩٣.ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٦،ص١٧٤.

[٦]- البخاري:صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص١٠٠٣-١٠٠٤. الطبراني:المعجم الكبير.ج٢٠، ٣٢٧.الماوردي : الحاوي الكبير،ج١٤،ص٣٧. ابن حزم:جوامع السيرة ، دار المعارف، مصر،ط١ ، ١٩٠٠ م،ص١٧٦. الكلاعي(أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي،ت٦٣٤هـ/١٢٣٧م): الاكتفاء بما تضمنه من

ذكر غزوة بني النضير

وكان في ربيع الأول لسبعة وثلاثين شهرا من الهجرة ،وكانت منازلهم قريبة من المدينة، وصارت من بعد ذلك مقبرة الأنصار[1]، فخرج النبي عليه السلام في جماعة من المهاجرين والأنصار من المدينة ،ونزل ببني النضير، وطلب منهم مالا ليخرجه في مصالح المسلمين[2]، فأجلسوهم في ظل دار، وأرادوا أن يرموا عليه حجرا ،فلم يرض بذلك سلام بن مشكم ،وقال: إنكم لا تقدرون على رمي الحجر عليه وإذا عرف بذلك ينقض العهد بيننا.

ووصل هذا الخبر إلى النبي، فقام وتوجه إلى المدينة ،فالتحق به أصحابه وقالوا: إنا حسبنا أنك نهضت لقضاء الحاجة،فقال: لقد همت اليهود بالغدر ،فأخبرني الله بذلك، فلما وصل إلى المدينة أرسل محمد بن مسلمة إلى بني النضير ،وقال لهم: ((ارحلوا عاجلا من أرضي، فإنكم أردتم أن تغدروا بي، وإني قد أمهلتكم عشرة أيام فمن رأيته منكم بعدها قتلته))، فاشتغلوا أياما بأهبة المسير ،وأرسلوا إلى جماعة من العرب الذين كانوا قريبا منهم ليستأجروا جمالا، فأرسل إليهم ابن أبي وقال :لم ترحلوا عن أوطانكم، تحصنوا بالحصون ،فإني أرسل إليكم ألفي نفر من قومي ليفدوكم بالأرواح ،وتمدكم بني قريظة ويعاونوكم ، فاغتر حيي بن أخطب بمواعيد ابن أبي، وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنا لا نجلي أوطاننا ونخليها ونرحل عنها، فافعل ما شئت.

فلما سمع النبي ذلك كبر وكبر المسلمون، وأهل المدينة لتكبيره، وقال:حاربت اليهود، وتوجه وأصحابه لدفعهم ،وسلم لوائه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليه السلام، واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة ،فدخل بني النضير الحصون بعد أن استعدوا للحرب استعدادا تاما من النبل والسهام والحجارة، ولم يوافقهم بنو قريظة، وعاد ابن أبي مخذولا، وحاصرهم النبي عليه السلام في الحصون،(١٣- و) وقطع جميع نخلهم، فقالوا: إنا نخرج من بلادك، فقال النبي عليه السلام:" إني لا

مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي،عالم الكتب ، بيروت، ط١،١٤١٧هـ،ج٢،ص٨٧.الحافظ الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر ،ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م،ج٦، ص٢٠٦.

[1]- وكانت منازل بني النضير بناحية الغرس وما والاها مقبرة بني خطمة . ابن سعد: الطبقات الكبير،ج٢،ص٥٣.

[2]- وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في نفر من المهاجرين والأنصار للعهد الذي بينه وبينهم يستعينهم في دية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري من بني كلاب بن عامر بن صعصعة فبعث عامر بن الطفيل يطلب ديتهم . الواقدي:المغازي،ج١،ص ٣٦٣-٣٦٤ .ابن هشام :السيرة النبوية،ج٣،ص١٤٣.الماوردي: الحاوي الكبير. ج١٤، ص٣٧-٣٨ .

أبذل لكم اليوم مطلبكم وكلمتكم ،لكن إن خرجتم تخرجون بأولادكم وتتركون أموالكم وسلاحكم وسلبكم"، فرضوا بذلك ونزلوا ، وكانوا كما قال الله { يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}[1]. وكانت مدة محاصرتهم خمسة عشر يوما، فأبعدهم عن حول المدينة، وكان متولي الخراج محمد بن سلمة،فمضوا بأولادهم ونسائهم في ستمائة جمل محمل إلى خيبر، لأنه كان أقرب المنازل ،فاغتم لهذه المنافقون في المدينة وحزنوا ،واستولى النبي على الأموال، والأسلحة والغنائم، وكان من جملتها خمسون درعا وثلاثمائة وأربعين سيفاً، فأخذ الجميع، وأعطى المهاجرين رضي الله عنهم : بئر حجر لأبي بكر رضي الله عنه، وبئر، جرم لعمر رضي الله عنه، وأعطى بئر سؤالة عبد الرحمن بن عوف، [و أعطى صهيب بن سنان بئر الضّرّاطة، وأعطى الزبير بن العوام] [2]، و أبا سلمة بن عبد الأسد بئر البويلة، وأخذ الباقي وأمر بإحراق نخل البويرة[3]، والسلام .

ذكر غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر الموعد

وهي غير بدر القتال ،وكان ذلك في مستهل ذي القعدة لخمسة وأربعين شهرا من الهجرة، وصورة الحال أن أبا سفيان لما أراد أن يرجع يوم أحد، قال الموعد بيني وبينكم بدر ، وهي معروفة ببدر الموعد، فلما قرب الموعد كره أبو سفيان الخروج ،ووصل نعيم بن مسعود الأشجعي[4] إلى مكة، فقال له أبو سفيان: إني وعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد قرب الموعد، وفي هذه السنة قحط وجدب، وإن لم نخرج فلا بد أن نخبر محمد، فإذا لم يرنا يتشجع علينا ،فالمصلحة أن تمضي إلى المدينة وتقول أن أبا سفيان قد جمع عسكرا عظيم ،وتحذر المسلمين بهذا القول، ونعطيك على ذلك عطاء وجزاء ،فجاء نعيم إلى المدينة، فأخبرهم بعسكر أبي سفيان وعددهم، وسلاحهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لم يخرج أحد من المسلمين أخرج وحدي، فزال بقوله الرعب من

---

[1]- سورة الحشر:الآية ٢.

[2]- سقطت من الأصل وتم تداركها.الواقدي:المغازي،ج١،ص٣٧٩-٣٨٠.ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٢،ص٥٥.

[3]- البويرة تصغير البئر، وهي موضع منازل بني النضير. الفيروزابادي:المغانم المطابة في معالم طابة، ج٢، ص٦٦.

[4]- هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن سبيع بن بكر بن أشجع يكنى أبا سلمة الأشجعي صحابي مشهور له ذكر في البخاري أسلم ليالي الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش في وقعة الخندق فخالف بعضهم بعضا ورحلوا عن المدينة وله رواية عن النبي صلى الله عليه و سلم روى عنه ولداه سلمة وزينب وله حديث عند أحمد وغيره ومن طريق بن إسحاق حدثني سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم ابن مسعود الأشجعي عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لرسولي مسيلمة لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما قتل نعيم في أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل وقيل مات في خلافة عثمان . ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٦،ص٤٦١.

قلوب المسلمين، فاستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة، وحمل علي بن أبي طالب لوائه،وتوجه في ألف وخمسمائة نفرا،وعشرة خيول، فوصل مستهل ذي القعدة إلى بدر الصغرى ، ويكون بها في كل سنة ثمانية أيام للبيع وللشراء ،وكان مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمشة وأمتعة وحنطة وتمر كثير، فباعوا ذلك وكسبوا بكل درهم درهما ،فلما رأى أبو سفيان ذلك خرج بالضرورة مع قريش من مكة في ألفي رجل وخمسين فرسا، فلما وصلوا إلى منزل يقال له مر الظهران[1] قال لأصحابه : لا أرى أصوب من الرجوع لأنا نقنع بقليل من السويق ،وأيضا فإن المسلمين مخصبون ونحن مجدبون، فقال صفوان بن أمية :يا أبا سفيان ألم أنهك عن العودة، فالآن يتشجعون علينا ويتسلطون، فقال أبو سفيان:إذاً نتهيأ، ونرتب أمورنا إلى حرب الأحزاب، التي هي مشهورةً بالخندق، ورجع العسكران إلى أمكنتهم ،ويقال لهذه الغزوة بدر الصغرى، والسلام .

ذكر غزوة ذات الرقاع[2]

وكانت غرة المحرم لخلو سبعة وأربعين شهرا من الهجرة ،وسببها أنه جاء شخص إلى المدينة،وجلب متاعا وقال للمسلمين: إن أنمار وثعلبة خلق كثير (١٤- ظ)، وقد اجتمعوا ليحاربوكم، فلما سمع النبي عليه السلام هذا الخبر استخلف على المدينة عثمان بن عفان ،وخرج يوم السبت عاشر المحرم في سبعمائة نفس، وسار إلى ذات الرقاع وهو جبل أبلق فيه حمرة ،وصفرة ،وسواد، وبياض ،فلما وصل هناك لم ير في بيوتهم سوى النساء، وهرب الرجال إلى رؤوس الجبال ،فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ تلك النسوة على سبيل الأسر، وخاف المسلمون وقت الصلاة من

---

[1]- الظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر تضاف إلى هذا الوادي فيقال مر الظهران و بها عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل . الحموي:معجم البلدان،مج٤،ص٦٣.

[2]- أختلف في سبب تسميتها فذكر الواقدي وابن سعد وياقوت الحموي وغيرهم أن ذات الرقاع جبل فيه سواد وبياض وحمرة فكأنها رقاع في الجبل وهو قريب من النخيل بين السعد والشقرة وبئر أرما وقال ابن هشام سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم ذوات الرقاع وقيل بل نسبة إلى شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وأصح من هذه الأقوال ما أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري قوله((قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنْ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا)). الواقدي:المغازي،ج١،ص ٣٩٥. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣،ص١٥٦. ابن سعد : الطبقات الكبير،ج٢،ص٥٧.البخاري:صحيح البخاري،كتاب المغازي،ص ١٠١٣.الحموي:معجم البلدان،مج٣،ص٥٦.

مجيء رجالهم، فصلوا صلاة الخوف ،وانصرفوا إلى المدينة، وأرسل النبي جعال بن سراقة[١] بالبشارة إلى المدينة ،وكانت مدة غيبته عن المدينة خمسة عشر يوما، والسلام .

ذكر غزوة دومة الجندل[٢]

وكان ذلك في شهر ربيع الأول لخلو تسعة وأربعين شهرا من الهجرة ،وهو أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع جمع من الأعراب بدومة الجندل، وهي ناحية الشام على مسيرة خمسة أيام من دمشق ،ومنها إلى المدينة مسيرة خمسة عشر يوما ،واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[٣]،وخرج في ألف نفر فكان يسير ليلا وينزل نهارا ،وكان له دليل يقال له مذكور من بني عذرة، فلما وصل قريتهم لم ير منهم أحدا ،لكن وجد آثار البعض من النياق والآلات والأسباب لأنهم كانوا قد هربوا، ووصل الخبر إلى أهل دومة الجندل، وهي بلدة صغيرة فتفرق أهلها أيضا ،فلم ير أحدا نزل هناك، وأقام، وكان يرسل السرايا على اليمين والشمال ويجمع الأموال ،فجاءوا برجل مأخوذ إلى النبي فسأله وقال: ((أين هؤلاء))، فقال الرجل: إنهم حيث سمعوا باستيلائكم على جمالهم وأموالهم هربوا بأجمعهم، فعرض النبي عليه السلام الإسلام عليه، فأسلم، ورجع النبي عليه السلام إلى المدينة في العاشر من ربيع الآخر، والسلام .

---

[١]- هو جعال بن سراقة الضمري ويقال الثعلبي، ويقال إنه عديد لبني سواد من بني سلمة من الأنصار. وكان من فقراء المهاجرين، وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وأسلم قديما وشهد مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أحدا. ابن سعد:الطبقات الكبير،ج٤،ص٢٣١.

[٢]- دومة الجندل قال ابن الكلبي سميت بذلك نسبة إلى دوماء بن إسماعيل عليه السلام وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب،و تقع اليوم قرب مدينة تبوك في محافظة الجوف السعودية .انظر. الحموي: معجم البلدان،مج٢،ص٤٨٧.

[٣]- سباع بن عرفطة الغفاري ويقال له الكناني أستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة لما خرج إلى خيبر و دومة الجندل وحنين وله ذكر في حديث أبي هريرة . أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٣،ص ١٤٥١. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٤٥١.

ذكر غزوة المريسع[1]

كان ذلك في شعبان سنة خمس ،و المريسع بين الفرع والمدينة وبينهما ثلاثة منازل أو أربعة، وكان مقدمهم الحارث بن أبي ضرار المصطلقي[2]، وهي قبيلة من خزاعة فقال لجماعة من قومه نحارب محمدا، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب[3] في رسالة إلى الحارث بن أبي ضرار ودعاه إلى الإسلام، فأصر على كفره وقتال النبي عليه السلام ،فخرج النبي في جمع كثير من المدينة، وكان في المهاجرين ثلاثون فارسا، وخرج معه جمع من المنافقين، واستخلف زيد ابن حارثة على المدينة، وكان للنبي في ذلك اليوم فرسان: لزاز، والظرب،فلما سمع الحارث بن أبي ضرار بوصول النبي عليه السلام خاف وتفرق عنه قومه، وكان قد صحبه من حرمه صلى الله عليه وسلم امرأتان: عائشة، وأم سلمة ، وكانت راية المهاجرين مسلمة إلى أبي بكر الصديق،وراية الأنصار إلى سعد بن عباده ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ((احملوا على الكفار))،فحملوا، وقتل عشرة من الكفار، وواحد من المسلمين ،وأسر المسلمون الباقين، وأخذوا الغنائم والأموال الكثيرة وقيدوا الأسرى ،وقسموا السبي، فكان يحسب كل جمل بعشرة رؤوس من الغنم، وكان للفرس سهمان ولصاحبه سهم ،وللراجل سهم، وكانت الغنيمة ألفي جمل وخمسة ألاف رأس من الغنم، والسبي مائتي بيت ،وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث[4] ،وكانت

---

[1]- المريسع ماء لبني المصطلق بناحية قديد إلى الساحل. الحموي: معجم البلدان،مج٥،ص١١٨.

[2]- الحارث بن أبي ضرار وهو حبيب بن الحارث بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي المصطلقي أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه و سلم وكانت جويرية في سبايا بني المصطلق الخبر ثم قال : فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار لنداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا محمد أخذتم ابنتي وهذا فداؤها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ما اطلع على ذلك إلا الله وأسلم الحارث وابنان له وناس من قومه. ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢٢٠.

[3]- بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أمضي الأسلمي قال بن السكن أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه و سلم مهاجرا بالغميم وأقام في موضعه حتى مضت بدر واحد ثم قدم بعد ذلك وقيل أسلم بعد منصرف النبي صلى الله عليه و سلم من بدر وسكن البصرة وغزا مع النبي صلى الله عليه و سلم ست عشرة غزوة وكان غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج١،ص٢٨٦.

[4]- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقي الخزاعي سيدة قومها وقعت في سهم ثابت بن قيس بن الشماس إثر غزوة المريسع فاصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها وجعل صداقها عتق كل أسير سبي من بني المصطلق وكان عددهم أربعين وقيل مائة وكانت من أعظم النساء بركة على قومها وتوفيت في المدينة المنورة سنة ٥٦هـ . أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٦،ص ٣٢٢٩. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٧،ص٥٦٥.

في غاية الجمال والملاحة وأطلق لأجلها جميع الأسرى، وكان غائبا مدة ثمانية وعشرين يوم ،ونزل في غرة شهر رمضان بالمدينة والسلام .

ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذي القعدة من سنة خمس من الهجرة، وسببها أن بني النضير لما مضوا إلى خيبر مضى عدة من أشرافهم [١]إلى مكة،وحرضوا قريشا على قتال النبي عليه السلام ،وهيجوهم، ومضوا من هناك إلى بني غطفان، وسليم، وجماعة من الأعراب، ودعوهم إلى قتال النبي صلى الله عليه وسلم ،فاجتمع قريب أربعة آلاف رجل في دار الندوة، وسلموا اللواء إلى عثمان بن أبي طلحة[٢] من بني عبد الدار، وخرجوا في ثلاث مئة فارس وألف وخمسمائة بعير ،وكان قائدهم أبو سفيان ابن حرب بن أمية ، والتحق بهم سبع مئة نفر من بني سليم ،وكان بنو فزارة ،وبنو أسد ألف نفر، وكانت[أشجع[٣]] أربع مئة نفر، وكذلك كان بني مرة في أربع مئة نفر، فلما اجتمعوا كانوا عشرة آلاف نفر،وسموهم الأحزاب، فلما وصل خبر خروجهم من مكة لقصد المدينة شاور النبي أصحابه، فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: ينبغي أن نحفر خندق المدينة ،وكان المسلمون في ذلك الوقت ثلاثة آلاف نفر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحفر بيده ليجد الناس في الحفر[٤].

وخرج الرسول عليه السلام يوم الاثنين الثامن من ذي القعدة سنة خمس ،وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثه ،ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة ،فأرسل أبو سفيان إلى حيي بن أخطب من بني

---

[١]- وهم "سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي- وأبو عمار الوائلي".ابن إسحاق:السيرة النبوية،ج١-٢ص٣٩٢.

[٢]- عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي و أمه أم سعيد من بني عمرو بن عوف قتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة جميعا يوم أحد كافرين قتل حمزة عثمان وقتل علي طلحة مبارزة وقتل يوم أحد منهم أيضا مسافع والجلاس والحارث وكلاب بنو طلحة كلهم إخوة عثمان بن طلحة قتلوا كفارا وهاجر عثمان بن طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد فلقيا عمرو بن العاص قد أتى من عند النجاشي يريد الهجرة فاصطحبوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين رآهم : ((ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها - يعني أنهم وجوه أهل مكة)) ، وأقام مع النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة وشهد معه فتح مكة ودفع إليه مفتاح الكعبة يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وقال: ((خذوها خالدة تالدة ولا ينزعها منكم إلا ظالم)) وأقام عثمان بالمدينة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة اثنتين وأربعين وقيل : إنه استشهد يوم أجنادين . ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٨٢٢-٨٢٣.

[٣]- سقطت من الأصل وتم تداركها. ابن سعد: الطبقات الكبير،ج٢،ص٦٢.

[٤]- انظر البخاري:صحيح البخاري،باب حفر الخندق،ص٧٠١-٧٠٢.

قريظة، وغرّه ،ووعده ،وقال له: انقض ميثاق المسلمين لنعدم بالاتفاق هذه الطائفة[١]، فلما وصل الخبر إلى النبي عليه السلام، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل[٢]. واستطال المنافقون ،وظهر الهرج والمرج في المدينة وغلب الخوف على النساء والأطفال ،فعين النبي عليه السلام سلمة بن أسلم[٣] في مائتي نفر، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة نفر ليحفظوا السور[٤]، والمدينة ،وكان عباد ابن بشر يحفظ قبة النبي عليه السلام[٥] .

[١]- توهم الهمذاني والصواب أن أبو سفيان أرسل حيي بن أخطب وهو سيد بني النضير إلى كعب بن أسد سيد قريظة حتى ينقض عهده مع المسلمين ويغدر بهم من خلفهم فتردد كعب بن أسد ثم دخل معهم في الأمر . ابن هشام : السيرة النبوية،ج٣،ص١٧٢-١٧٣.

[٢]- ابن سعد: الطبقات الكبير،ج٢،ص ٦٣. البيهقي: الأسماء والصفات،تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة،ط١،د.ت،ج١،ص٢١٣.

[٣]- سلمة بن أسلم بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الحارثي يكنى أبو سعيد شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وقتل يوم جسر أبي عبيد الثقفي في العراق وهو ابن ثلاث وستين سنة. ابن سعد: الطبقات الكبير،ج٣،ص ٤١١. أبو نعيم:معرفة الصحابة،ج٣،ص ١٣٤٩. ابن حجر:الإصابة في تميز الصحابة،ج٣،ص١٤٢.

[٤]- توهم الهمذاني فليس للمدينة سور حينئذ .

[٥]- هنا ينتهي نص هذه القطعة من المخطوط انظر تتمة غزوة الخندق. ابن هشام : السيرة النبوية،ج٣،ص١٧٣- ١٨٣.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر:

١- ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ،ت٢٨١هـ/٨٩٤م): الهواتف، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت،ط١ ،١٤١٣هـ.

٢- ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي،ت ٢٣٥م/٨٤٩م): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ.

٣- ابن أبي عاصم(أحمد بن عمرو الشيباني ،ت٢٨٧هـ/٩٠٠م): الأوائل،تحقيق محمد بن ناصر العجمي،دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت،ط١، ٢٠٠٧م.

٤- ابن إسحاق (محمد بن يسار المطلبي،ت١٥١هـ/٧٦٨م):السيرة النبوية،تحقيق أحمد فريد المزيدي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٥- ابن الأثير(علي بن محمد الجزري ،ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم،بيروت لبنان،ط١، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.

٦- ابن الأثير: للباب في تهذيب الأنساب،دار صادر،بيروت،د.ط،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧- ابن الأثير:الكامل في التاريخ،تحقيق عبدالله القاضي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٨- ابن البيطار(عبد الله بن أحمدا لأندلسي المالقي،ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م):الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،دار الكتب العلمية ،بيروت،د.ط ، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

٩- ابن الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري،ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م):الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان،ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

١٠- ابن العبري(جريجوريوس بن هارون المالطى،ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):تاريخ مختصر الدول،تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي،دار الشرق بيروت،ط٣، ١٩٩٢م.

١١- ابن العماد(عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي،ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب،دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٩٨٦م.

١٢- ابن الفوطي(أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد،ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): مجمع الآداب في معجم الألقاب،تحقيق محمد الكاظم،مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران،ط١، ١٤١٦هـ.

١٣- ابن القيم الجوزية(محمد بن أبي بكر الزرعي،ت٧٥١هـ/١٣٤٩م): إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة ،بيروت،د.ط،د.ت.

١٤- ابن القيم الجوزية: الطب النبوي،تحقيق:السيد الجميلي،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥- ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الارنؤوط و عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان،ط١، ١٤٣٠-٢٠٠٩.

١٦- ابن الملقن (سراج الدين عمر بن علي ،ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م): المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،تحقق مصطفى أبو الغيط - عبدالله بن سليمان - ياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض-السعودية،ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٧- ابن الوردي(عمر بن المظفر،ت٨٦١هـ/١٤٥٧م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي ،مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨.

١٨- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي،ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م):بدائع الزهور في وقائع الدهور،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر،د.ط،د.ت.

١٩- ابن بطوطة(محمد بن عبدالله الطنجي،ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار،تحقيق محمد عبد المنعم العريان،دار إحياء العلوم،بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٢٠- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم الحراني،ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م): النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان ،مكتبة أضواء السلف، الرياض،ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢١- ابن جماعة(عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني،ت٧٦٧هـ/١٣٦٥م): المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،تحقيق سامي مكي العاني ،دار البشير، عمّان، ط١، ١٩٩٣م.

٢٢- ابن حبان(أبو حاتم محمد بن أحمد،ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):الثقات،تحقيق السيد شرف الدين أحمد،دار الفكر،بيروت،ط١، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

٢٣- ابن حبيب(الحسن بن عمر،ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم،تحقيق د مصطفى محمد حسين الذهبي،دار الحديث، القاهرة ،ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٤- ابن حجر الهيتمي(أحمد شهاب الدين المكي،ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م): الفتاوى الحديثية ، دار المعرفة،بيروت-لبنان،د.ط.

٢٥- ابن حجر(أحمد بن علي العسقلاني،ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد/ الهند،د.ط، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م،ج٤.

٢٦- ابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة،تحقيق علي محمد البجاوى ،دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٧- ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث،القاهرة ،ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

٢٨- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن الظاهري ،ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م):جمهرة أنساب العرب،دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٣ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٩- ابن حزم:الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ، القاهرة،د.ط،د.ت.

٣٠- ابن حزم:جوامع السيرة ، دار المعارف، مصر،ط١ ، ١٩٠٠ م،ص١٧٦.

٣١- ابن حزم:رسالة الرد على ابن النغريلة ،تحقيق إحسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،ط١، ١٩٨١م.

٣٢- ابن حنبل (أبو عبدالله أحمد الشيباني،ت٢٤١هـ/٨٥٥): مسند الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة ،القاهرة،د.ط،د.ت .

٣٣- ابن خلكان(أحمد بن محمد بن إبراهيم،ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت ،ط١، ١٩٩٤م.

٣٤- ابن خياط (خليفة العصفري،ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة - الرياض،ط٢ ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

٣٥- ابن سعد(محمد بن منيع الزهري،ت٢٣٠هـ/٨٤٦م):الطبقات الكبير،تحقيق علي عمر،الشركة الدولية للطباعة،مصر مدينة ٦ أكتوبر،ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٣٦- ابن سيد الناس(محمد بن محمد اليعمري،ت٧٣٤هـ/١٣٣٤):عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي - محي الدين مستو،دار التراث، المدينة المنورة،ط١، ١٣٥٨هـ.

٣٧- ابن شاكر الكتبي(محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون،ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات ،تحقيق حسان عباس،دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٧٤م.

٣٨- ابن عادل (أبو حفص عمر بن علي الحنبلي الدمشقي،ت٧٧٥هـ/١٣٧٤م): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود -علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٩- ابن عبد البر(يوسف بن عبدالله النمرى القرطبي،ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):الدرر في اختصار المغازي والسير،تحقيق شوقي ضيف،دار التحرير للطبع والنشر،القاهرة،ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٤٠- ابن عبد الحق(صفيّ الدين عبد المؤمن القطيعي البغدادي ،ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٤١- ابن عجيبة(أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي،ت ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٨م):البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ،دار الكتب العلمية، بيروت،ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م.

٤٢- ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن،ت٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٤٣- ابن عطية الأندلسي(عبد الحق بن غالب،ت٥٤١هـ/١١٤٦م):المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٤- ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل،ت٧٧٤هـ١٣٧٣م): البداية والنهاية،تحقيق محي الدين ديب مستو،دار ابن كثير، دمشق،ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤٥- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ،تحقيق محمود حسن ،دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤٦- ابن ماكولا(علي بن هبة الله بن أبي نصر،ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤١١هـ.

٤٧- ابن منظور(محمد بن مكرم،ت٧١١هـ/١٣١١م):لسان العرب،بيروت ،دار صادر،د.ط،د.ت.

٤٨- ابن هشام(عبد الملك بن أيوب،ت٢١٨هـ/٨٣٤م):السيرة النبوية،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،ط٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٩- أبو الحسن (مقاتل بن سليمان الأزدي ،ت ١٥٠هـ/٧٦٧م): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

٥٠- أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل بن علي،ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):المختصر في أخبار البشر،تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار المعارف،القاهرة،ط١،د.ت.

٥١- أبو داود(سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،د.ط،د.ت.

٥٢- أبو نعيم(احمد بن عبد الله الأصبهاني،ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م): معرفة الصحابة،تحقيق عادل بن يوسف العزاوي،دار الوطن للنشر، الرياض،ط١٤١٩،١هـ - ١٩٩٨.

٥٣- أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط٤ ، ١٤٠٥هـ.

٥٤- الأزرقي(محمد بن عبد الله بن أحمد،ت٢٥٠هـ/٨٦٥م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،تحقيق: علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية، مصر،ط١،د.ت.

٥٥- الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر،ت٣٧٠هـ/٩٨١م): الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ،تحقيق محمد جبر الألفي ،مطابع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،ط١، ١٣٩٩هـ.

٥٦- الأصفهاني(حمزة بن الحسن،ت٣٢٦هـ/٩٣٨م):تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار مكتبة الحياة،بيروت،د.ط،١٩٦١م.

٥٧- الأمام مالك (ابن أنس ،ت١٧٩هـ/٧٩٥م):الموطأ، تحقيق تقي الدين الندوي،دار القلم، دمشق،ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١م.

٥٨- البخاري(محمد بن إسماعيل،ت٢٥٦هـ/٨٧٠م):صحيح البخاري،دار ابن كثير،دمشق،ط١، ٢٠٠٢م.

٥٩- البخاري:الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٦٠- البعلي(أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح،ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): المطلع على ألفاظ المقنع،تحقيق محمود الأرناؤوط - ياسين محمود الخطيب ، مكتبة السوادي للتوزيع،جدة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦١- البغدادي(إسماعيل باشا، ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م):هدية العارفين أسماء المؤلفين و أثار المصنفين،مطبعة وكالة المعارف الجليلة،اسطنبول،د.ط،١٩٥١م.

٦٢- البغوي(أبو محمد الحسين بن مسعود،ت٥١٦هـ/١١٢٢م):معالم التنزيل،تحقيق محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٣- البغوي(عبدالله بن محمد،ت٣١٧هـ/٩٣٣م):معجم الصحابة، تحقيق محمد الأمين الجنكي، دار البيان ، الكويت،د.ط،د.ت .

٦٤- البقاعي(برهان الدين إبراهيم بن عمر،ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ،بيروت،د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٦٥- البكري(الأندلسي عبد الله بن عبد العزيز،ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا،عالم الكتب ،بيروت، ط٣ ، ١٤٠٣هـ.

٦٦- البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد،ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):الآثار الباقية عن القرون الخالية ،تحقيق أحمد الدمرداش -على الشحات،دار بيبليون،باريس،د.ط،د.ت.

٦٧- البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسين ،ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م): الأسماء والصفات،تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي،مكتبة السوادي ،جدة،ط١، ١٤١٠هـ.

٦٨- البيهقي:السنن الكبرى, تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة،ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٦٩- البيهقي: دلائل النبوة ،تحقيق عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ،ط١ ،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٠- البيهقي: شعب الإيمان،تحقيق محمد زغلول،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٤١٠هـ.

٧١- الترمذي (محمد بن عيسى،ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م):الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ط،د.ت.

٧٢- الجوهري(إسماعيل بن حماد،ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،دار العلم للملاين،بيروت،ط ٤، ١٩٩٠م.

٧٣- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ،ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): سلم الوصول إلى طبقات الفحول،تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول ط١، ٢٠١٠ م.

٧٤- الحافظ الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر ،ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م.

٧٥- الحاكم الكبير(محمد بن إسحاق ،ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) :الأسامي والكنى،تحقيق يوسف بن محمد الدخيل، مكتبة الغرباء الأثرية،ط١،د.ت.

٧٦- الحاكم(محمد بن عبدالله النيسابوري،ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٧٧- الحضرمي(أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي،ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،تحقيق جمعة مكري - خالد زواري ، دار المنهاج ،جدة ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨ م.

٧٨- الحلبي(علي بن برهان الدين،ت٨٤١هـ/١٤٣٨م):السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون،دار المعرفة،بيروت،د.ط، ١٤٠٠هـ.

٧٩- الحموي(ياقوت بن عبدالله،ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر،بيروت،د.ط، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٨٠- الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،تحقيق إحسان عباس الناشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م.

٨١- الحِميري(محمد بن عبد المنعم،ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس، دار السراج ،بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م.

٨٢- الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي،ت٧٤١هـ/١٣٤١م):لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر، بيروت - لبنان ،ط١، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م.

٨٣- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت،ت٤٦٢هـ/١٠٧١م): المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق عامر حسن صبري،دار البشائر الإسلامية،بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨٤- الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤١٧هـ.

٨٥- الدارمي (أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن،ت٢٨٠هـ /٨٩٤ م): سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي - خالد السبع ،دار الكتاب العربي ،بيروت،ط١ ، ١٤٠٧ هـ.

٨٦- الداوودي(محمد بن علي بن أحمد المالكي،ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٩٨٣م.

٨٧- الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨٨- الذهبي:المقتنى في سرد الكنى ،تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد،دار نشر الجامعة الإسلامية ،المدينة المنورة،ط١ ،١٤٠٨هـ.

٨٩- الذهبي:سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٠- الزبيدي(أبو الفيض مرتضى محمد بن أحمد الحسيني،ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):تاج العروس،تحقيق مجموعة من المحققين،دار الهداية ،د.ط،د.ت.

٩١- الزمخشري(محمود بن عمر،ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): الفائق في غريب الحديث،تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ، لبنان،ط٢ ،د.ت.

٩٢- الزمخشري:المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط٢ ، ١٩٨٧م

٩٣- السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):البلدانيات،تحقيق حسام محمد القطان، دار العطاء، السعودية،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٩٤- السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد،ت٣٧٣هـ/٩٨٣م): بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر،بيروت،د.ط،د.ت.

٩٥- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال،ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): الدر المنثور، دار الفكر ، بيروت،د.ط ، ١٩٩٣م.

٩٦- السيوطي: الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٧- السيوطي:الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٩٨- الشريف الإدريسي(محمد بن عبد الله بن الحسني،ت٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت،ط١، ١٤٠٩هـ.

٩٩- الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام،ت٤٥٠هـ/١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس، ط١١ ، ١٩٨١م.

١٠٠- الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم،ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت،د.ط ، ١٤٠٤هـ.

١٠١- الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله،ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات،تحقيق أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ،بيروت ،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٢- الصفوري(عبد الرحمن بن عبد السلام بن عثمان،ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م): نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق عبد الرحيم ماردينى،دار المحبة ، دمشق،د.ط ، ٢٠٠١.

١٠٣- الصقاعي(فضل الله بن أبي فخر،ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م):تالي وفيات الأعيان،تحقيق جاكلين سوبلة،منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية،دمشق،د.ط،١٩٧٤م.

١٠٤- الطبراني(سليمان بن أحمد بن أيوب،ت ٣٦٠هـ/٩٧١م): المعجم الكبير ،تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ،الموصل ،ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٠٥- الطبري(محمد بن جرير،ت٣١٠هـ/٩٢٣م):تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠٦- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٧- العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ،ت ٧٤٩هـ/١٣٠١م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ .

١٠٨- العهد القديم (التوراة):ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر،المكتبة البولسية، جونية لبنان،ط١، ٢٠٠٧م.

١٠٩- الغزالي(أبو حامد محمد بن محمد الطوسي،ت٥٠٥هـ/١١١١): إحياء علوم الدين،دار المعرفة،بيروت،د.ط،د.ت.

١١٠- الغزي (كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي ،ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م): نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم، حلب، ط٢، ١٤١٩ هـ.

١١١- الفيروزابادي(محمد بن يعقوب،ت ٨١٧هـ/١٤١٥م):المغانم المطابة في معالم طابة،تحقيق محمد جاسر،دار اليمامة، الرياض،ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١١٢- القرماني(أحمد بن يوسف،ت١٠١٩هـ/١٦١٠م):أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،تحقيق فهمي سعد- أحمد حطيط ،عالم الكتب،بيروت،ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١١٣- القسطلاني(أحمد بن محمد بن أبى بكر،ت٩٢٣هـ/١٥١٧م): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،د.ت.

١١٤- القضاعي:(أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر،ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م): مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

١١٥- القلقشندى(شهاب الدين أحمد بن علي،ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٩٨٧م،ج٤،ص٤١٩.

١١٦- الكلاعي(أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي،ت٦٣٤هـ/١٢٣٧م): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي،عالم الكتب ، بيروت ،ط١، ١٤١٧هـ.

١١٧- الماوردي(علي بن محمد بن حبيب البصري،ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):الحاوي الكبير، تحقيق علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

١١٨- مجد الدين(أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت٦٠٦هـ/١٢١٠م): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق بشير عيون، دار الفكر ،ط١،د.ت .

١١٩- المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين،ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران،دار الأندلس للطباعة والنشر،بيروت،ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢٠- مسلم (أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري ،ت٢٦١هـ/٨٧٥م): الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.

١٢١- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر،ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٢- المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٢٣- المناوي(عبد الرؤوف بن علي ،ت١٠٣١هـ/١٦٢١م): فيض القدير شرح الجامع الصغير،المكتبة التجارية الكبرى، مصر،ط١، ١٣٥٦هـ.

١٢٤- النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب،ت٣٠٣هـ/٩١٥م): السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٢٥- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٢٦- الهمذاني(رشيد الدين فضل الله،ت٧١٨هـ/١٣١٧م):جامع التواريخ تاريخ غازان،تحقيق فؤاد الصياد،منشورات جامعة عين شمس،مصر،ط١، ١٩٩٨م.

١٢٧- الواقدي(محمد بن عمر،ت٢٠٧هـ/٨٢٣م):المغازي ،تحقيق مارسدن جونس،عالم الكتب،ط٤، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٢٨- اليعقوبي(أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ،ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

ثالثاً: المراجع:

١٢٩- إقبال(عباس أشتياني،ت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م):تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،نقله عن الفارسية محمد علاء الدين منصور،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط١، ١٩٨٩م.

١٣٠- الألوسي(محمود بن عبدالله،ت١٢٧٠هـ/١٨٠٢م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ط،د.ت.

١٣١- برنارد لويس،الحشيشية الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية، ترجمه وقدم له أ.د.سهيل زكار،دار قتيبة للطباعة والنشر،بيروت،ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٣٢- رضا(إبراهيم،ت ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م): معجم متن اللغة، مكتبة الحياة ،بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

١٣٣- الزركلي(خير الدين،ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م):الأعلام،دار العلم للملايين،بيروت،ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٣٤- شاكر(محمود،ت ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م): التاريخ الإسلامي بلاد العراق،المكتب الإسلامي،بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

١٣٥- الشنقيطي (محمد بن عبد القادر الجكني ،ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م):أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر التوزيع ، بيروت - لبنان،ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣٦- الصياد(فؤاد عبد المعطي): المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية،بيروت،ط١، ١٩٨٠م.

١٣٧- عبد الحميد(أحمد مختار،ت١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م): معجم اللغة العربية المعاصرة،عالم الكتب،القاهرة،ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٨- العزاوي(عباس،ت١٣٩١هـ/١٩٨٠):التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان،شركة التجارة والطباعة المحدودة،ط١، ١٩٥٧م.

١٣٩- فهمي(عبد السلام عبد العزيز،ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥):تاريخ الدولة المغولية في إيران،دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

١٤٠- الفيومي(سعديا بن جاؤون بن يوسف):تفسير التوراة بالعربية، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط١، ٢٠١٥م.

١٤١- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة واللاهوتيين،هيئة التحرير بطرس عبد الملك - جون ألكسندر طمسن - إبراهيم مطر،دار الثقافة،مصر،د.ط،د.ت.

١٤٢- كاترمير مارك: تقديم عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته، طبعت مقدمة في الجزء الأول من جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت- محمد موسى هنداوى- فؤاد عبد المعطي الصياد،دار أحياء الكتب العربية،القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

١٤٣- كحالة(عمر رضا،ت١٤٠٨هـ/١٩٨٧م):معجم المؤلفين،مكتبة المثنى،بيروت،د.ط،١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٤٤- النفيعي(رحمة بنت حمود بن فطيس):العلاقات السياسية لدولة إيلخانات المغول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٤٥- نويهض(عادل):معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية والتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، ط٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

الملاحق

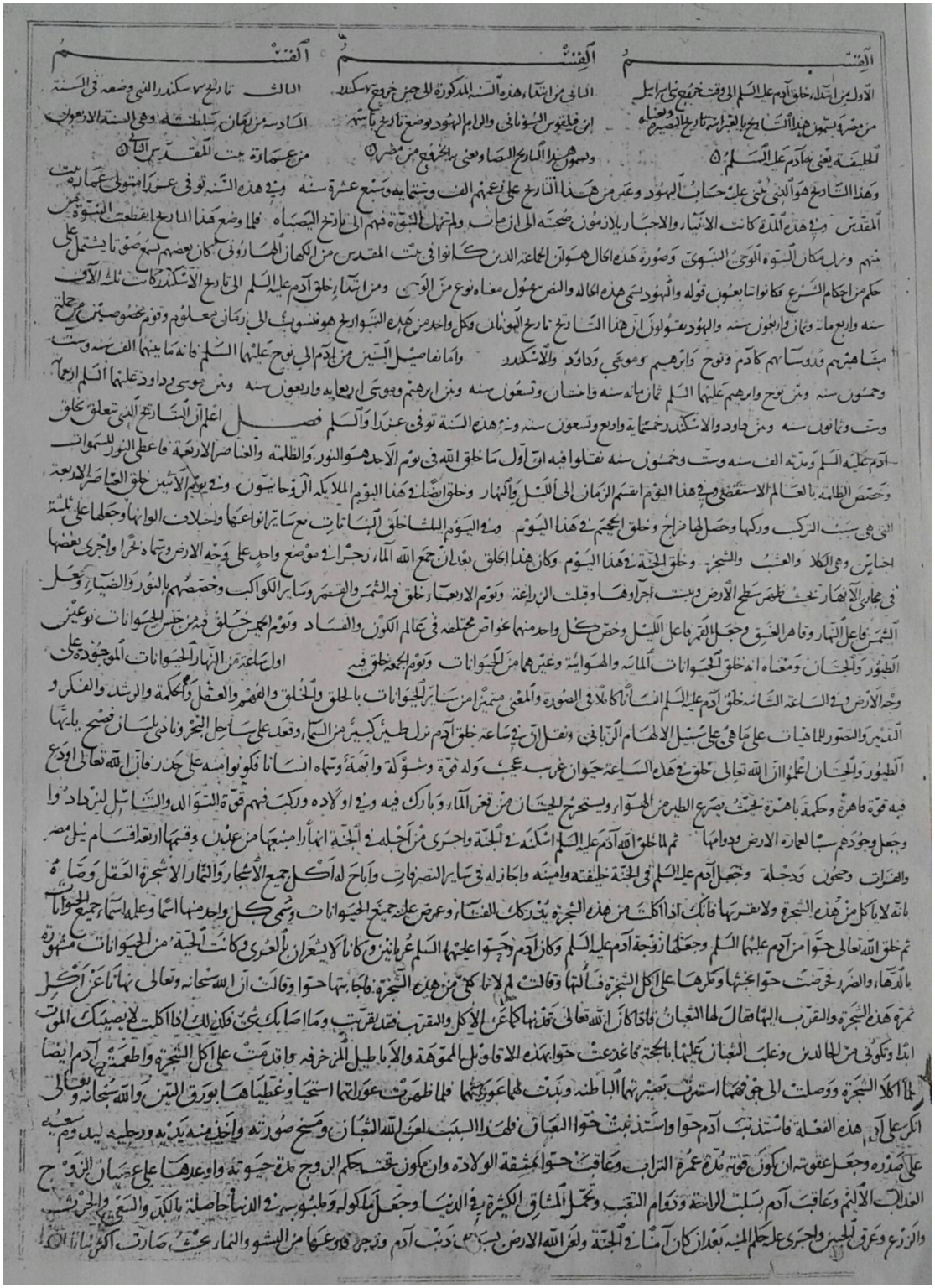

الورقة الأولى من القطعة المحققة من مخطوط جامع التواريخ

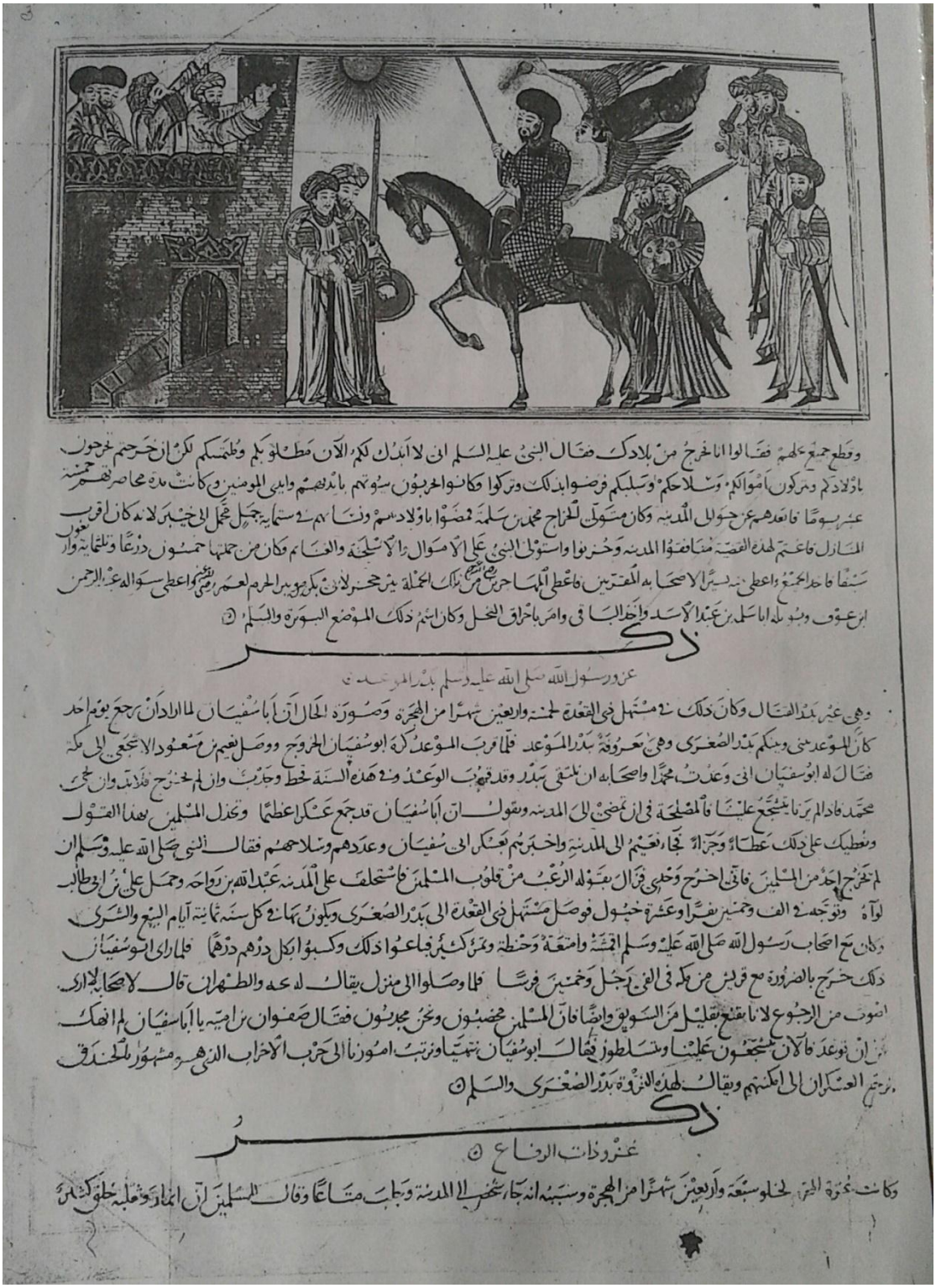

وقطع جميع كلامهم فقالوا انا خرج من بلادك فقال النبي عليه السلم انى لا ابدل لكم الآن مطلوبكم وطلبكم لكن ان خرجتم خرجون باولادكم وتركون اموالكم وسلاحكم وسلبكم فرضوا بذلك وتركوا فكانوا الحربون سوتهم بايديهم وايدى المومنين وكانت مدة محاصرتهم خمسة عشر يومًا فانعدهم عن حوالى المدينة وكان متولى الخراج محمد بن سلمة فضوا باولادهم ونسائهم وستمايه جمل فحمل الى خيبر لانه كان اقرب المنازل فاغتنم لهذه القضية فضاضوا المدينة وحزنوا واستولى النبي على الاموال والاسلحة والغنائم فكان من جملتها خمسون درعًا وثلثمايه وار سيفًا فاخذ الجميع واعطى نصيبًا الاصحابه المقتدين فاعطى ايمانهم حين من ذلك الحملة بن محمر لان بكر بن الحرم لعمر رضي الله عنه واعطى سواد عبد الرحمن ابن عوف وبلاله اسلم بن عبد الاسد واخذ الباقى وامر باحراق النخل وكان اسم ذلك الموضع البويرة والسلم ①

ذكر

غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر الموعد ①

وهي غزوة بدر القتال وكان ذلك في مستهل ذي القعدة لخمسة واربعين شهرًا من الهجرة وصورة الحال ان ابا سفيان لما اراد ان رجع يوم احد كان الموعد بينه وبينكم بدر الصغرى وهي معروفة بدر الموعد فلما قرب الموعد كره ابو سفيان الخروج ووصل نعيم بن مسعود الاشجعي الى مكة فقال له ابو سفيان اني وعدت محمدًا واصحابه ان نلتقي ببدر وقد قرب الوعد وهذه السنة خصب وجدب وان لم نخرج فذلك دليل على محمد فاذا لم يرنا يجتمع علينا فالمصلحة في ان نمضي الى المدينة ونقول ان ابا سفيان قد جمع عسكرا عظيمًا ونخذل المسلمين بهذا القول ونطيبك على ذلك عطاء وجزاء فجاء نعيم الى المدينة واخبرهم بعسكر ابي سفيان وعددهم وسلاحهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لم يخرج احد من المسلمين فاني اخرج وحدي فزال بقوله الرعب من قلوب المسلمين فاستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وحمل علي بن ابي طالب لواءه وتوجه في الف وخمسين نفرًا وعشرة خيول فوصل مستهل ذي القعدة الى بدر الصغرى وكان بها في كل سنة ثمانية ايام البيع والشرى وكان مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقمشة وامتعة وحنطة ومن كثير فباعوا ذلك وكسبوا بكل درهم درهمًا فلما راى ابو سفيان ذلك خرج بالضرورة مع قريش من مكة في الفي رجل وخمسين فرسًا فلما وصلوا الى منزل يقال له عسفان والظهران قال لاصحابه الراى ان نعود من الرجوع لانا بقنع بقليل من السويق وايضًا فان المسلمين مخصبون ونحن مجدبون فقال صفوان بن امية يا ابا سفيان لم انهك ان نوعد فالآن تستحون علينا وتسلطون فيقال ابو سفيان نتمنيا ونرتب امورنا الى حرب الاحزاب الذي هو مشهور بالخندق نرجع العسكر الى اهلهم ويقال لهذه الغزوة بدر الصغرى والسلم ①

ذكر

غزوة ذات الرقاع ①

وكانت غزوة هذه في المحرم سنة سبع واربعين شهرًا من الهجرة وسببه انه جاء شخص الى المدينة وجاب متاعًا وقال للمسلمين ان اتاروا عليه خلق كثير

الورقة الثالثة عشرة من القطعة المحققة من مخطوط جامع التواريخ

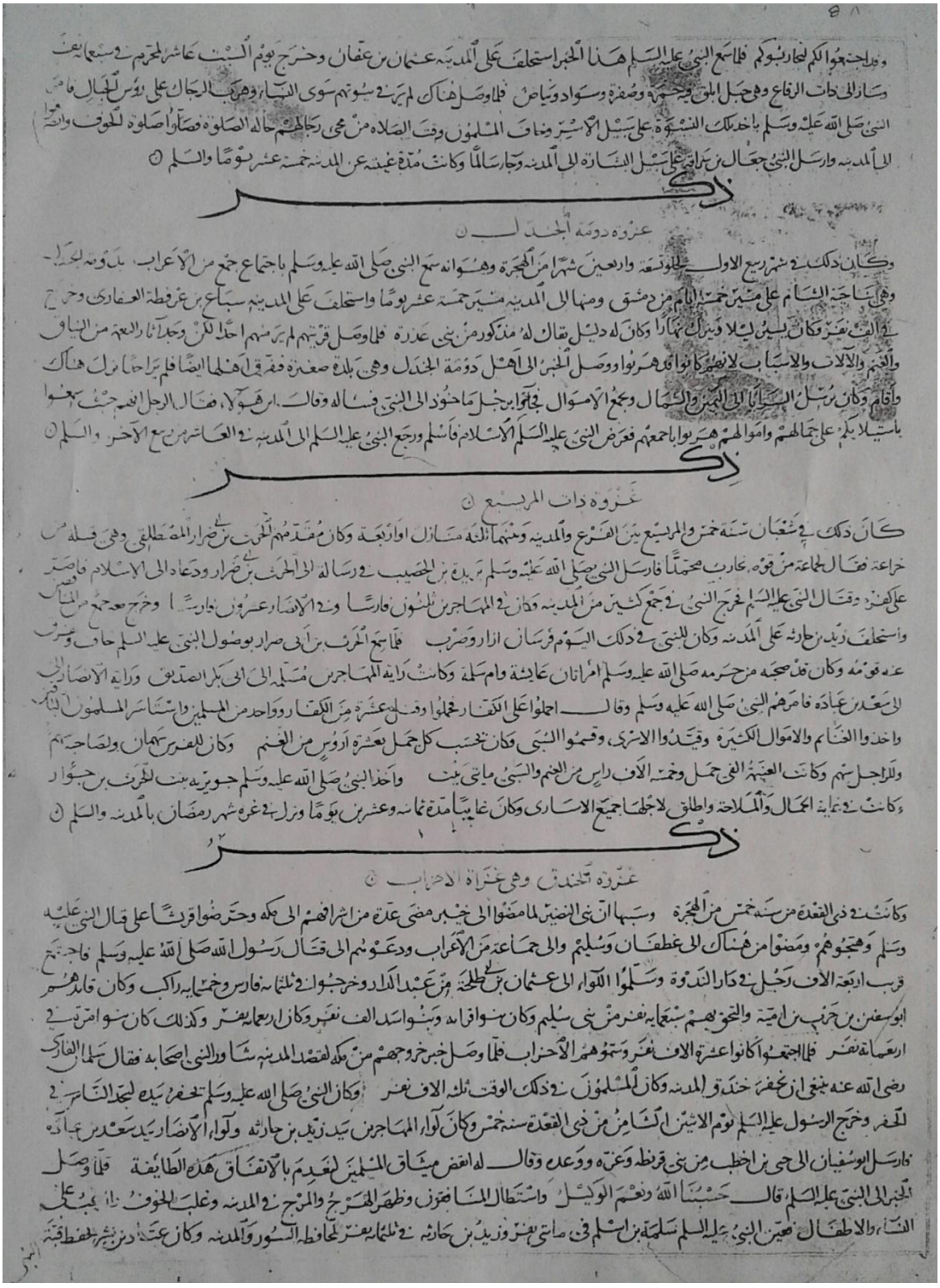

وبراجعوا لكم لحاربتكم فلما سمع النبي عليه السلام هذا الخبر استخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج يوم السبت عاشر المحرم في سبعمائة فارس وسار الى ذات الرقاع وهو جبل ابلق وسمي وصفرة وسواد وبياض فلما وصل هناك لم ير في سوتهم سوى النساء وهرب الرجال على رؤس الجبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم باخذ تلك النسوة على سبيل الاسر فخاف المسلمون وقت الصلاة من مجي رجالهم حاله الصلوة فصلوا صلوة الخوف وانتهوا الى المدينة وارسل النبي جعال بن سراقة على سبيل البشارة الى المدينة وجاء سالما وكانت مدة غيبته عن المدينة خمسة عشر يوما والسلم ○

ذكر

غزوة دومة الجندل ○

وكان ذلك في شهر ربيع الاول سنة خمس وعشرين شهرا من الهجرة وهو انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع جمع من الاعراب بدومة الجندل وهي بناحية الشام على مسيرة خمسة ايام من دمشق وصفا الى المدينة مسيرة خمسة عشر يوما واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة العفاري وخرج في الف نفر وكان يسير ليلا ويستريح نهارا وكان له دليل يقال له مذكور من بني عذرة فلما وصل قريبا لم ير منهم احدا لكن وجدا ثار النعم من الشاء والغنم والاثاث والاسباب لانهم كانوا قد هربوا ووصل الخبر الى اهل دومة الجندل وهي بلدة صغيرة فقيل انها فلما برحا منزل هناك واقام وكان رسل السرايا الى اليمين والشمال وجمع الاموال فجاءوا بجل ما وجدوا الى النبي فساله وقال ان هؤلاء فقال الرجل انهم حيث سمعوا باستيلائكم على حمالهم واموالهم هربوا باجمعهم فعرض النبي عليه السلم الاسلام فاسلم ورجع النبي عليه السلم الى المدينة في العاشر من ربيع الآخر والسلم ○

ذكر

غزوة ذات المريسيع ○

كان ذلك في شعبان سنة خمس والمريسيع بين الفرع والمدينة ومنها الى المدينة مسافة اربعة وكان مقدم الجيش الحرث بن ضرار المصطلقي وهي فخذ من خزاعة فقال لجماعة من قومه غازب محمدا فارسل النبي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب في رسالة الى الحرث بن ضرار ودعاه الى الاسلام فاصر على كفره وقال النبي عليه السلم فخرج النبي في جمع كثير من المدينة وكان في المهاجرين ثلثون فارسا وفي الانصار عشرون فارسا وخرج معهم من المنافقين واستخلف زيد بن حارثة على المدينة وكان للنبي في ذلك اليوم فرسان ازار وضرب فلما سمع الحرث بن ابي ضرار بوصول النبي عليه السلم خاف وهرب عنه قومه وكان قد صحبه من حرسه صلى الله عليه وسلم امراتان عايشة وام سلمة وكانت راية المهاجرين مسلمة الى ابي بكر الصديق ورايه الانصار الى سعد بن عبادة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال احملوا على الكفار فحملوا وقتل عشرة من الكفار وواحد من المسلمين واسر المسلمون الباقين واخذوا الغنائم والاموال الكثيرة وقيدوا الاسرى وقسموا السبي وكان نصيب كل جمل بعشرة اواق من الغنم وكان للفرس سهمان ولصاحبه سهم وللراجل سهم وكانت الغنيمة التي جمل وخمسة الاف راس من الغنم والسبي مائتي بيت واخذ النبي صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحرث بن جواز وكانت في غاية الجمال والملاحة واطلق لاجلها جميع الاسارى وكان غايبا مدة ثمانية وعشرين يوما ونزل في غرة شهر رمضان بالمدينة والسلم ○

ذكر

غزوة الخندق وهي غزاة الاحزاب ○

وكانت في ذي القعدة من سنة خمس من الهجرة وسببها ان بني النضير لما مضوا الى خيبر مضى عدة من اشرافهم الى مكة وحرضوا قريشا على قتال النبي عليه وسلم وهيجوهم ومضوا من هناك الى غطفان وسليم والى جماعة من الاعراب ودعوهم الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع قريب اربعة الاف رجل في دار الندوة وسلموا اللواء الى عثمان بن طلحة من عبد الدار وخرجوا في ثلثمائة فارس وخمسمائة راكب وكان قائدهم ابو سفين بن حرب بن امية والتحق بهم بنو مرة بمائتي نفر من بني سليم وكان سواقاده وبنو اسد الف نفر وكان اربعمائة نفر وكذلك كان سواد قريش اربعمائة نفر فلما اجتمعوا كانوا عشرة الاف نفر وسموهم الاحزاب فلما وصل خبر خروجهم من مكة لقصد المدينة شاور النبي اصحابه فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ينبغي ان نحفر خندقا حول المدينة وكان المسلمون في ذلك الوقت ثلثة الاف نفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم تحفر بيده المجد الشريف في الحفر وخرج الرسول عليه السلم يوم الاثنين لثمان من ذي القعدة سنة خمس وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة فارسل ابو سفيان الى حيي بن اخطب من بني قريظة وعزه ووعده وقال له انقض ميثاق المسلمين ليعدم بالانفاق هذه الطايفة فلما وصل الخبر الى النبي عليه السلم قال حسبنا الله ونعم الوكيل واستطال المنافقون وظهر الفرح والمرح في المدينة وغلب الخوف حتى ابيض على النساء والاطفال فعين النبي عليه السلم سلمة بن اسلم في مائتي نفر وزيد بن حارثة في ثلثمائة نفر لمحافظة السور والمدينة وكان عثمان بن بشير بحفظ قبة

الورقة الأخيرة من القطعة المحققة من مخطوط جامع التواريخ

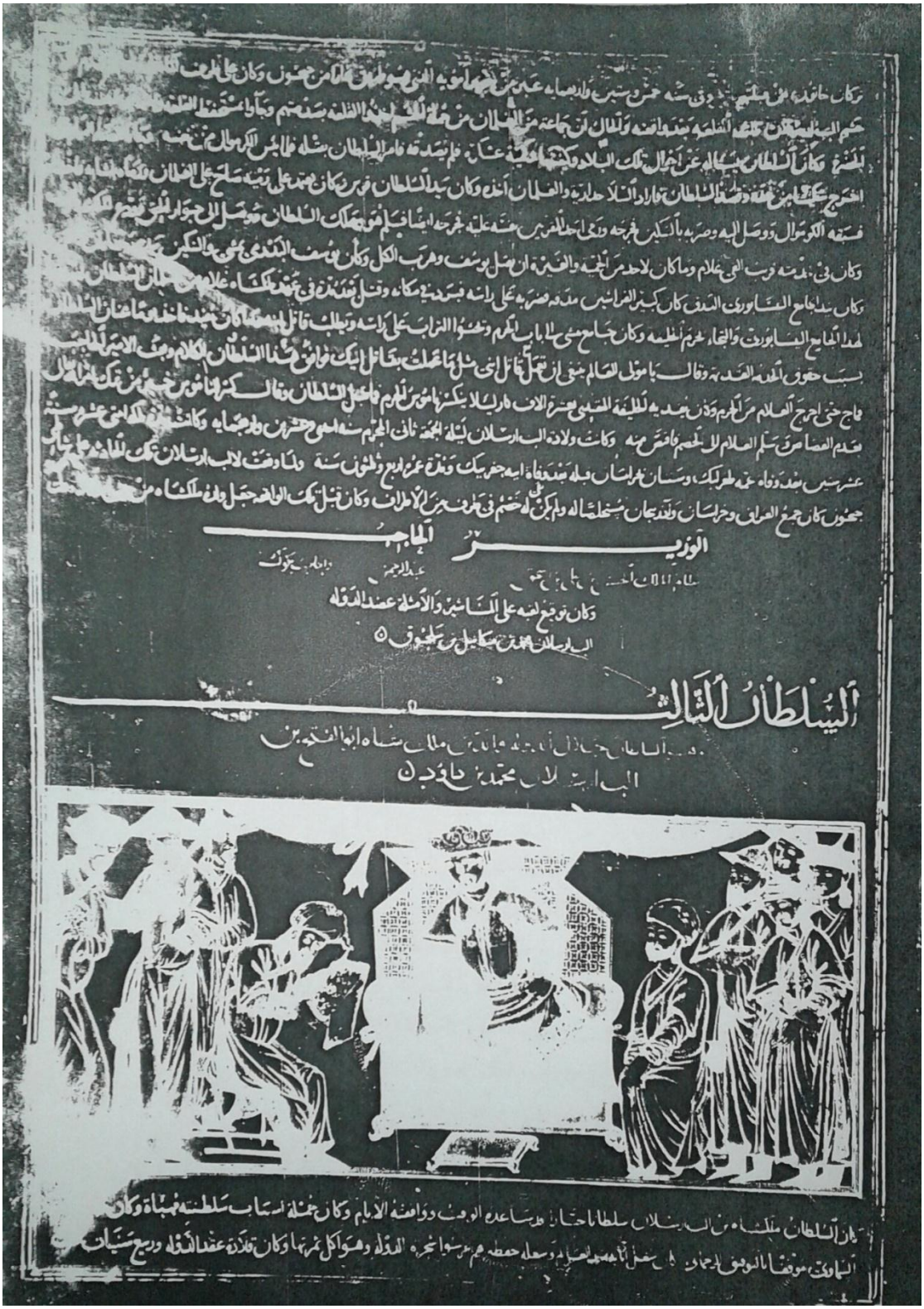

الورقة الثالثة من قطعة مانشستر

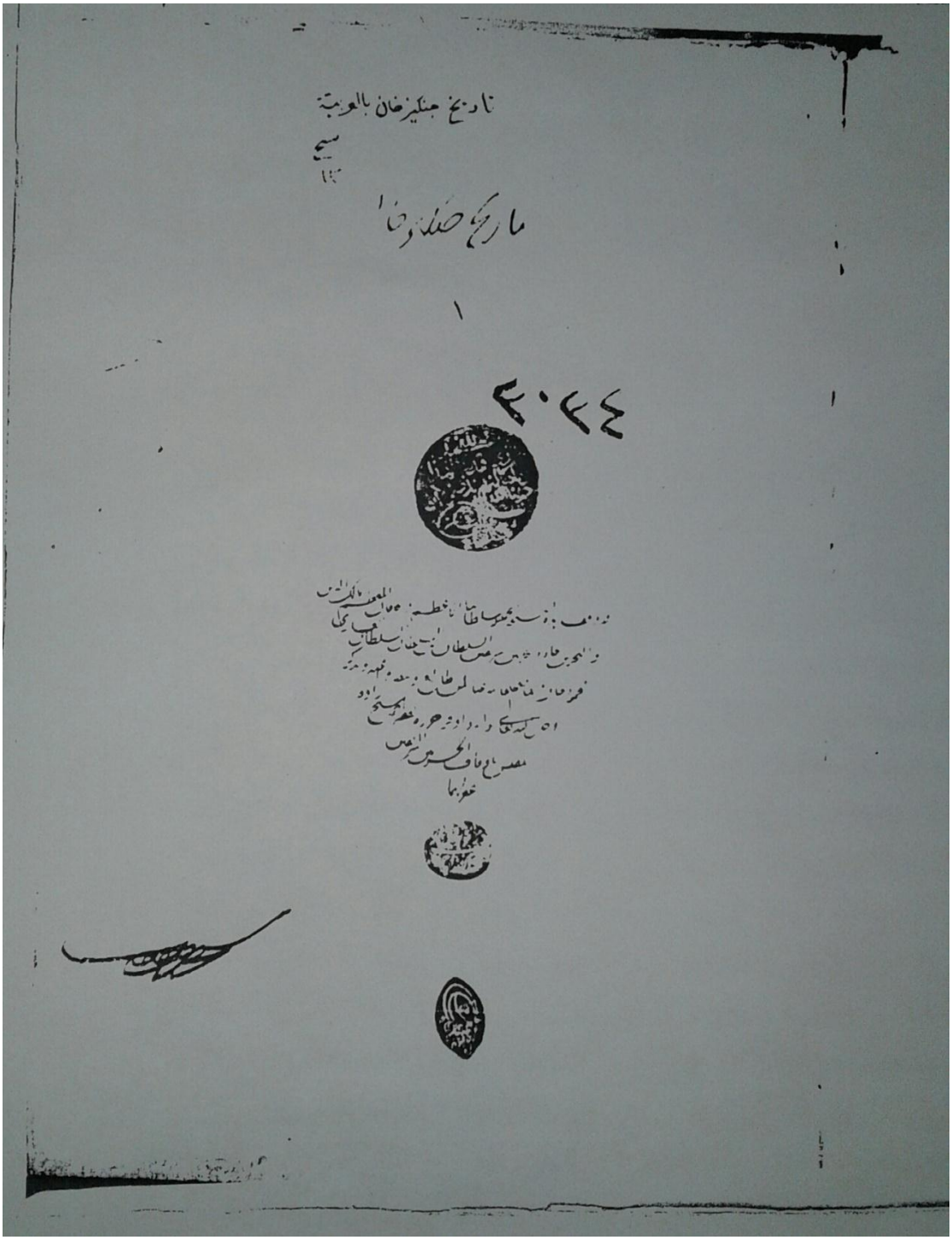

ورقة الغلاف من قطعة أياصوفيا

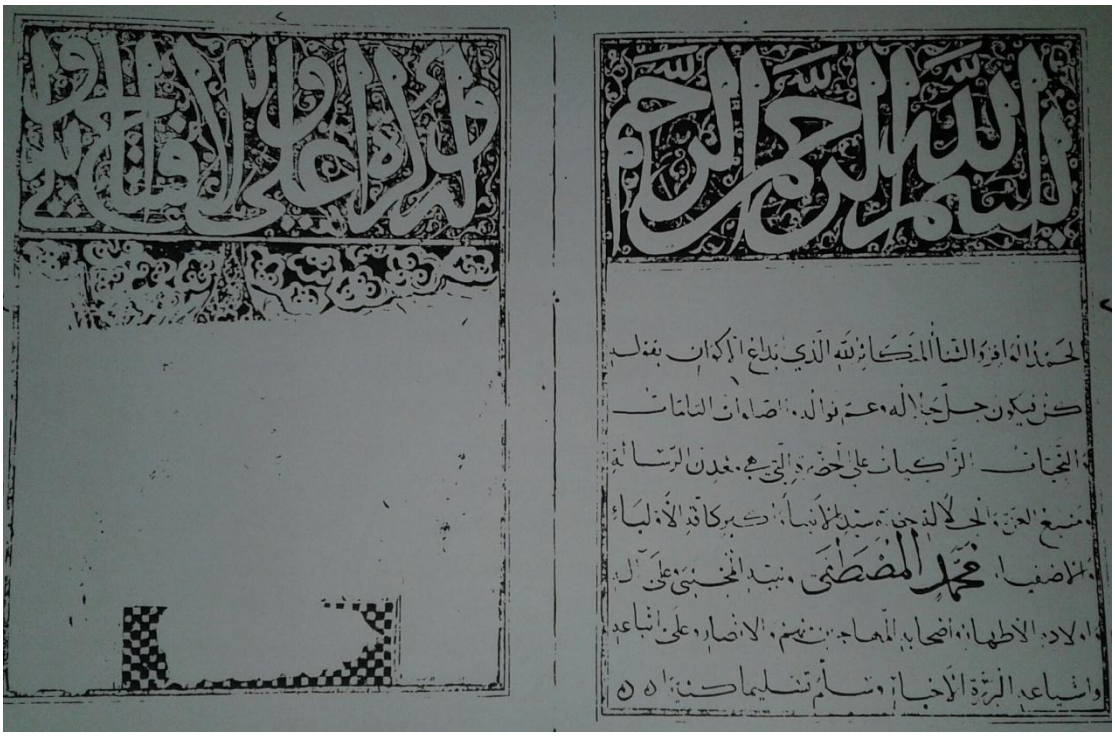

الورقة الأولى من قطعة أياصوفيا

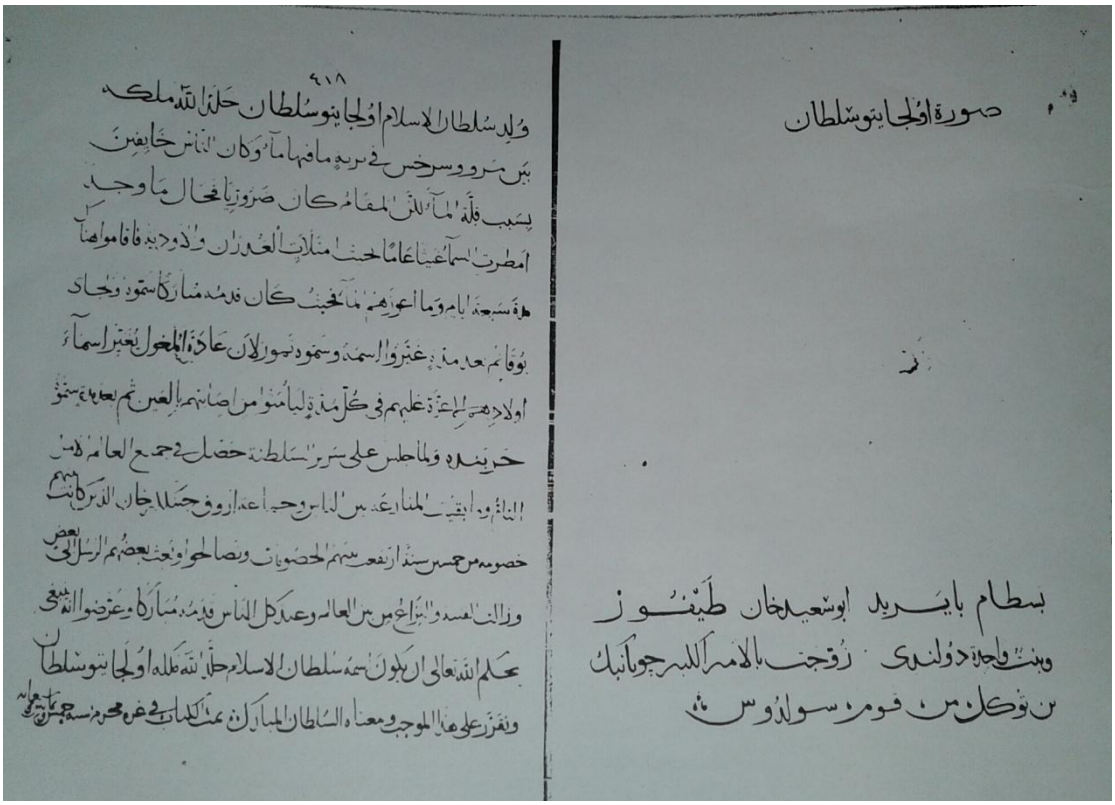

صورة اولجايتو سلطان

بسطام بايزيد ابوسعيد خان طيفوز
وبنت واجره دولندى زوجت بالامراكبر جوبانبك
من توكل من قوم سولدوس

٤١٨

ولد سلطان الاسلام اولجايتو سلطان خلد الله ملكه
بين سرو وسرخس في ربيع ما فيها ما وكان الناس خايفين
بسبب قلة ما آلتن المقام كان ضروريا فحال ما وجد
امطرت السما غيثا عاما حسنا مثلات العدران والذودية فاقاموا
هذه سبعة ايام وما اعوزهم ما تخيف كان قدمه مباركا سعودا وحاد
بوقايم عديمة غيروا السمه وسموه نمود لان عادة المغول يغيرا اسما
اولادهم اذا عرض عليهم في كل مدة ولبا منوا من اصابتهم العين ثم بعد ما سموه
حرينده ولما جلس على سرير السلطنة حصل في جميع العالم امن
التام وما بقيت المنازعة بين الناس وجماعة اروق جغتاي خان الذين كانت
خصومه من خمس سنة ارتفعت بينهم الخصومات وتصالحوا وتحد بعضهم الى بعض
وزالت العصبة والنزاع من العالم وعدل الناس قدمه مباركا وعرضوا الله يحكم
بحكم الله تعالى ان يكون اسمه سلطان الاسلام خلد الله ملكه اولجايتو سلطان
ويقرر على هذا الموجب ومعناه السلطان المبارك ان يمكن الكتاب في عرض محرره نسبة جبرئيل عليه

الورقة الأخيرة من قطعة أياصوفيا

In the name of God the merciful

Peace and blessings be upon the best of his creation our master ((Muhammad)) and on his family and companions and after him .

The manuscript of the collector dates of his work Rashid al-Din al Hamdani (h718-m1318) is one of the most important manuscript of the Islamic heritage and due to the importance of the Book collector dates A piece of it was chosen to be realized as a draft letter to obtain a masters degree in the history of Arabs and Islam .

This piece deals with the beginning of the creation and the history of the prophets and part of the civil phase of the prophets biography .

This book is most important works of Hamdani and began to write in (h708-m1308) This book is characterized by a great artistic value showing the prosperity of the art of photography it contains pictures representing the battles and famous personalities of prophets and kings the importance of this piece is because it sheds light on a pivotal stage in the history of the noble prophetic vocation and the presentation of this article will constitute an added value that will enrich the Arabic Islamic library .